حساب سانى التنزيل

للدكتور / فاضــل صالح السامرائــــــي أستاذ النحو في جامعة الشارقة

> تم رفع هذا الكتاب في موقع www.dawahmemo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سـلطانك. وبعــد، فهذه جملة من نصـوص التنزيل العزيز سُـئلت عن سِر التعبـير في بٍعضها واخترت بعضها من سـور متعـددة ِلأبيّن طرّفـاً مما فيهاً منّ أسرار تعبيرية ولمسات فنية لعل فيها نفعاً لدارسي القرآن ولتكون خطوة أخرى بعد كتاب التعبير القـرآني في بيـان شـيء من اسـرار هذا السِّفر العظيم كتاب الله الخالد.

قٍ الله بعضهم بعد أن اطلع على كتاب (التعبير القرآني) لو

اسميته (الإعجاز القراني) .

فقلت لـه: هـذا عنـوان أكـبر مـني وأنا لا أسـتطيع أن أنهض ببيـان الإعجاز القرآني ولا بشيء منه وإنما هو دراسة في بيان شــيء من أسرار التعبير القرآني العظيم الذي لا تنتهي عجائبه.

إن هذا الكتاب وكذلك كتاب التعبير القرآني ليس في بيان الإعجاز القرآني وليس هو خطوة واحدة في هـذا الطريق وإنما هو خطـوة في طريق قد يُصل السالك إلى طريق الإعجاز أو شيء من

الإعجاز.

إن إعجـاز القـرآن أمر متعـدد النـواحي متشـعب الإتجاهـات ومن المتعـذر أن ينهض لبيـان الإعجـاز القـرآني شـخص واحد ولا حـتي جماعة في زمن ما مهما كـــانت سَعَةُ علمهم واطلاعهم وتعـــدد اختصاصاتهم إنما هم يستطيعون بيان شيء من أسرار القــرآن في نواح متعددة حـتى زمـانهم هم، ويبقى القـرآن مفتوحـاً للنظر لمن ياتي بعدنا في المستقبل ولما يجـدٌ من جديـدـ وسـيجد فيه أجيـال المستقبل من ملامح الإعجاز وإشاراته ما لم يخطر لنا على بال.

وأضرب مثلاً لتعدد نواحي الإعجاز فإني سـمعت وقـرأت لأشـخاص مختصـين بالتشـريع والقـانون يـبيّنون إعجـاز القـرآن التشـريعي، ويبينون اختيارات الألفاظ التشـريعية في القـرآن ودقتها في الدلالة على دقة التشريع ورفعته ما لا يصح استبدال غيرها بها، وإن اختيـار هذه الألفاظ في بابها أدق وأعلى مما نبيّن نحن من اختيارات لغوية

وفنية وجمالية.

وقرأت وسـمعتِ لأشـخاص متخصِصـين بعلم التشـريح والطب في بيان شيء من أسرار التعبير القرآني من ِالناحية الطبية التشـريحية ودقتها يفوق ما نذكره في علم البلاغة. فألفاظه مختارة في منتهي الدقة العلمية. من ذلك على سبيل المثال إن ما ذكـره القـرآن من مراحل تطور الجنين في الـرحم هي الـذي انتهى إليها العلم مما لم

يكن معروفاً قبل هـذا العصر مما دعا علمـاء أجـانب إلى أن يعلنـوا إســلامهم. وليس ذلك فقــط، بل إن اختيــار تعبــير (العلقــة) و (المضغة) - مثلاً أعجب اختيار علمي.

فاختيار التعبير بـ (العلقة) اختيار له دلالته، فـإن المخلـوق في هـذه المرحلة أشـبه شـيء بالعلقة وهي الطفيلية المعروفـة. وكـذلك التعبير بــ (المضغة) فالمضغة كما قرأنا في كتب التفسير، هي القطعة من اللحم قــدر ما يمضغ الماضـغ. ولكن لاختيـار كلمة (مضغة) سبب آخـر، ذلك أن المضـغة هي قطعة اللحم الممضـوغة أى التي مضغتها الأسـنان، وقـد أثبت العلم الحـديث أن الجـنين في هـــذه المرحلة ليس قطعة لحم عادية بل هو كقطعة اللحم الـــتي مضغتها الأسنان، فاختيار لفظ المضغة اختيـار علمي دِقيـق. إنه لم يقل "قطعة لحم صـغيرةً" ولو قــال ذلك لكــانُ صــوّاباً ولكّن قــال: مضغة لما ذكرت وربما لغيره أيضاً والله أعلم.

وقـــرأت فيما توصل إليه علم التـــاريخ وما دلت عليه الحفريـــات الحديثة من أخبـار ذي القـرنين أدق الكلام وأدق الأخبـار ما لم يكن يعرفه جميع مفسـري القـرآن فيما مضى من الزمـان. وأن الـذي اكتشــفه المؤرخون والآثــاريون وما توصــلوا إليه في هــذا القــرن منطبق على ما جـّاء في القَـرْآنِ الكـرِيمِ كلُّمةً كلمةٌ ولم يكن ذلك

معلوماً قبل هذا القرن البتة.

وقـرأت في اختيـار التعبـير القـرآني لبعض الكلمـات التاريخية كــ (العزيز) في قصة يوسف، وكاختيار تعبير الملك في القصة نفسها، واختيار كلمة (فرعون) في قصة موسى، فعرفت أن هذه ترجمـات دقيقة لما كان يُستعمل في تلك الأزمان السحيقة فــ (العزيـز) أدق ترجمة لمن يقوم بذلك المنصب في حينه، وأن المصريين القـدامي كانوا يفرقون بين الملوك الذين يحكم ونهم فيها إذا كانوا مصريين أو غير مصريين، فالملك غير المصري الأصل كـانوا يسـمونه الملك والمصري الأصل يسمونه فرعون وأن الذي كان يحكم مصر في زمن يوسف 🛮 غير مصري، وهو من الهكسوس فسماه الملك، وأن الذي كـان يحكمها في زمن موسى 🛘 هو مصـري فسـماه فرعـون، فسمى كل واحد بما كان يُسمى في الأزمنة السحيقة.

وعرفت من الإشارات الإعجازية في مختلف العلوم كما في أسِـرار البحار والضغط الجوي وتوسع الكون وبداية الخلق ما دعا كثيراً من

الشخصيات العلمية إلى إعلان إسلامهم.

بل إن هناك أموراً لم تُعرف الا بعد صعود الإنسان ف الفضاء واختراقه الغلاف الجوي للأرض، وقد أشار إليه القرآن إشـارات في

غاية العجب ذلك أن الإنسان إذا اخترق الغلاف الجوي للأرض، وجد نفسه في ظلام دامس وليل مستديم ولم ثُر الشمس، إلا كبقية النجوم التي نراها في الليل. فالنهار الذي نعرفه نحن، لا يتعدى حدود الغلاف الجوي فإن تجاوزناه كنا في ظلام لا يعقبه نهار. وقد أشار إلى ذلك القرآن إشارة عجيبة في قوله (وَأَيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37) يس) فجعل النهار كالجلد الذي يُسلخ وأما الليل فهو الأصل وهو الكل، فشبه الليل بالذبيحة، والنهار جلدها، فإن سلخ الجلد ظهر الليل فجعل النهار غلافاً والليل هم الأصل.

وقال: (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّـمَاءِ فَظَلُّوا فِيـهِ يَعْرُجُـونَ (14) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْضَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَـوْمٌ مَسْـحُورُونَ (15) الحجـر) أي لو مكِنّاهم من الصعود إلى السماء لانتهـوا إلى ظلام وقـالوا : (

سُكَرَتْ أَبْصَارُنَا) وغير ذلك وغيره.

وعلى هذا فالإعجاز القرآني متعدد النواحي ؛ متشعب الاتجاهات ولا يزال الناس يكتشفون من مظاهر إعجـازه الشـيء الكثـير فلا غـرو أن أقــول إذن أن الإعجــاز أكــبر مما ينهض له واحد أو جماعة في .

زمن ما.

إن التعبير الواحد قد ترى فيه إعجازاً لغوياً جمالياً وتـرى فيه في الوقت نفسه إعجازاً نفسـياً أو الوقت نفسه إعجازاً نفسـياً أو إعجازاً تشريعياً أو غير ذلك.

فيأتي اللغوي ليبين مظاهر أعجازه اللغوي وأنه لا يمكن استبدال كلمة بأخرى ولا تقديم ما أُخّر ولا تأخير ما قُدّم أو توكيد ما نُزع منه التوكيد أو عمد توكيد ما أكّد. ويأتيك العالم في التشريع ليقول مثل ذلك من وجهة نظر التشريع والقانون ويأتيك المؤرخ ليقول مثل ذلك من وجهة نظر التاريخ، ويأتيك صاحب كل علم ليقول مثل ذلك

من وجهة نظر علمه.

إننا ندل على شيء من مواطن الفن والجمال في هذا التعبير ونبين إن الفني الرفيع ونضع أيدينا على شيء من سُمو هذا التعبير ونبين إن هذا التعبير لا يقدر على مجاراته بشر بل ولا البشر كلهم أجمعون، ومع ذلك لا نقول إن هذه هي مواطن الإعجاز ولا بعض مواطن الإعجاز وإنما هي ملامح ودلائل تأخذ باليد وإضاءات توضع في الطريق، تدل السالك على أن هذا القرآن كلام فني مقصود وُضع وضعاً دقيقاً ونُسِج نسجاً محكماً فريدا، لا يشابهه كلام، ولا يرقى إليه حديث (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (34) الطور).

أما شأن الإعجاز فهيهات ؛ إنه أعظم من كل ما نقول وأبلغ من كل ما نصف وأعجب من كل ما نقف عليه من دواعي العجب. إن هــذا القادم من الملأ الأعلى والذي نـزل به سـيدٌ من كبـار سـادات الملأ الأعلى فيه من الأسرار ودواعي الإعجاز ما تنتهي الدنيا ولا ينتهي. قد ترى أن في قـولي مبالغة وادعـاء أو انطلاقـاً من عاطفة دين أو التهاب وجدان وليس بوسعي أن أمنعك من هذا التصـور، ولا أن أرد

عنك ما ترى.

ولكن لو فتح القلب المقفل وأوقد الســـراج المعطل وأشـــرقت بـالنور حنايا لم تكن تعـرف النـور ولا مست فـؤادك نفحة من روح الملك القدوس وهبِّت على أودية ِنفسك نسمة من عالم الْـروح وسِمعِت صِوَاً ِ يَمَلأَ نِفسك قادَمِاً من بعيد من المَلْأُ الأعلىٰ يقِـُولَ (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ أَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا يَزِلَ مِنَ الْحَقُّ وَلِا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ َقَبْلُ فَطَاَّلَ عَلَيْهَمُ الْأَمَـٰدُ فَهَسَـِتْ قُلُورُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16) الحديد) و (وَلَقَـَدْ يَسَّـرْنَا الْقُـرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرِ (17) القمر). فقف ٌ شعر بدنك واقشعرٌ جلدك ومار َفؤادك وتحركتُ السـواكن واضـطرب بين جنبيك ما اضـطرب والتهب فيه ما التِهبِ وانهمرت الـدموع تسـيل في شـعاب القلـوب الـتي قتلها الظمأ وأقفرها الجفـاف تغسل الأوضـار وتـروي حبـات القلب وتُنَدّي اليَبَس وتُحيى المـوات فعند ذاك تـذوق ما لم تعهد له مـــذاقاً ولا طعمـــاً وتحسّ ما لم يكن لك فيه سيــابق معرفة ولا إحسـاس وتصـيح بكل جوارحك قـائلاً والله لقد أن والله لقد أن! وِعند ذاك تعــرف ما أقــول وتفهم ما أشــير إليه ولكن أنّى لي أو اصلك الى هذا؟!

وكيف أوصـلك وأنا المنقطع ، وأعطيك وأنا المحـروم؟ ولا حـول ولاً = - الارالا

قوة إلا بالله.

إنماً هي دلائل أضعها في الطريق وإشارات وصوى وشيء من خافت النور في مصباح ناضب الزيت غير نافع الفتيل عسى الله أن ينفع بها سالكاً ويجيِّب العثار سارياً في الليل البهيم، فتنالنا منه دعوة صالحة تنعنا في عَرَصات القيامة.

وفي الختام لا أجد خيراً من أوصيك ما أوصى به رسول الله الصاحبه أبا ذر وليكن ذلك منك على ذكر وإياك أن تنساه:

ياً أبا ذر أحكم السفينة فإنَّ البحر عميق وخفِّفِ الحمل فإنَّ العقبة كؤُود وأكثر الزّاد فإنَّ السفر طويل وأخلص العمل فإن الناقد بصير.

لمسات بيانية في نصوص من التنزيل
5

لمسات بيانية في سورة الفاتحة الحمد لله:

معنى الحمد: الثناء على الجميل من النعمة أو غيرها مع المحبة والإجلال ، فالحمد أن تذكر محاسن الغير سواء كان ذلك الثناء على صفة من صفاته الذاتية كالعلم والصبر والرحمة أم على عطائه وتفضله على الآخرين. ولا يكون الحمد إلا للحي العاقل.

وهذا أشهر ما فرق بينه وبين المدح فقد تمدح جمادا ولكن لا تحمده ؛ وقد ثبت أن المدح أعم من الحمد. فالمدح قد يكون قبل الإحسان وبعده ؛ أما الحمد فلا يكون إلا بعد الإحسان ، فالحمد يكون لما هو حاصل من المحاسن في الصفات أو الفعل فلا يحمد من ليس في صفاته ما يستحق الحمد ؛ أما المدح فقد يكون قبل ذلك فقد تمدح إنساناً ولم يفعل شيئا من المحاسن والجميل ولذا كان المدح منهياً عنه ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احثوا التراب في وجه المداحين" بخلاف الحمد فإنه مأمور به فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يحمد الناس لم يحمد الناس يحمد الله"

وبذا علمنا من قوله: **الحمد لله**" أن الله حي له الصفات الحسنى والفعل الجميل فحمدناه على صفاته وعلى فعله وإنعامه ولو قال المدح لله لم يفد شيئا من ذلك، فكان اختيار الحمد أولى من اختيار المدح.

ولم يقل سبحانه الشكر لله لأن الشكر لا يكون إلا على النعمة ولا يكون على صفاته الذاتية فانك لا تشكر الشخص على علمه أو قدرته وقد تحمده على ذلك وقد جاء في لسان العرب "والحمد والشكر متقاربان والحمد أعمهما لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته.فكان اختيار الحمد أولى أيضاً من الشكر لأنه أعم فانك تثني عليه بنعمه الواصلة إليك والى الخلق جميعا وتثني عليه بصفاته الحسنى الذاتية وان لم يتعلق شيء منها بك. فكان اختيار الحمد أولى من المدح والشكر.

هَــذا من ناحية ومن ناحية أخــرى أنه قــال: الحمد لله **ولم يقل أحمد الله أو نحمد الله** وما قاله أولى من وجوه عدة:

إن القـــولَ " أحمد الله ً" أو " نحمد الله " مختص بفاعل معين ففاعل أحمد هو المتكلم وفاعل نحمد هم المتكلمــون في حين أن عبـارة "الحمد للـه" مطلقة لا تختص بفاعل معين وهـذا أولى فإنك

إذا قلت " أحمد الله " أخبرت عن حمدك أنت وحدك ولم تفد أن غيرك حمده وإذا قلت " نحمد الله " أخبرت عن المتكلمين ولم تفد أن غيركم حمده في حين أن عبارة "الحمد لله" لا تختص بفاعل معين فهو المحمود على وجه الإطلاق منك ومن غيرك.

وقــولْ " أحمد الله " تخــبر عن فعلَك أنت ولا يعــني ذلك أن من تحمـده يسـتحق الحمد ؛ في حين إذا قلت " الحمد للـه" أفـاد ذلك

استحقاق الحمد لله وليس مرتبط بفاعل معين.

وقول " أحمد الله " أو " نحمد الله " مرتبط بزمن معين لأن الفعل له دلالة زمنية معينة ، فالفعل المضارع يسدل على الحال أو الاستقبال ومعنى ذلك أن الحمد لا يحدث في غير الزمان الذي تحمده فيه ، ولا شك أن السزمن الدي يستطيع الشخص أو الأشخاص الحمد فيه محدود وهكذا كل فعل يقوم به الشخص محدود النزمن فإن أقصى ما يستطيع أن يفعله أن يكون مرتبطا بعمره ولا يكون قبل ذلك وبعده فعل فيكون الحمد أقل مما ينبغي فإن حمد الله لا ينبغي أن ينقطع ولا يحد بفاعل أو بزمان في حين أن عبارة "الحمد لله" مطلقة غير مقيدة بنزمن معين ولا بفاعل أو عدن ولا بفاعل أو عدن ولا بفاعل

معين فالحمد فيها مستمر غير منقطع. أنه الله "أفاد ذلك كون جاء في تفسير البرازي أنه لو قال "احمد الله "أفاد ذلك كون القائل قادرا على حمده ، أما لما قال "الحمد لله" فقد أفاد ذلك ، أنه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين فهؤلاء سواء حمدوا أم لم يحمدوا فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد

بحمده القديم وكلامه القديم.

وقول "أحمد الله" جملة فعلية و"الحمد لله" جملة اسـمية والجملة الفعلية تدل على الحدوث والتجدد في حين أن الجملة الاسمية دالة على الثبوت وهي أقوى وأدوم من الجملة الفعليـة. فاختيـار الجملة الاسـمية أولى من اختيـار الجملة الفعلية ههنا إذ هو أدل على ثبـات

الحمد واستمراره.

وقــول "الحمد لله" معنـاه أن الحمد والثنـاء حق لله وملكه فانه تعـالى هو المسـتحق للحمد بسـبب كـثرة أياديه وأنـواع آلائه على العباد. فقولنا "الحمد للـه" معنـاه أن الحمد لله حق يسـتحقه لذاته ولو قال "احمد اللـه" لم يـدل ذلك على كونه مسـتحقا للحمد بذاته ومعلوم أن اللفظ الدال على كونه مسـتحقاً للحمد أولى من اللفظ الدال على أن شخصاً واحداً حمده.

والحمد : عبارة عن صفة القلب وهي اعتقـاد كـون ذلك المحمـود متفضلا منعما مستحقا للتعظيم والإجلال. فإذا تلفظ الإنسـان بقوله

: "أحمد الله كان كاذبا لأنه أخبر عن نفسه بكونه حامدا مع انه ليس بجلال الله كان كاذبا لأنه أخبر عن نفسه بكونه حامدا مع انه ليس كذلك. أما إذا قال "الحمد لله" سواء كان غافلاً أو مستحضراً لمعنى التعظيم فإنه يكون صادقاً لأن معناه: أن الحمد حق لله وملكه وهذا المعنى حاصل سواء كان العبد مشتغلاً بمعنى التعظيم والإجلال أو لم يكن. فثبت أن قوله "الحمد للـــه" أولى من قوله أحمد الله أو من نحمد الله. ونظيره قولنا "لا اله إلا الله" فانه لا يدخل في التكذيب بخلاف قولنا "اشهد أن لا اله إلا الله" لأنه قد يكون كاذبا في قوله "أشهد" ولهذا قال تعالى في تكذيب المنافقين لكادبون" المنافقين لكادبون" المنافقين لكادبون"

فلماذا لم يقل " الحمدَ لِله " بالنصب؟

الجواب أن قراءة الرفع أولى من قراءة النصب ذلك أن قراءة الرفع تدل على أن الجملة اسمية في حين أن قراءة النصب تدل على أن الجملة فعلية بتقدير نحمد أو احمد أو احمدوا بالأمر. والجملة الاسمية أقوى وأثبت من الجملة الفعلية لأنها دالة على الثبوت.

وقد يقال أليس تقدير فعل الأمر في قراءة النصب أقوى من الرفع بمعنى "احمدوا الحمد لله" كما تقول "الإسراع في الأمر" بمعنى أسرعوا؟ والجواب لا فإن قراءة الرفع أولى أيضاً ذلك لان الأمر بالشيء لا يعني أن المأمور به مستحق للفعل. وقد يكون المأمور غير مقتنع بما أمر به فكان الحمد لله أولى من الحمد لله بالنصب في الاخبار والأمر.

ولماذا لم يقل " حمداً لله " ؟ الحمد لله معرفة بأل و" حمداً " نكرة ؛ والتعريف هنا يفيد ما لا يفيده التنكيد ذلك أن "أل" قد تكون لتعريف العهد فيكون المعنى : أن الحمد المعروف بينكم هو لله ، وقد يكون لتعريف الجنس على سبيل الاستغراق فيدل على استغراق الأحمدة كلها. ورجح بعضهم المعنى الأول ورجح بعضهم المعنى الثاني بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم لك الحمد كله" فدل على استغراق الحمد كله فعلى هذا يكون المعنى: أن الحمد المعروف بينكم هو لله على سبيل الاستغراق والإحاطة فلا يخرج عنه شيء من أفراد الحمد ولا أجناسه.

"الحَمد لله" أهي خبر أم إنشاء؟ الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب والإنشاء هو ما لا يحتمل الصدق أو الكذب.

قـال أكـثر النحـاة والمفسـرين : أن الحمد لله إخبـار كأنه يخـبر أن الحمد لله ســبحانه وتعــالى ، وقسم قــال : أنها إنشــاء لأن فيها استشعار المجبة وقسم قال : أنها خبر يتضمن إنشاء.

أحيانا يحتمل أن تكون التعبيرات خبرا أو إنشاء بحسب ما يقتضيه المقام الذي يقال فيه.فعلى سبيل المثال قد نقول (رزقك الله) ونقصد بها الدعاء وهذا إنشاء وقد نقول (رزقك الله وعافاك) والقصد منها أفلا تشكره على ذلك؟ وهذا خبر.

والحمد لله هي من العبارات التي يمكن أن تستعمل خبرا وإنشاء بمعنى الحمد لله خبر ونستشعر نعمة الله علينا ونستشعر التقدير كان نقولها عندما نستشعر عظمة الله سبحانه في أمر ما فنقول الحمد لله.

فلماذا لم يقل سبحانه " إن الحمد لله " ؟ لا شك أن الحمد لله لكن هناك فرق بين التعبيرين أن نجعل الجملة خبراً محضا في قول الحمد لله (ستعمل للخبر أو الإنشاء) ولكن عندما تدخل عليه " إن " لا يمكن إلا أن يكون إنشاء ، لذا فقول " الحمد لله " أولى لما فيه من الإجلال والتعظيم والشعور بذلك. لذا جمعت الحمد لله بين الخبر والإنشاء ومعناهما ، مثلا نقول رحمة الله عليك (هذا دعاء) وعندما نقول إن رحمة الله عليك فهذا خبر وليس دعاء من المعلوم انه في اللغة قد تدخل بعض الأدوات على عبارات فتغير معناها مثال: رحمه الله (دعاء) ، قد رحمه الله (إخبار) ، ورقك الله (دعاء) ، قد رحمه الله (إخبار) ،

لماذا لم يقل سبحانه " لله الحمد " ؟

الحمد الله تقـال إذا كـان هنـاك كلام يـراد تخصيصه (مثـال : لفلان الكتاب) تقال للتخصـيص والحصر فـإذا قـدم الجـار والمجـرور على اسم العلم يكون بقصد الاختصـاص والحصر (لإزالة الشك أن الحمد سيكون لغير الله)

الحمد لله في الدنيا ليست مختصة لله سبحانه وتعالى ، الحمد في الدنيا قد تقال لأستاذ أو سلطان عادل ، أما العبادة فهي قاصرة على الله سبحانه وتعالى ، المقام في الفاتحة ليس مقام اختصاص أصلاً وليست مثل (إياك نعبد) أو (إياك نستعين). فقد وردت في القران الكريم (فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين) الجاثية (لآية 36)

لا أحد يمنع التقديم لكن التقديم والتأخير في القرآن الكـريم يكـون حسب ما يقتضـيه السـياق ، المقـام في سـورة الفاتحة هو مقـام مؤمنين يقرون بالعبادة ويطلبون الاستعانة والهداية ؛ أما في سورة

الجاتية فالمقام في الكافرين وعقائدهم وقد نسبوا الحياة والمـوت لغـير الله سـبحانه لـذا اقتضى ذكر تفضـله سـبحانه بأنه خلق السموات والأرض وأثبت لهم أن الحمد الأول لله سـبحانه على كل ما خلق لنا فهو المحمود الأول لذا جاءت فلله الحمد مقدمة حسب ما اقتضاه السياق العام للآيات في السورة.

فلماذا التفصيل في الجاثية (رب السموات والأرض وما ترد في الفاتحة؛ في الجاثية تردد ذكر السموات والأرض وما فيهن وذكر ربوبية الله تعالى لهما فقد جاء في أول السورة (إن في جو في السموات والأرض لآيات للمؤمنين) فلو نظرنا في جو سورة الجاثية نلاحظ ربوبية الله تعالى للسموات والأرض والخلق والعالمين مستمرة في السورة كلها. (ولله ملك السموات والأرض) يعيني هو ربهما (ويروم تقرم الساعة يخسر والأرض بالحق) إذن هو رب العالمين (وخلق الله السموات والأرض رب العالمين. (فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين أن فهو رب العالمين في أية العالمين أن جمع الربوبية في السموات والأرض والعالمين في أية واحدة ، أما في الكلام في الفاتحة فهو عن العالمين فقط وذكر أصياف الخلق من العالمين (المؤمنين، الضالين..) لذا ناسب التخصيص في الجاثية وليس في الفاتحة.

(وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) (الجاثية الآية 37) ولم يسذكر الكبرياء في الفاتحة لأنه جاء في الجاثية ذكر المستكبرين بغير حق (ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعنا الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعنا التحنها هزوا أولئك لهم عناب مهين) (الجاثية الآيات 7-9) دل على مظهر من مظاهر الاستكبار لذا ناسب أن يرد ذكر الكبرياء في السموات والأرض. فسبحانه وتعالى يضع الكلام بميزان دقيق بما يتناسب مع السياق العام للآيات.

الحمد لله: جاء سبحانه وتعالى باسمه العلم (الله) ،لم يقل الحمد للخالق أو القدير أو أي اسم آخر من أسمائه الحسنى فلماذا جاء بأي اسم آخر غير العلم لدل على انه تعالى استحق الحمد فقط بالنسبة لهذا الاسم خاصة فلو قال الحمد للقادر لفهمت على انه يستحق الحمد للقدرة فقط لكن عند ذكر الذات (الله) فإنها تعني انه سبحانه يستحق الحمد لذاته لا لوصفه.

•

من ناحية أخرى " الحمد لله " مناسبة لما جاء بعدها (إياك نعبد) لأن العبادة كثيرا ما تختلط بلفظ الله. فلفظ الجلالة (الله) يعنى الإله المعبود مأخوذة من أله (بكسر اللام) ومعناها عبد ولفظ الله مناسب للعبادة وأكثر اسم اقترن بالعبادة هو لفظ الله تعالى (أكثر من القيرة القيرة الله بالعبادة في القيران) لذا فالحمد لله مناسب لأكثر من جهة.

" الحمدُ لله " أولى من قول الحمد للسميع أو العليم أو غيرها من أسماء الله الحسني. وقول الحمد لله أولى من قول أحمد الله أو الحمدَ لله أو الحمدُ لله أو التحمدُ لله أو البصير. جلت حكمة الله سبحانه وتعالى وجل قوله

العزيز.

<u>رب العالمين:</u>

الــرب هو المالك والســيد والمــربي والمنعم والقيِّم ، فــإذن رب العــالمين هو ربهم ومــالكهم وســيدهم ومــربيهم والمنعم عليهم وقيُمهم لــذا فهو أولى بالحمد من غـيره وذكر (رب العـالمين) هي أنسب ما يمكن وضعه بعد (الحمد لله)

رب العالمين يقتضي كل صفات الله تعالى ويشمل كل أسماء الله الحسنى ، العالمين : جمع عالم والعالم هو كل موجود سوى الله تعالى ؛ والعالم يجمع على العوالم وعلى العالمين لكن اختيار العالمين على العوالم أمر بلاغي يعني ذلك أن العالمين خاص للمكلفين وأولي العقل (لا تشمل غير العقلاء) بدليل قوله تعالى (تبارك الذي نزل الغرفان على عبده ليكون للعالمين نيزل البهائم نيزا النوقان آية 1) ومن المؤكد انه ليس نديرا للبهائم والجماد. وبهذا استدلوا على أن المقصود بالعالمين أولي العقل وأولى العلم أو المكلفون.

والعالمين جمع العالم بكل أصنافه لكن يغلُب العقلاء على غيرهم فيقال لهم العالمين لا يقال لعالم الحشرات أو الجماد أو البهائم العالمين وعليه فلا تستعمل كلمة العالمين إلا إذا اجتمع العقلاء مع

غيرهم وغلبوا عليهم.

أما العَـــوالم قد يطلق على أصــناف من الموجـــودات ليس منهم البشر أو العقلاء أو المكلفـــون (تقـــال للحيوانـــات والحشـــرات والجمادات)

اختيار كلمة العالمين له سببه في سورة الفاتحة فالعالمين تشمل جيلا واحدا وقد تشمل كل المكلفين أو قسما من جيل

أولم ننهك عن العالمين) (الحجر آية 70) في قصة سيدنا لوط

جاءت هنا بمعنى قسم من الرجال. واختيـار " العـالمين " أيضـاً لأن السـورة كلها في المكلفين وفيها طلب الهداية وإظهار العبودية لله وتقسيم الخلق كله خـاص بـأولي العقل والعلم لذِا كان من المناسبَ اختيارُ " العـَالمين " علَّى غيرُ هَا من المفردات أو الكلمات. وقد ورد في آخر الفاتحة ذكر المغضوب عليهم وهم اليهود ، والعالمين رد على اليهـود الـذين ادعـوا أن الله تعـالی هو رب الیهـود فقط فجـاءت رب العـالمین لتشـمل کل

إلعالمين لا بعضهم.

أما اختيــار كلمة رب فلأنها تناسب ما بعــدها (اهــدنا الصــراط المستقيم) لأن من معاني الـرب المـربي وهي أشِـهر معانيه وأولى مهام البرب الهداية للذا اقلترنت الهداية كثيراً بلفظ البرب كما اقترنت العبادة بلفظ الله تعالى (قال فمن ربكما يا موسى قـال ربنا الـذي أعطى كل شـيء خلقه ثم هـدي) (طه آية 50-49)_ **(فاجتبــاه ربه فتــاب عليه وهــدى)** (طه آية 122) (سـبح اسم ربك الأعلى الـذي خلق فسـوى والـذي قـدر فهدى) (الأعلى آية 1-3). (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم) (الأنعام آية 161)_ (وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا) (الكهف آية 24) (قال كلا إن معى ربى سيهدين) (الشعراء آية 62) (وقال إنى ذاهب إلى ربي سيهدين) (الصافات آية 99)ـ (ولما توجه تلقـاء مـدين **قــال عسى ربي أن يهــديني ســواء السـبيل)** (القصص أية 22) لذا ناسب لَّفظُ " ربِّ " مع " اهدنا الصراط المستقيم " وَفيها طلب الهداية.

<u>الرحمن الرحيم:</u>

الرحمن على وزن فعلان والرحيم على وزن فعيل ومن المقرر في علم التصــريف في اللغة العربية أن الصــفة فعلان تمثل الحــدوث والتجــدد والامتلاء والاتصـاف بالوصف إلى حــده الأقصى فيقــال غضبان بمعنى امتلأ غضبا (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) لكن الغضب زال (فلما ســـكت عن موسى الغضـــب) ومثل ذلك عطشان ، ريان ، جوعان ، يكون عطشان فيشرب فيذهب العطش أما صيغة فعيل فهي تـدل على الثبـوت سـواء كـان خلقة ويسـمي تِحول في الصفات مثل طويل، جميـل، قـبيح فلا يقـال خطيب لمن ألقي خطبة واحدة وإنما تقال لمن يمارس الخطابة وكذلك الفقيه.

هـذا الإحسـاس اللغـوي بصـفات فعلان وفعيل لا يـزال في لغتنا الدارجة إلى الآن فنقول بدا عليه الطـول (طـولان) فـيرد هو طويل (صفة ثابتة) فلان ضعفان (حدث فيه شيء جديد لم يكن) فـيرد هو ضعيف (هذه صفته الثابتة فهو أصلاً ضعيف)

ولذا جاء سبحانه وتعالى بصفتين تدلان على التجدد والثبوت معا فلو قال الرحمن فقط لتوهم السامع أن هذه الصفة طارئة قد تزول كما يزول الجوع من الجوعان والغضب من الغضبان وغيره ولو قال رحيم وحدها لفهم منها أن صفة رحيم مع أنها ثابتة لكنها ليست بالضرورة على الدوام ظاهرة إنما قد تنفك مثلا عندما يقال فلان كريم فهذا لا يعني انه لا ينفك عن الكرم لحظة واحدة إنما الصفة الغالبة عليه هي الكرم.

وجاء سبحانه بالصفتين مجتمعتين ليدل على أن صفاته الثابتة والمتجددة هي الرحمة ويدل على أن رحمته لا تنقطع وهذا يأتي من باب الاحتياط للمعنى وجاء بالصفتين الثابتة والمتجددة لا ينفك عن إحداهما ، إنما هذه الصفات مستمرة ثابتة لا تنفك البتة غير منقطعة.

<u>فلماذا إذاً قدم سبحانه الرحمن على الرحيم</u> ؟

قدم صيغة الرحمن والتي هي الصفة المتجددة وفيها الامتلاء بالرحمة لأبعد حدودها لأن الإنسان في طبيعته عجول وكثيراً ما يؤثر الإنسان الشيء الآتي السريع وان قل على الشيء الذي سيأتي لأحقاً وإن كثر (بل تحبون العاجلة) لذا جاء سبحانه بالصفة المتجددة ورحمته قريبة ومتجددة وحادثة إليه ولا تنفك لأن رحمته ثابتة. ووقوع كلمة " الرحيم " بعد كلمة الرب يدلنا على أن الرحمة هي من صفات الله تعالى العليا وفيها إشارة إلى أن المربي يجب أن يتحلى بالرحمة وتكون من أبرز صفاته وليست القسوة والرب بكل معانيه ينبغي أن يتصف بالرحمة سواء كان مربياً أو سيداً أو قيما وقد وصف الله تعالى رسوله بالرحمة.

مالك يوم الدين:

هناك قراءة متواترة (ملك يوم الدين) بعض المفسرين يحاولون تحديد أي القراءتين أولى وتحديد صفة كل منهما لكن في الحقيقة ليس هناك قراءة أولى من قراءة فكلتا القراءتين متواترة نزل بهما الروح الأمين ليجمع بين معنى المالك والملك.

المُالَّكُ من التملك والمُلك بكسر الميم (بمعنى الذي يملك الملك) وملك بكسر اللام من الملك بضم الميم والحكم (**أليس لي ملك** مصر) الملك هنا بمعنى الحكم والحاكم الأعلى هو الله تعالى.

المالك قد يكون ملكا وقد لا يكون والملك قد يكون مالكا وقد لا يكون. المالك يتصرف في ملكه كما لا يتصرف الملك (بكسر اللام) والمالك عليه أن يتولى أمر مملوكه من الكسوة والطعام والملك ينظر للحكم والعدل والإنصاف. المالك أوسع لشموله العقلاء وغيرهم والملك هو المتصرف الأكبر وله الأمر والإدارة العامة في المصلحة العامة فنزلت القراءتين لتجمع بين معنى المالك والملك وتسدل على انه سبحانه هو المالك وهو الملك (قل اللهم مالك الملك ألملك ملكه سبحانه وتعالى فجمع بين معنى الملكة والملك الملك

<u>مَالك يوم الدين ، لِمَ لمْ يذكر الدنيا ؟</u> سواء كــان مالكا أو ملكا فلماذا لم يقل مالك يوم الدين والدنيا؟

أولا قال " الحمد لله رب العالمين " فهو مالكهم وملكهم في الدنيا وهذا شمل الدنيا. مالك يوم الدين هو مالك يوم الجزاء يعني ملك ما قبله من أيام العمل والعمل يكيون في الدنيا فقد جمع في التعبير يوم الدين والدنيا وبقوله " يوم الدين " شمل فيه الدنيا أيضاً.

لم قال يوم الدين ولم يقل يوم القيامة؟

الدين بمعنى الجزاء وهو يشمل جميع أنواع القيامة من أولها إلى آخرها ويشمل الجزاء والحساب والطاعة والقهر وكلها من معاني الدين وكلمة الدين انسب للفظ رب العالمين وانسب للمكلفين (الدين يكون لهؤلاء المكلفين) فهو أنسب من يوم القيامة لأن القيامة فيها أشياء لا تتعلق بالجزاء أما الدين فمعناه الجزاء وكل معانيه تتعلق بالمكلفين لان الكلام من أوله لآخره عن المكلفين لذا ناسب اختيار كلمة الدين عن القيامة.

لماذا قبال مالك يبوم واليبوم لا يملك إنما ما فيه يملك؟ والسبب لقصد العموم ومالك اليبوم هو ملك لكل ما فيه وكل من فيه فهو أوسع وهو ملكية كل ما يجبري وما يحدث في اليبوم وكل ما فيه ومن فيه فهي إضبافة عامة شباملة جمع فيها ما في ذلك اليوم ومن فيه وإحداثه وكل ما فيه من باب الملكية (بكسر الميم) والملكية (بضم الميم)

اقتران الحمد بهذه الصفات أحسن وأجمل اقتران. الحمد لله فالله محمود بذاته وصفاته على العموم والله هو الاسم العلم) ثم محمود بكل معاني الربوبية (رب العالمين) لان من الأرباب من لا تحمد عبوديته وهو محمود في كونه رحمن رحيم، محمود في رحمته لان الرحمة لو وضعت في غير موضعها تكون غير محمودة فالرحمة إذا

لم توضع في موضعها لم تكن مـدحا لصـاحبها، محمـود في رحمته يضـعها حيث يجب أن توضع وهو محمـود يـوم الـدين محمـود في تملكه وفي مالكيته (مالك يوم الدين) محمـود في ملكه ذلك اليـوم (في قراءة ملك يوم الدين)

استغرق الحمد كُلُ الأزمنة ،لم يترك سبحانه زمناً لم يدخل فيه الحمد أبداً من الأزل إلى الأبد فهو حمده قبل الخلق (الحمد لله) حين كان تعالى ولم يكن معه شيء قبل حمد الحامدين وقبل وجود الخلق والكائنات استغرق الحمد هنا الزمن الأول وعند خلق العالم (رب العالمين) واستغرق الحمد وقت كانت الرحمة تنزل ولا تنقطع (الرحمن الرحيم) واستغرق الحمد يوم الجزاء لا ينتهي فأهل النار خالدين فيها وأهل الجنة عنالدين فيها لا ينقضي جزاؤهم فاستغرق الحمد كل الأزمنة من الأزل إلى الأبد كقوله تعالى له الحمد في الأولى والآخرة هذه الآيات جمعت أعجب الوصف.

- قوله (**إياك نعبد وإياك نستعين):**

قدم المفعولين لنعبد ونستعين وهذا التقديم للاختصاص لأنه سبحانه وتعالى وحده له العبادة لذا لم يقل نعبدك ونستعينك لأنها لا تدل على التخصيص بالعبادة لله تعالى ، أما قول (إياك نعبد) فتعني تخصيص العبادة لله تعالى وحده وكذلك في الاستعانة (إياك نستعين) تكون بالله حصرا (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك البنا واليك البنا فاليك الممتحنة آية 4) كلها مخصوصة لله وحده حصرا فالتوكل والإنابة والمرجع كله إليه سبحانه (وعلى الله فليتوكل المتوكلون)(إبراهيم 12)

(قل هو السرحمن آمنا به وعليه توكلنسا) (الملك آية 29) تقديم الإيمان على الجار والمجرور هنا لأن الإيمان ليس محصورا بالله وحسده فقط بل علينا الإيمسان بالله ورسسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقضاء والقدر لهذا لم تأت به آمنا. أما في التوكل فجاءت وعليه توكلنا لا توكلنا عليه لان التوكل محصور بالله تعالى.

<u>الآن لماًذا كررِّت إيـاكُ مع فعل الاسـتعانة ولَمُ يقل إيـاك</u> نعبد ونستعين ؟

التكرار يفيد التنصيص على حصر المستعان به ؛ لو اقتصرنا على ضمير واحد (إياك نعبد ونستعين) لم يعني المستعان إنما عني المعبود فقط ولو اقتصرنا على ضمير واحد لفهم من ذلك انه لا يتقرب إليه إلا بالجمع بين العبادة والاستعانة بمعنى انه لا يُعبد بدون استعانة ولا يُستعانة مع الاستعانة مع

العبادة مجموعة تربط الاستعانة بالعبادة وهذا غير وارد وإنما هو سبحانه نعبده على وجه الاستقلال ونستعين به على وجه الاستقلال وقد يجتمعان لذا وجب التكرار في الضمير إياك نعبد وإياك نستعين. التكرار توكيد في اللغة ، في التكرار من القوة والتوكيد للاستعانة فيما ليس في الحذف.

إياك نعبد وإياك نستعين: أطلق سبحانه فعل الاستعانة ولم يحدد نستعين على شيء أو نستعين على طاعة أو غيره ، إنما أطلقها لتشمل كل شيء وليست محددة بأمر واحد من أمور الدنيا. وتشمل كل شيء يريد الإنسان أن يستعين بربه لان الاستعانة غير مقيدة بأمر محدد. وقد عبر سبحانه عن الاستعانة والعبادة بلفظ ضمير الجمع (نعبد ونستعين) وليس بالتعبير المفرد أعبد وأستعين وفي هذا إشارة إلى أهمية الجماعة في الإسلام لذا تلزم قراءة هذه السورة في الصلاة وتلزم أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين مرة ، وفيها دليل على أهمية الجماعة عامة في الإسلام مثل الحج وصلاة الجماعة ، الزكاة ، الجهاد ،الأعياد والصيام. إضافة إلى أن المؤمنين إخوة فلو قال إياك اعبد لأغفل عبادة إخوته المؤمنين وإنما عندما نقول (إياك نعبد) نذكر كل المؤمنين ويدخل القائل في زمرة المؤمنين أيضاً.

لماذا قرن العبادة بالاستعانة؟

أولاً ليدل على أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بعبادة الله إلا بإعانة الله له وتوفيقه فهو إذن شعار وإعلان أن الإنسان لا يستطيع أن يعمل شيئاً إلا بعون الله وهو إقرار بعجز الإنسان عن القيام بالعبادات وعن حمل الأمانة الثقيلة إذا لم يعنه الله تعالى على ذلك الاستعانة بالله علاج لغرور الإنسان وكبريائه عن الاستعانة بالله واعتراف الإنسان بضعفه.

لماذا قدم العبادة على الاستعانة؟

العبادة هي علة خلق الإنس والجن (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)(الـذاريات 56) والاسـتعانة إنما هي وسـيلة للعبادة فالعبادة أولى بالتقديم.

العبـادة هي حق الله والاسـتعانة هي مطلب من مطالبه وحق الله أولي من مطالبه.

تبدأ السورة بالحمد لله رب العالمين ، الرحمن الـرحيم، مالك يـوم الـدين وهـذه كلها من أسـلوب الغيبة أي كلها للغـائب ثم انتقل إلى الخطاب المباشر بقوله (إياك نعبد وإياك نستعين). فلو قسنا على

سـياق الآيـات الأولى لكـان أولى القـول إيـاه نعبد وإيـاه نسـتعين. فلماذا لم يقل سبحانه هذا؟

- قوله (الهدنا الصراط المستقيم)

هذا دعاء ولا دعاء مفروض على المسلم قوله غير هذا الدعاء فيتوجب على المسلم قوله عدة مرات في اليوم وهذا بدوره يدل على أهمية الطلب وهذا الدعاء لان له أثره في الدنيا والآخرة ويدل على أن الإنسان لا يمكن أن يهتدي للصراط المستقيم بنفسه إلا إذا هداه الله تعالى لذلك. إذا ترك الناس لأنفسهم لذهب كل إلى مذهبه ولم يهتدوا إلى الصراط المستقيم وبما أن هذا الدعاء في الفاتحة ولا صلاة بدون فاتحة فلذا يجب الدعاء به في الصلاة الفريضة وهذا غير دعاء السنة في (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) (البقرة آية 201)

والهداية: هي الإلهام والدلالة. وفعل الهداية هدى يهدي في العربية قد يتعدى بنفسه دون حرف جر مثل " اهدنا الصراط المستقيم " (تعدى الفعل بنفسه) وقد يتعدى بإلى (وانك لتهدي إلى صراط مستقيم) (الشورى آية 52) (وأهديك إلى ربك فتخشى) (النازعات آية 19) وقد يتعدى باللام (الحمد لله الذي هدانا لهنذا) (الأعراف 43) (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) (الحجرات آية 17)

ذكر أهل اللغة أن الفــرق بين التعدية بـالحرف والتعدية بالفعل نفسه أن التعدية بـالحرف تسـتعمل عنـدما لا تكـون الهداية فيه بمعنى أن المهدي كان خارج الصراط فهـداه الله له فيصل بالهداية إليه. والتعدية بدون حـرف تقـال لمن يكـون فيه ولمن لا يكـون فيه كقولنا " هديته الطريق " قد يكـون هو في الطريق فنعرفه به وقد لا يكـون في الطريق فنوصـله إليه. (فـاتبعني أهـدك صـراطا سـويا) (مـريم آية 43) أبو سـيدنا إبـراهيم لم يكن في الطريق، ولمنافقون (ولهديناهم صـراطا مستقيما) (النساء آية 68) والمنافقون ليسوا في الطريق. واستعملت لمن هم في الصراط (وقد هـدانا سبلنا) (إبـراهيم آية 12) قيلت في رسل الله تعـالى وقـال تعـالى مخاطبا رسـوله (ويهـديك صـراطا مسـتقيما) (الفتح آية 2) والرسـول مالك للصـراط. اسـتعمل الفعل المعـدى بنفسه في الحالتين.

التعدية باللام وإلى لمن لم يكن في الصراط (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط) (ص آية 22) (هل من شركائكم من يهدي إلى الحق) (يونس آية 35)

وتستعمل هداه له بمعنى بينه له والهداية على مراحل وليست هداية واحدة فالبعيد عن الطريق، الضال، يحتاج من يوصله إليه ويدله عليه (نستعمل هداه إليه) والذي يصل إلى الطريق يحتاج الى هاد يعرفه بأحوال الطريق وأماكن الأمن والنجاة والهلاك للثقة بالنفس ثم إذا سلك الطريق في الأخير يحتاج إلى من يريه غايته واستعمل سبحانه اللام (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) (الأعراف آية 43) وهذه خاتمة العدابات.

ونلخص ما سبق على النحو التالي:

-إنسان بعيد يحتاج من يوصله إلى الطريق نستعمل الفعل المتعدي بإلى .

-إذا وصل ويحتــاج من يعرفه بــالطريق وأحواله نســتعمل الفعل المتعدي بنفسه .

-إذا سـلك الطريق ويحتـاج إلى من يبلغه مـراده نسـتعمل الفعل المتعدي باللام .

الهداية مع اللام لم تستعمل مع السبيل أو الصراط أبدا في القرآن لان الصـــراط ليست غاية إنما وســـيلة توصل للغاية واللام إنما تستعمل عند الغاية. وقد اختص سـبحانه الهداية بـاللام له وحـده أو

للقرآن لأنها خاتمة الهدايات كقوله **(إن هذا القرآن يهدي للتي** هي أقــوم) (الإســراء آية 9) وقوله (يهــدي الله لنــوره من يشاء) (النور آية 35)

قد نقول جاءًت الهدايات كلها بمعنى واحد مع اختلاف الحروف.

- (قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهـدي إلى الحق أن يتبع امن لا يهدي إلا أن يهدي) (يونس آية 35)

جاءت يهدي للحق المقترنة بالله تعالى لان معنى الآيات تفيد هل من شركائكم من يوصل إلى الحق قل الله يهدي للحق الله وحده يرشدك ويوصلك إلى خاتمة الهدايات ، يعني أن الشركاء لا يعرفون أين الحق ولا كيف يرشدون إليه ويدلون عليه.

- (يهـدي به الله من اتبع رضـوانه سـبل السـلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) (المائدة آية 16)

استعمل الهداية معداة بنفسها بدون حرف واستعملها في سياق واحد مع الفعل المعدى بإلى ومعنى الآيات انه من اتبع رضوان الله وليس بعيدا ولا ضالا استعمل له الفعل المعدى بنفسه والذي في الظلمات هو بعيد عن الصراط ويحتاج إلى من يوصله إلى الصراط لذا قال يهديهم إلى صراط مستقيم (استعمل الفعل المعدى بإلى) نعود إلى الآية " اهدنا الصراط المستقيم " (الفعل معدى بنفسه) وهنا استعمل هذا الفعل المعدى بنفسه لجمع عدة معاني فالذي انحرف عن الطريق نطلب من الله تعالى أن يوصله إليه والذي في الطريق نطلب من الله تعالى أن يوصله الطريق والثبات الطريق والثبات على الطريق.

وهنا يبرز تساؤل آخر ونقول كما سبق وقدم سبحانه مفعولي العبادة والاستعانة في (إياك نعبد وإياك نستعين) فلماذا لم يقل سبحانه إيانا اهدي؟ هذا المعنى لا يصح فالتقديم بـ (إياك نعبد وإياك نستعين) تقيد الاختصاص ولا يجوز أن نقول إيانا اهدي نعبد وإياك نستعين) تقيد الاختصاص ولا يجوز أن نقول إيانا اهدي بمعنى خصنا بالهداية ولا تهدي أحداً غيرنا فهذا لا يجوز لذلك لا يصح التقديم هنا. المعنى تطلب التقديم في المعونة والاستعانة ولم يتطلبه في الهداية لذا قال (اهدنا الصراط المستقيم).

فِلْمُ قال (اهدنا) ولم يقل اهدني؟

لأنه مناسب لسياق الآَيـات السابقة وكما في آيـات الاسـتعانة والعبادة اقتضى الجمع في الهداية أيضاً.

فيه إشاعة لـروح الجماعة وقتل لـروح الأثـرة والأنانية وفيه نـزع الأثرة والاستئثار من النفس بان ندعو للآخرين بما ندعو به لأنفسنا. الاجتماع على الهدى وسير المجموعة على الصراط دليل قوة فـإذا كثر السالكون يزيد الأنس ويقوى الثبات فالسالك وحده قد يضعف وقد يمل أو يسـقط أو تأكله الـذئاب ، فكلما كـثر السـالكون كـان ادعى للاطمئنان والاستئناس.

والاجتماع رحمة والفرقة عذاب يشير لله تعالى إلى أمر الاجتماع والأنس بالاجتماع وطبيعة حب النفس للاجتماع كما ورد في قوله الكريم (ومن يطع الله ورسوله ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) (النساء آية 13) خالدين جاءت بصيغة الجمع لان المؤمنين في الجنة يستمتعون بالأنس ببعضهم وقوله (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عنذاب مهين) (النساء آية 14) في العناب فيزيد على عنذاب الكافر عنذاب الوحدة فكأنما عذبه الله تعالى بشيئين النار والوحدة.

لذا فعندما قال سبحانه وتعالى (اهدنا الصراط المستقيم) فيه شيء من التثبيت والاستئناس، هذا الدعاء ارتبط بأول السورة وبوسطها وآخرها. الحمد لله رب العالمين مهمة الرب هي الهداية وكثيرا ما اقترنت الهداية باسم الرب فهو مرتبط برب العالمين وارتبط بقوله الرحمن الرحيم لان من هذاه الله فقد رحمه وأنت الآن تطلب من الرحمن الرحيم الهداية أي تطلب من الرحمن الرحيم أن لا يتركك ضالا غير مهتد ثم قال (إياك نعبد وإياك نستعين) فلا تتحقق العبادة إلا بسلوك الطريق المستقيم وكذلك الاستعانة ومن الاستعانة طلب الهداية للصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم أي صراط الذين سلكوا الصراط المستقيم، ولا الضالين، والضالون هم الذين سلكوا غير الصراط المستقيم، ولا فالهداية والضلال نقيضان والضالين نقيض الذين سلكوا الصراط المستقيم المستقيم.

لماذا اختار كلمة الصراط بدلا من الطريق أو السبيل؟ لو لاحظنا البناء اللغوي للصراط هو على وزن (فعال بكسر الفاء) وهو من الأوزان الدالة على الاشتمال كالحزام والشداد والسداد والخمار والغطاء والفراش، هذه الصيغة تدل على الاشتمال بخلاف كلمة الطريق التي لا تدل على نفس المعنى. الصراط يدل على انه واسع رحب يتسع لكل السالكين ، أما كلمة طريق فهي على وزن فعيل بمعنى مطروق أي مسلوك والسبيل على وزن فعيل

ونقول أسبلت الطريق إذا كثر السالكين فيها لكن ليس في صيغتها ما يـدل على الاشـتمال. فكلمة " الصـراط " تـدل على الاشـتمال والوسع هـذا في أصل البنـاء اللغـوي (قـال الزمخشـري في كتابه الكشـاف : الصـراط من صـرط كأنه يبتلع السـبل كلما سـلك فيه السالكون وكأنه يبتلعهم مِن سعته).

<u>- قوله (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم</u>

<u>ولا الضالين</u>)

لماذا جاءت كلمة الصراط معرفة بأل مرة ومضافة مـرة **أخرى (صراط الـذين أنعمت عليهم)؟** جاءت كلمة الصراط مفــردة ومعرفة بتعــريفين: بــالألف واللام والإضـافة وموصــوفا بالاستقامة مما يدل على انه صراط واحد (موصوف بالاستقامة لأنه ليس بين نقطــتين إلا طريق مسـِتقيم واحد والمســتقيم هو أقصر الطرق وأقربها وصولا إلى الله) وأي طريق آخر غير هـذا الصـراط المســتقيم لا يوصل إلى المطلــوب ولا يوصل إلى الله تعــالي. والمقصود بالوصول إلى الله تعالى هو الوصول إلى مرضاته فكلنا واصل إلى الله وليس هنـاك من طريق غـير الصـراط المسـتقيم. (إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) (المزمل آية 19) (الإنسان آية 29)_ (إن ربى على صراط مستقيم) (هـود آية 56) **(قال هذا صراط على مستقيم)** (الحجر آية 41) وردت كلمة الصـراط في القــرآن مفــردة ولم تــرد مجتمعة أبــداً بخلاف السبيل فقد وردت مفردة ووردت جمعا (سبل) لان الصراط هو الأوسع وهو الذي تفضي إليه كل السبل **(فاتبعوه ولا تتبعـوا** السبل فتفرق بكم عن سبيله) (الأنعام 153) (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) (المائدة 16)ـ (والـذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) (العنكبوت 69) (هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة) (يوسف آية 108) الصراط هو صـراط واحد مفـرد لأنه هو طريق الإسـلام الـرٍحب الواسع الـذي تفضي إليه كل السبل واتباع غير هذا الصراط ينأى بنا عن المقصود

¹³⁾ يقول الدكتور أحمد الكبيسي في كلمة الصراط وأخواتها في القرآن الكريم في برنامجه الكلمة وأخواتها في القرآن الكريم على قناة دبي الفضائية في شرح كلمة الصراط وأخواتها في القرآن الكريم وكيف أن كل كلمة منها وردت في القرآن في مكانها المناسب والمعنى الذي تأتي به كل كلمة لا يمكن أن يكون إلا من عند العلي العظيم الذي وضع كل كلمة بميزانها وبمكانها الذي لا يمكن لكلمة أخرى أن تأتي بنفس معناها :

ثم زاد هذا الصراط توضيحا وبيانا بعد وصفه بالاستقامة وتعريفه بأل بقول (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) جمعت هذه الآية كل أصناف الخلق المكلفين ولم تستثني منهم أحداً فذكر:

الذّينُ انعم الله عليهم هم الذين سلكوا الصراط المستقيم وعرفوا الحق وعملوا بمقتضاه.

مرادفات كلمة الطريق تأتي على النحو التالي: **إمام - صراط - طريق - سبيل -**ن**هج - فج - جدد (جمع جادة) - نفق**

وجاء معنى كل منها العام على النحو التالي:

اَمام: وهو الطريق العام الرئيسي الدولي الذي يربط بين الدول وليس له مثيل وتتميز أحكامه في الإسلام بتميز تخومه. وقدسية علامات المرور فيه هي من أهم صفاته وهو بتعبيرنا الحاضر الطريق السريع بين المدن (Highway). وقد استعير هذا اللفظ في القرآن الكريم ليدل على الشرائع (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) (الإسراء آية 71) أي كل ما عندهم من شرائع وجاء أيضا بمعنى كتاب الله (وكل شئ أحصيناه في إمام مبين) (يس آية 12)

صراط: هو كل ممر بين نقطتين متناقضتين كضفتي نهر أو قمتي جبلين أو الحق والباطل والضلالة والهداية في الإسلام أو الكفر والإيمان. والصراط واحد لا يتكرر في مكان واحد ولا يثنى ولا يجمع. وقد استعير في القرآن الكريم للتوحيد فلا إله إلا الله تنقل من الكفر إلى الإيمان (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم) (الأنعام آية 161) (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) مستقيم) (الأنعام آية 93) (اهدنا الصراط المستقيم) (الفاتحة آية 7) (فاتبعني أهدك صراطا سويا) (مريم آية 43) (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) (المؤمنون آية 74)

والصراط عموما هو العدل المطلق لله تعالى وما عداه فهو نسبي. (إن ربي على صراط مستقيم) (هود آية 56) والتوحيد هو العدل المطلق وما عداه فهو نسبي. سبيل: الطريق الذي يأتي بعد الصراط وهو ممتد طويل آمن سهل لكنه متعدد (سبل جمع سبيل) (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) (العنكبوت آية 69)السبل متعددة ولكن شرطها أن تبدأ من نقطة واحدة وتصب في نقطة واحدة عند الهدف. وفيه عناصر ثلاث: ممتد، متحرك ويأخذ إلى غاية.

و المذاهب في الإسلام من السبل كلها تنطلق من نقطة واحدة وتصل إلى غاية واحدة. وسبل السلام تأتي بعد الإيمان والتوحيد بعد عبور الصراط المستقيم. ولتقريب الصورة إلى الأذهان فيمكن اعتبار السبل في عصرنا الحاضر وسائل النقل المتعددة فقد ينطلق الكثيرون من نقطة واحدة قاصدين غاية واحدة لكن منهم من يستقل الطائرة ومنهم السيارة ومنهم الدراجة ومنهم الدواب وغيرها.

واستخُدمت كلمة السبيل في القرآن بمعنى حقوق في قوله (ليس علينا في الأميين سبيل) (آل عمران آية 75)

وابن السبيل في القرآن هو من انقطع عن أهله انقطاعا بعيدا وهدفه واضح ومشروع كالمسافر في تجارة أو للدعوة فلا تعطى الزكاة لمن انقطع عن أهله بسبب غير مشروع كالخارج في معصية أو ما شابه.

طريق:الطريق يكون داخل المدينة وللطرق حقوق خاصة بها وقد سميت طرقا لأنها تطرق كثيرا بالذهاب والإياب المتكرر من البيت إلى العمل والعكس. والطريق هي

الذين عرفوا الحق وخالفوه (المغضوب عليهم) ويقول قسم من المفسرين أنهم العصاة.

الـــذينَ لَم يُعرفــوا الحق وهم الضـالين (قل هل أنــبئكم بالأخسرين أعمالا الـذين ضل سعيهم في الحياة الـدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (الكهف آية 103-104) هذا الحسبان لا ينفعهم إنما هم من الأخسرين.

ولا يخـرج المكلفـون عُن هـذه الأَصـناف الثَّلاثة فكل الخلق ينتمي لواحد من هذه الأصناف.

<u>وُقال تعالى (صراط الـذين أنعمت عليهم) ولم يقل تنعم</u> عليهم فلماذا ذكر الفعل الماضى؟

اختار الفعل الماضي على المضارع أولاً: ليتعين زمانه ليبين صراط الذين تحققت عليهم النعمة (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع السنين والصديقين مع السنين والصديقين والسدين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) (النساء آية 69) صراط الذين أنعمت عليهم يدخل في هؤلاء. وإذا قال تنعم عليهم لأغفل كل من انعم عليهم سابقا من رسل الله والصالحين ولو قال

العبادات التي نفعلها بشكل دائم كالصلاة والزكاة والصوم والحج والذكر. (يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) (الأحقاف آية 30)

نهج: وهو عبارة عن ممرات خاصة لا يمر بها إلا مجموعة خاصة من الناس وهي كالعبادات التي يختص بها قوم دون قوم مثل نهج القائمين بالليل ونهج المجاهدين في سبيل الله ونهج المحسنين وأولي الألباب وعباد الرحمن فكل منهم يعبد الله تعالى بمنهج معين وعلى كل مسلم أن يتخذ لنفسه نهجا معينا خاصا به يعرف به عند الله تعالى كبر الوالدين والذكر والجهاد والدعاء والقرآن والإحسان وغيرها (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (المائدة آية 48) وإذا لاحظنا وصفها في القرآن وجدنا لها ثلاثة صفات والإنفاق فيها صفة مشتركة.

1- نهج المستَغفَرينَ بالنَّسحار: (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) (الذاريات آية 17 - 19)

2- ونهج أهل التهجد: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) (السجدة آية 16)

3- ونهج المحسنين: (الذين ينفقون بالسراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) (آل عمران آية 134)

<u>فح</u>: وهو الطريق بين جبلين (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) (الحج آية 27)

جادة: وتجمع على جدد كما وردت في القرآن الكريم **(ومن الجبال جدد بيض وحمر)** (فاطر آية 27) والجادة هي الطريق الذي يرسم في الصحراء أو الجبال من شدة الأثر ومن كثرة سلوكهِ.

نِفقِ: وهُو الطّريقُ تحت الأرض (فان استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض) (الأنعام آية 35)

تنعم عليهم لم يــدل في النص على انه سـبحانه انعم على احد ولاحتمل أن يكون صراط الأولين غير الآخرين ولا يفيد التواصل بين زمر المؤمنين من آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة. مثال: اذا قلنا أعطيني ما أعطيت أمثالي فمعناه أعطيني مثل ما أعطيت سابقا، ولو قلنا أعطيني ما تعطي أمثالي فهي لا تـدل على أنه أعطى أحداً قبلى.

ولو قال " تنعم عليهم " لكان صراط هؤلاء اقل شأنا من صراط الذين أنعم عليهم فصراط الذين انعم عليهم من أولي العزم من الرسل والأنبياء والصديقين أما الذين تنعم عليهم لا تشمل هؤلاء. فالإتيان بالفعل الماضي يدل على انه بمرور الزمن يكثر عدد الذين انعم الله عليهم فمن ينعم عليهم الآن يلتحق بالسابقين من الذين انعم الله عليهم فهم زمرة انعم الله عليهم فهم زمرة كبيرة من أولي العزم والرسل وأتباعهم والصديقين وغيرهم وهكذا تتسع دائرة المنعم عليهم ، أما الذين تنعم عليهم تختص بوقت دون وقت ويكون عدد المنعم عليهم قليل لذا كان قوله سبحانه أنعمت عليهم أوسع وأشمل واعم من الذين تنعم عليهم.

<u>لمـاْذا قَـالَ صـراطً الـذينَ أنعمَت عليهم عـير المغضـوب</u> عليهم ولا الضالين؟

أي لمـاذاً عـبر عن الـذين أنعم عليهم باسـتخدام الفعل (أنعمت) والمغضوب عليهم والضالين بالاسم؟

الًاسم يـلَّدل على الشَّمولُ ويشَملُ سَائرِ الأَزمنة من المغضوب عليهم والدلالة على الثبوت. أما الفعل فيدل على التجدد والحـدوث فوصفه أنهم مغضوب عليهم وضالون دليل على الثبوت والدوام.

إذن فلماذا لم يقل المنعم عليهم للدلالة على النبوت؟ لو قال صراط المنعم عليهم بالاسم لم يتبين المعنى أي من الذي أنعم إنما بين المنعم (بكسر العين) في قوله (أنعمت عليهم) لأن معرفة المنعم مهمة فالنعم تقدر بمقدار المنعم (بكسر العين) لذا أراد سبحانه وتعالى أن يبين المنعم ليبين قدرة النعمة وعظيمها ومن عادة القرآن أن ينسب الخير إلى الله تعالى وكذلك النعم والتفضل وينزه نسبة السوء إليه سبحانه (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشيدا) (الجن آية أريد بمن في الأرض أم أراد بهم أعمالهم فهم يعمهون) (النمل يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون) (النمل أية 4) لكن لا يقول زينا لهم سوء أعمالهم (زين لهم سوء أعمالهم) (التوبة آية 37) (زين للناس حب الشهوات) (آل

عمران آية 14) (وزين لغرعون سوء عمله). (غافر آية 78) (أفمن زين له سـوء عمله) (فـاطر آية 8). (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) (الأنفال آية 48) أما النعمة فينسبها الله تعالى إلى نفسه لأن النعمة كلها خـير (ربي بما أنعمت علي) (القصص آية 17) (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) (الزخـرف آية 59) (وإذا أنعمنا على الإنسـان أعـرض ونئا بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوسـا) (الإسـراء آية 83) ولم ينسب سـبحانه النعمة لغيره إلا في آية واحدة (وإذ تقول للذي انعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجـك) (الأحــزاب آية 37) فهي نعمة خاصة بعد نعمة الله تعالى عليه.

لماذا قال " المغضوب عليهم " ولم يقل أغضبت عليهم؟ جاء باسم المفعول وأسنده للمجهول ولذا ليعم الغضب عليهم من الله والملائكة وكل الناس حتى أصدقاؤهم يتبرأ بعضهم من بعض حتى جلودهم تتبرأ منهم ولذا جاءت المغضوب عليهم لتشمل غضب الله وغضب الغاضبين.

غير المغضوب عليهم ولا الضالين: لم كرر لا؟ وقال غير المغضوب عليهم والضالين؟ إذا حذفت (لا) يمكن أن يُفهم أن المباينة والابتعاد هو فقط للذين جمعوا الغضب والضلالة فقط ، أما من لم يجمعها (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فلا يدخل في الاستثناء ، فإذا قلنا مثلا : لا تشرب الحليب واللبن الرائب (أي لا تجمعهما) أما إذا قلنا : لا تشرب الحليب ولا تشرب اللبن الرائب كان النهى عن كليهما إن اجتمعا أو انفردا.

فلم أذاً قدم إذن المغضوب عليهم على الضالين؟ المغضوب عليهم: الـذين عرفوا ربهم ثم انحرفوا عن الحق وهم اشد بعدا لان ليس من علم كمن جهل لـذا بـدأ بالمغضوب عليهم وفي الحديث الصحيح أن المغضوب عليهم هم اليهود وأما النصارى فهم الضالون. واليهود أسبق من النصارى ولـذا بـدأ بهم واقتضى التقديم.

وصفة المغضوب عليهم هي أول معصية ظهرت في الوجود وهي صفة إبليس عندما أمر بالسجود لآدم عليه السلام وهو يعرف الحق ومع ذلك عصى الله تعالى وهي أول معصية ظهرت على الأرض أيضاً عندما قتل ابن آدم أخاه فهي إذن أول معصية في الملأ الأعلى وعلى الأرض (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجيزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه) (النساء آية 93) ولذا بدأ

بها.

أما جعل المغضـوب عليهم بجـانب المنعم عليهم فلأن المغضـوب عليهم مناقض للمنعم عليهم والغضب مناقض للنعم.

خاتمة سورة الفاتحة هي مناسبة لكل ما ورد في السورة من أولها إلى آخرها فمن لم يحمد الله تعالى فهو مغضوب عليه وضال ومن لم يحمد الله تعالى فهو مغضوب عليه وضال ومن لم يحمد الله سبحانه وتعالى مالك يوم الدين وملكه ومن لم يخص الله تعالى بالعبادة والاستعانة ومن لم يهتد إلى الصراط المستقيم فهم جميعاً مغضوب عليهم وضالون.

ولقد تضمنت السورة الإيمان والعمل الصالح، الإيمان بالله (الحمد لله رب العالمين) واليوم الآخر (مالك يوم السدين) والملائكة والرسل والكتب (اهدنا الصراط المستقيم) لما تقتضيه من إرسال الرسل والكتب. وقد جمعت هنذه السيورة توحيد الربوبية (رب العالمين) وتوحيد الإلوهية (إياك نعبد وإياك نستعين) ولذا فهي حقاً أم الكتاب.

لمسات بيانية في آية الكرسي

(اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَـوْمُ لَّهُ مَا فِي اللَّرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْــفَعُ كِنْــدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِــهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْــدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُخْلِطُـونَ بِشَــيْءٍ مِّنْ عِلْمِـهِ إِلاَّ بِمَا شَـاء وَسِـعَ كُرْسِـيُّهُ السَّــمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَـــؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُـــوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)

آية الكرسي هي سيدة آي القرآن الكريم. بدأت الآية بالتوحيد ونفي الشرك وهو المطلب الأول للعقيدة عن طريق الإخبار عن الله. بدأ الإخبار عن الذات الإلهية ونلاحظ أن كل جملة في هذه الآية تصح أن تكون خبراً للمبتدأ (الله) لآن كل جملة فيها ضمير يعود إلى الله سبحانه وتعالى: الله لا تأخذه سنة ولا نوم، الله له ما في الأرض، الله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، الله يعلم مابين أيديهم وما خلفهم، الله لا يحيطون بعلمه إلا

بما شــاء، **الله** وسع كرســيّه الســموات والأرض، **الله** لا يــؤده حفظهما وهو العلي العظيم.

- قوله (**اللّهُ لاَ إِلَّهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**) :

الحيَّ معرّفة والقيَّوم معرّفة. والحي هو الكامل الإتصاف بالحياة ولم يقل حيّ لأنها تفيد أنه من جملة الأحياء. فالتعريف بـ(ال) هي دلالة على الكمال والقصر لأن ما سواه يصيبه الموت. والتعريف قد يأتي بالكمال والقصر، فالله له الكمال في الحياة وقصراً كل من عداه يجوز عليه الموت وهو الذي يفيض على الخلق بالحياة. فالله هو الحيّ لا حيّ سواه على الحقيقة لآن من سواه يجوز عليه الموت.

القيّـوم: من صليغ المبالغة (على وزن فيعال وفيعول من صليغ المبالغة وهي ليست من الأوزان المشهورة) هي صيغة المبالغة من القيام ومن معانيها القائم في تلديير أمر خلقه في إنشائهم وتدبيرهم، ومن معانيها القائم على كل شيء ، ومن معانيها الذي لا ينعس ولا ينام لأنه إذا نعس أو نام لا يكون قيّوما ومن معانيها القائم بذاته وهو القيّوم جاء بصيغة التعريف لأنه لا قيّوم سواه على الأرض حصراً

- قُولُهُ (لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ) :

سنة هي النعاس الذي يتقدم النوم ولهذا جاءت في ترتيب الآية قبل النوم وهذا ما يعرف بتقديم السبق، فهو سبحانه لا يأخذه نعاس أو ما يتقدم النوم من الفتور أو النوم. المتعارف عبيه يأتي النعاس ثم ينام الإنسان. ولم يقل سبحانه لا (تأخذه سنة ونوم) أو اسنة أو نوم) ففي قوله سنة ولا نوم ينفيهما سواءً اجتمعا أو افترقا لكن لو قال سبحانه سنة ونوم فإنه ينفي الجمع ولا ينفي الإفراد فقد تأخذه سنة دون النوم أو يأخذه النوم دون السنة.

- قُولَه (لِّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)
دلالة (ما): ما تفيد ذوات غير العاقل وصفات العقلاء، إذن لمّا قال (له ما) جمع العقلاء وغيرهم ولو قال (من) لخصّ العقلاء. (ما) أشمل وعلى سبيل الإحاطة. قال (ما في السموات وما في الأرض) أولاً بقصد الإحاطة والشمول، وثانياً قدّم الجار والمجرور على المبتدأ (له ما في السموات) إفادة القصر أن ذلك له حصراً لا شريك له في الملك (ما في السموات والأرض ملكه حصراً قصراً فنفى الشرك). وجاء ترتيب (له ما في السموات وما في الأرض) بعد (الحيّ القيّوم) له دلالة خاصة: يدلّ على أنه قيوم على ملكه الذي لا يشاركه فيه أحد غيره وهناك فرق بين من يقوم على ملكه الذي لا يشاركه فيه أحد غيره وهناك فرق بين من يقوم على ملكه

ومن يقوم على ملك غيره فهذا الأخير قد يغفل عن ملك غيره أما الـذي يقـوم على ملكه لا يغفل ولا ينـام ولا تأخـذه سـنة ولا نـوم سـبحانه. فله كمـال القيوميـة. وفي قوله (له ما في السـموات وما في الأرض) تفيد التخصــيص فهو لا يــترك شــيئاً في الســموات والأرض إلا هو قائم عليه سبحانه.

- قوله (مَن ذَا الّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْبِهِ)
دلالة واضحة على تبيان ملكوت الله وكبريائه وأن أحداً لا يملك أن يتكلم إلا بإذنه ولا يتقدم إلا بإذنه مصداقاً لقوله تعالى: (لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) هذا الجزء من الآية والجزء الذي قبلها (له ما في السموات وما في الأرض) يدل على ملكه وحكمه في الدنيا والآخرة لأنه لمّا قال (له ما في السموات وما في الأرض) يشمل ما في الدنيا وفي قوله (لمن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) هذا في الآخرة وأخرجه مخرج الإستفهام الإنكاري لأنه أقوى من النفي. والآخرة وأخرجه مخرج الإستفهام الإنكاري لأنه أقوى من النفي. فدلّ هذا على ملكوته في الدني والذي يستشفع عنده حيّ والذي لا يستطيع أحد أن يتقدم إلا بإذنه يجعله قائم بأمر خلقه وكلها تؤكد معنى أنه الحيّ القيّوم.

من ذا: فيها احتمالين كما يذكر أهل النحو: فقد تكون كلمة واحـدة بمعنى (من) استفهامية لكن (من ذا) أقوى من (من) لزيـادة مبناها (يقال في النحو: زيادة المبـنى زيـادة في المعـنى)ز فقد نقـول من

حضر ، ومن ذا حضر؟

لماذا الإختلاف في التعبير في قصة إبراهيم في سورة الصافات (ماذا تعبدون)؟ في الأولى (ماذا تعبدون)؟ في الأولى استعمال (ماذا) أقوى لأن إبراهيم لم يكن ينتظر جواباً من قومه فجاءت الآية بعدها (فما ظنكم برب العالمين)، أما في الشعراء فالسياق سياق حوار فجاء الرد (قالوا نعبد أصناماً). إذن (من ذا) و(ماذا) أقوى من (من) و(ما).

(من ذا) قد تكون كلمتان (من) مع اسم الإشارة ذا (من هذا) يقـال : : من ذا الواقف؟ من الواقف؟ ومن هذا الواقف؟ فـ (من ذا الذي) تأتي بالمعنيين (من الذي) و(من هذا الـذي) باعتبـار ذا اسم إشـارة

فجمع المعنيين معاً.

في سورة الملك قوله: (أمّن هذا الذي هو جند لكم) هذا مكون من (هـ) للتنبيه والتوكيد و(ذا) اسم الإشارة وكـذلك (هـؤلاء) هي عبارة عن (هـ) و(أولاء) . فالهـاء تفيد التنبيه والتوكيد فـإذا كـان الأمر لا يدعو إليها لا يـأتي بها فلنسـتعرض سـياق الآيـات في سـورة الملك

مقابل آية الكرسي: آيات سورة الملك في مقام تحدي فهو أشد وأقوى من سياق آية الكرسي لأن آية سورة الملك هي في خطاب الكافرين أما آية الكرسي فهي في سياق المؤمنين ومقامها في الشفاعة والشفيع هو طالب حاجة يرجو قضاءها ويعلم أن الأمر ليس بيده وإنما بيد من هو أعلى منه. أما آية سورة الملك فهي في مقام الند وليس مقام شفاعة ولذلك جاء بـ(هـ) التنبيه للإستخفاف بالشخص الذي ينصر من دون الرحمن (من هو الذي ينصر من دون الرحمن) وهذا ليس مقام آية الكرسي. والأمر الآخر أن التعبير في الملك دلت على الإشارة فقط ولو قال من الذي لفات قوة الإستفهام والإشارة بينما آية الإشارة. ولا يوجد تعبير آخر أقوى من (من ذا) لكسب المعنيين قوة الإستفهام والإشارة معاً بمعنى (من الذي يشفع ومن هذا الذي يشفع).

- قوله (ِ**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**)

يعلم ما أمـــامهم مســتقبّلاً وما وراءهم والمقصود إحاطة علمه بأمورهم الماضية والمستقبلية ويعلم أحـوال الشـافع الـذي يشـفع ودافعه ولمـاذا طلب الشـفاعة ويعلم المشـفوع له وهل يسـتحق لم تحلة الملك حذا علم فوذه الدلالة الأبلية

استجابة الطلب هذا عام فهذه الدلالة الأوليةِ.

في سـورة مـريم قـال تعـالى: (له ما بين أيـدينا وما خلفنا وما بين ذلك) فما الحكمة أنها لم تـرد على هـذا الأسـلوب في آية الكرسي؟ في سورة مريم سياق الآيات عن الملك (ولهم رزقهم فيها، تلك الجنة الـتي نـورث من عبادنا، رب السـموات والأرض..) الـذي يـرزق هو الـذي يـورّث فهو مالك وقوله رب السـموات فهو مالكهم) أما في سـورة آية الكرسي فالسـياق عن العلم (يعلم ما بين أيـدينا) وبعد هـذه الجملة يـأتي قوله (ولا يحيطـون بلمه إلا بما شاء) أي أن السياق في العم لذا كان أنسب أن تـأتي (يعلم ما بين أيـدينا وما خلفنا) وهـذه الجملة هي كما سـبق توطئة لما سيأتي بعدها.

- قوله (وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء)
ما هي فائدة (ما)؟ هي تحتمل معنيين في اللغة هنا تحتمل أن
تكون مصدرية بمعنى (لا يحيطون بشيء من علمه إلا بمشيئته)
وتحتمل أن تكون اسما موصولاً بمعنى (إلا بالذي شاء) وهنا جمع
المعنيين أي لا يحيطون بعلمه إلا بمشيئته وبالذي يشاؤه أي بالعلم
الذي يريد وبالمقدار الذي يريد المقدار الذي يشاؤه نوعاً وقدراً.

وبالقدر الذي يشاؤه والبشر لا يعلمون البديهيات ول أنفسهم ولاً علموا أنفسهم، فهو الذي شاء أن يعلم الناس أنفسهم ووجودهم والبديهيات التي هي أساس كل علم. من سواه ما كان ليعلم شيئاً لولا أن أراد الله تماماً كما في قوله في سورة طه: (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً) أي بذاته في المعنى. إذن لماذا ذكر نفي الإحاطة بالذات في سورة طه ونفي الإحاطة بالعلم في آية الكرسي؟ في سورة طه جاءت الآية تعقيباً على عبادة بني إسرائيل للعجل وقد صنعوه بأيديهم وأحاطوا به علماً والله لا يحاط به، لقد عبدوا إلها وأحاطوا به علما فناسب أن لا يقول العلم وإنما قال (ولا يحيطون به علماً) أما في آية الكرسي فالسياق جاء في العلم لذا قال تعالى (لا يحيطون بشيء من علمه) .

- قوله (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ)

دلّ أُولاً علَى أَنه مَن ملكه (السموات والأرض من ملكه) وقبل هذه الجملة قال تعالى (له ما في السموات وما في الأرض) فـدلّ على أن الـذي فيهما هو ملكه أيضاً لأن المالك قد يملك الشـيء لكن لا يملك ما فيه وقد يكون العكس. فبدأ أولاً (له ما في السموات وما في الأرض) أي أن ما فيهما ملكه لم يـذكر أن السـموات والأرض ملكه وهنا ذكر أن السـموات والأرض وما فيهما هو ملكـه. وإن الكرسي وسع السـموات والأرض كما ورد في الحـديث القدسي (السـموات والأرض كما ورد في الحـديث القدسي في فلاة في العـرش، والكرسي كحلقة في فلاة في العـرش، والكرسي كحلقة في فلاة في العـرش، والكرسي كحلقة

فما الحكمة من استخدام صيغة الماضي في فعل (وسع)؟ الحكمة أن صيغة الماضي تدلّ على أنه وسعهما فعلاً فلو قال يسع لكان فقط إخبار عن مقدار السعة فعندما نقول تسع داري ألف شخص فليس بالضرورة أن يكون فيها ألف شخص ولكن عندما نقول وسعت داري ألف شخص فهذا حصل فعلاً .تسع : تعني إخبار ليس بالضرورة حصل، لكن وسع بمعنى حصل فعلاً وهذا أمر حاصل فعلاً.

ِ قوله (**وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**)

أي لا يثقله ولا يجهده وجاء بـ (لا) للدلالة على الإطلاق لا تـدل على الزمن المطلق وإن كان كثير من النحاة يجعلونها للمستقبل لكن الأرجح أنها تفيد الإطلاق (لا يمكن أن يحصــل) . والعليّ من العلو والقهر والتسـلط والغلبة والملك والسـلطان والعلو عن النظـير والمثيل. والعظيم من العظمة وقد عرّفهما ــ (أل التعريف) لأنه لا علي ولا عظيم على الحقيقة سواه فهو العليّ العظيم حصراً.

وهذين الوصفين وردا مرتين في ملك السموات والأرض في آية الكرسي في سورة البقرة، وفي سورة الشوري (له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم) والأمرين في ملك السموات والأرض بما يدل على العلو والعظمة حصراً له سبحانه. الملاحظ في آية الكرسي أنها ذكرت في بدايتها صفتين من صفات الله تعالى (الحيّ القيّوم) وانتهت بصفتين (العليّ العظيم) وكل حملة في الآية تدل على أنه الحيّ القيّوم والعليّ العظيم سبحانه تقدست صفاته. فالذي لا إله إلا هو ؛ هو الحي القيوم ؛ والذي لا أخذه سنة ولا نوم هو حيّ وقيّوم والذي له ما في السموات وما في الأرض أي المالك والذي يدبر أمر ملكه هو الحيّ القيوم والذي لا يشفع عنده هو الحي القيوم والذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحاط بشيء من علمه هو الحيّ القيّوم القيّم أيديهم والذي يعلم ما بين على الآخرين والدي وسع كرسيه السموات والأرض هو الحيّ القيّوم القيّوم القيّوم القيّوم والذي لا يؤده حفظهما هو الحيّ القيّوم لأن الذي يحفظ هو الحي القيوم وهو العلى العظيم.

والحي القيوم هو العلي العظيم والذي لا تأخذه سنة ولا نوم والـذي له ما في السموات والأرض والـذي لا يشـفع عنـده إلا بإذنه والـذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والذي لا يحاط بعلمه إلا بما شـاء هو العليّ العظيم فكل جملة في آية الكرسي المباركة تـــدلّ على أنه

الحيّ القيّوم والعلى العظيم.

الخطوط التعبيرية في الآية: الملاحظ في الآية أنها تذكر من كل الأشياء اثنين اثنين، بدأها بصفتين من صفات الله تعالى (الحي القيوم) وذكر اثنين من النم(سنة ونوم) وكرّر (لا) مرتين (لا تأخذه سنة ولا نوم) وذكر اثنين في الملكية(السموات والأرض) وكرر (ما) مرتين وذكر اثنين من علمه في (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) وذكر اثنين مما وسعه الكرسي (وسع كرسيه السموات والأرض) ختي الآية الذي المناسبة المناسبة السموات والأرض)

وختم الآية باثنين من صفاته (العليّ العظيم). وقد وبد اسوين من أسرواء الله الحسرة، ويرتبر

وقد ورد اسمين من أسماء الله الحسنى مرتين في القرآن: في سورة البقرة (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ومرة في سورة (آل عمـران) في الآية الثانية (الله لا إله إلا هو الحي القيـوم) (لاحظ الـرقم 2). والعلي العظيم وردت في القـرآن مـرتين في القـرآن أيضاً مرة في سورة البقرة ومرة (له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم) في سـورة الشـورى في الآية الرابعة (أربع أسماء في الآية الرابعة).

الدلالة: القرآن هو تعبير فني مقصود كل لفظة وكل عبـارة وردت فيه لعظة على حروفها وهو مقصود قصداً.

لٍمسات بيانية في الإسراء والمعراج

أُولاً : الإسراء: اَسُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَـرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [] سورة الإسراء آية 1

حُقّت السورة كلها بالتسبيح والتحميد قبلها وبعدها ولعل في هذا إشارة إلى أنه ☐ سيئقل إلى مكان وعالَم كله تسبيح: سورتي النحل (أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا النحل (أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَبْدِهِ يُشْرِكُونَ) وسورة الكهف (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أُنـزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا)، وآياتها حُقّت بالتسبيح والتحميد في بدايتها بالآية 1 وفي آخرها (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِـدُ في بدايتها بالآية 1 وفي آخرها (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ النَّذِي لَمْ يَتَّخِـدُ اللّهِ وَلَمْ يَكُن لّهُ وَلِيٌّ مِّنَ مِّنَ في الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لّهُ وَلِيُّ مِّنَ مِّنَ اللّهُ وَلَمْ يَكُن لّهُ وَلِيُّ مِّنَ مِن اللّهُ في اللّهُ اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهِ عَلَى أَلهُ اللّهِ عَلَى أَن اللّهُ عَلَى أَن يُعـرج به ☐ إلى أُواخر سـورة النحل (إِنَّ اللّه مَـعَ الّذِينَ النَّقَـوا وَالّذِينَ هُم عَلَى أَنـواع المعيّة أَن يُعـرج به ☐ إلى مَيْتُ مَن يُحبه بعدما لاقى من الأذى ما لاقاه من قومه وهـذه أعلى معيّة للرسـول ☐ وكأنه هو أعلى من الـذين اتقـوا والـذين هم معيّة للرسـول ☐ وكأنه هو أعلى من الـذين اتقـوا والـذين هم محسنون.

بداية السورة: سبحان: كما هو معروف لغوياً سبحان هي إما اسم مصدر أو عَلَمٌ على التسبيح. ولقد ورد التسبيح في القرآن الكريم في سور شتى فورد بصيغة الفعل الماضي (سبح لله) وفعل مضارع (يُسبح لله) أو فعل أمر (فسبح باسم ربك) وورد بتعدية الفعل نفسه (سبح اسم ربك الأعلى) (وتسبحوه بكرة وأصيلا) وبالباء (فسبح باسم ربك) وورد بلفظ تسبيح وتسبيح وأصيلا) وبالباء (فسبح باسم ربك) وورد بلفظ تسبيح وتسبيح اسمه (سبح اسم ربك) فنحن نسبحه ونسبح له ونسبح باسمه

ونسبّح بحمدة (فِسبّح بحمد ربك واستغفرة) وباللام.

سبحان الذي أسرى: المجيء بالمصدر يفيد الإطلاق بدون تقيد الإطلاق بدون تقيد بين أو بفعل أو بفاعل تسبيح مطلق قبل تسبيح أحد لا بفاعل معين ولا بنزمن معين قبل خَلق المسبتحين أصلاً. والإفتتاح بساستحان " طبع السورة بجو التسبيح وشاع فيه ذكر التسبيح (سبحانه وتعالى عمّا يقولون علواً كبيرا) (تسبح له السموات

الســبع والأرض) (وإن من شــيء إلا يســبح بحمــده) وهي أوسع وأشمل توسيع على الإطلاق.

الفعل عادة مقيّد بزمن ومقيّد بفاعل فعندما قال تعالى (سبحان الـذي أسـرى) كان مطلقاً قبل وبعد تسبيح المسبّحين لا بفاعل معين وزمن معيّن إنما له التســــــبيح المطلق قبل أن يخلق المسبحين أصلاً. فالإطلاق في التسبيح في السـورة متناسب جـداً مع ما جاء في أول السورة (سبحان الـذي) وهو التسبيح المطلـق. وليس هناك في القرآن كله سورة شاع فيها التسبيح كما شـاع في سورة الإسراء ولا توجد سورة تضاهيها في التسبيح ولعلها إشـارة إلى أن الرسول السينتقل إلى عـالم وجو مليء بالتسبيح (الـذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون) فالسورة إذن مشحونة بالتسـبيح. وأسـرى تفيد المشي ليلاً وقد يكــون من معانيها التســرية عن الرسول الليل والنهار لا يفترون) فالسورة إذن مشحونة بالتســرية عن في الطائف فـأراد الله تعـالي أن يُسـرّي عن رسـوله ويريه كيف تكـون حفاوته في السماء بعد أن هـان على الكفّـار في قـريش والطـائف فـآذوه ولم ينصروه هذا والله أعلم.

بعبده: لم يقل برسوله ولا بمحمد وإنما قال بعبده الإختيار لكلمة (بعبده) له جملة مُعانِي أُولها: أن الْإنسان مهما عِظُمُ لا يعدو أن يكون عبداً لله تعالى لا ينبغي لأحد أن يـدّعي مقامـاً ليس للآخـرين وحـــتي لا يُعظّم أكــثر مما ينبغي (كما فعل النصــاري بعيسي 🛮) فاختيار كلمة عبد حتى لا يُدعى له مقام غير مقام العبودية. فمقـام العبودية لله هو أعلى مقام للِخلق وأعلى وسام يُنعم الله تعـالي به على عباده الصالحين تماماً كما وصفت الآيات نوح 🛘 (إنه كان عبـدلًا شـكورا) وأيـوب (نعم العبد إنه أوّاب) والرسـول 🛘 (وإنه لمّا قام عبد الله يدعوه). والعبودية نوعان: قسرية واختيارية، فالعبودية القسرية تتحقق شاء أم أبي (إن كل من في السـموات والأرض إلا آتي الرحمن عبـدا) سـورة مـريم أما العبودية الإختيارية فهي أعلى مقـام العبودية ولمّا ذُكر موسى 🏻 ذكـره الله تعـالي باسـمه وأعلى مقـام لموسى كـان في المناجـاة (ولما جـاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) إلى قوله (خرّ موسى صعقا) لم يكن ليقل خرّ عبدنا موسِي أو جاء عبدنا موسى فِلا يجوز أن ينسب العبودية له ثم يخرّ صعَقاً هـذاً لِا يحدثِ ولا يجوزِ أصلاً، أما الرسول 🏻 عنـدما ذكر بصـورة العبودية أعقبها أنه عُـرج به إلى السِـماء وإلى سـدرة المنتهى وخاطبه ربه بمقام لم يصلَ إليه أحد إلاّ هو 🛘 فلذا كان استعمال كلمة (بعبـده).

دلالة على زيادة التشـريف له 🛘 والبـاء أيضـاً إضـافة تشـريف وهي تدلّ على الرِعاية والحفظ مثل قوله تعالى (فأوحى إلى عبده).

ليلاً: كلمة أسرى معناها ليلاً لأن الإسراء لا يكون إلا ليلاً (ظرف مسركّب) حيتى نفهم أن الرحلة الطويلة من اليبيت الحرام إلى المسجد الأقصى والعروج إلى السماء كانت كلها في جزء من الليل وقد جاءت كلمة (ليلاً) بدل الليل لأن الليل تدل على الليل كله أما الإسراء فقد تم في جزء من الليل فقط وليس الليل كله.

من المكان ويكفي تسمية المسجد الحرام: أي من عين المكان ويكفي تسمية المسجد الحرام يعني أن لا يحدث فيه سوء. أكثر العلماء يقولون أن الإسراء لم يتم من المسجد الحرام وإنما من بيت أم هانئ وفي هذا التفاتة إلى أن مكة كلها حرم.

المسجد الْأَقْصِى: لم يكْن آنَذاٰك مسجداً لكن هذا إشارة إلى أنه

سیکون مسجدا.

ياركنا حوله: أسند تعالى المباركة لنفسه للدلالة على التعظيم ولم يقل بورك حوله والنون للعظمة لم يقل باركناه بل قال باركنا حوله لأنه لو قال باركناه لانحصرت المباركة بالمسجد فقط أما باركنا حوله فهو يشمل كل ما حوله وهو تعظيم للمسجد نفسه ولكنه إشارة أن المباركة حول المسجد أيضاً. ولم يقل باركنا ما حوله لأنها عندئذ تعني الأشياء فإذا زادت الأشياء زادت المباركة وإذا ذهبت ذهبت المباركة لكن المباركة كانت مطلقة تشمل أشياء معنوية ومادية وروحانية بما أودع الله تعالى من رزق وخير وإرسال الرسل ولا تختص المباركة بشيء معين واحد وإنما تشمل كل هذه الأشياء.

لنريه: التفات لأسلوب المتكلم بعد أن ابتدأ بالغائب (سبحان الذي أسرى) التفت سبحانه للمتكلم ليدل على أن المتكلم هو الله تعالى وليس شخصاً يُخبر عنه إنما كان من الله تعالى مباشرة. وكلمة (لنُريه) تدل على أن أفعاله سبحانه معلّلة ولغرض معيّن ولحكمة قد يذكرها وقد يخفيها عنّا سبحانه وكأن هذه الرحلة معدّ لها.

من آیاتنا: أي مقرر ومُعدّ أن يرى بعض الآيات وليس كلها ولنريه: إسناد الفعل لله تعالى وشدة احتفائه برسـوله ☐ ولم يقل لـيرى أو ليُرى إنما جاءت (لنُريه) وهذا إكـرام وتشـريف آخر من الله تعـالى لرسوله ☐ في هذا الرحلـة. وإضافة الآيات إلى نفسه تعـالى تـأتي من باب الإحتفاء بالرسول ☐ .

إنه هو السميع البصير: عـودة إلى الإفـراد والوحدانيـة. ضـمير التعظيم يأتي بعد أو قبل ضـمير الوحـدة في القـرآن الكـريم وهـذا

حتى لا يلتبس على السامع ويُشرك مع الله أحدا والأمثلة على ذاك كثيرة في القرآن الكريم تماما كما في سورة الكوثر (إنا أعطيناك الكوثر* فصل لربك وانحر) إنا تفيد التعظيم والكاف تفيد الوحدانية لأن البربّ واحد لا شريك له. وهي تدل على أنه سبحانه في الحقيقة هو المتفرّد بهذه الصفات ولقصر الصفات له سبحانه جاء بالضمير (هو).

لماذا خُتمت الآية بـ (السميع البصير) ما دلالة السمع والبصر هنا؟ سياق الآيات تقتضي ذكر قدرة الله تعالى الحقيقة أنه لو قال إنه هو القدير أو إنه على كل شيء قدير لا يزيد شيئاً على معنى الآية لأن ما في الآيات إثبات لقدرة الله تعالى والرسول □ أسري به ليسمع ويرى أشياء لم يسمعها ولم يرها من قبل لذلك ناسب سياق الآيات أنه ما يراه الرسول □ يراه ربه وما يسمعه يسمعه ربه لإلك إنه هو السميع البصير.

فلماذا لم تأتى الآيات (السميع العليم) مثلاً كما وردت في آيات أخرى في القرآن؟ الذي يسمع ويرى هو عليم ولكن إذا قيل عليم قد يكون غائب عنك فالعليم ليس فيه حضور أما السميع البصير ففيه حضور. ولقد وردت (السميع العليم) في آيات أخرى لأن المقام في تلك الآيات اقتضى ذلك (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغُ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعُ عَلِيمٌ) سورة الأعراف آية 200 عندما ذكر نزغات الشيطان، والشيطان لا يُرى ووساوسه لا تُرى كذلك لذلك جاءت الآية (سميع عليم). أما عند ذكر البشر في آية أخرى تأتي ختام الآية بـ (السميع البصير) (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ عَلَىم اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانِ أَبَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرُ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) سورة غافر مِن اللهِ عَلْهُ مِن اللهِ عَلْهُ مِن اللهِ عَلْمَ اللهِ عَلْهُ اللهُ عَلْهُ اللهِ عَلْهُ اللهُ عَلَى اللهِ عَلْهُ اللهِ عَلْهُ اللهِ عَلْهُ اللهُ عَلْهُ اللهِ عَلْهُ اللهُ اللهُ عَلْهُ اللهُ عَلْهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلْهُ اللهُ اللهِ اللهُ ال

<u>لماذا قدم السمع على البصر؟</u>

- 1. لأن من يسمعك أقرب ممن يراك فالشخص الذي تسمعه أنت أقرب إليك من الذي تراه وهذا يُشعر بالطمأنينة والأمن والقرب.
- 2. ُ السَّمع هو أهمٌ من البصر في مجال الـدعوة فاقد البصر يمكن أن يبلَّغ في مجال الـدعوة أما فاقد السَمع فيصعب تبليغه.
- 3. الإسراء في الليل والليل آيته السمع. وفي القرآن عندما يأتي ذكر الليل تأتي الآيات بـ (أفلا يسمعون) وعند ذكر النهـار تـأتي

(أفلا تبصـرون) فكـلّ آية تناسب وقتها فالليل للسـمع والنهـار

للإبصار.

4. قُدَّم السمع على البصر في القرآن إلا في مواطن قليلة منها في سورة الكهف (أبصر به وأسمع) لأن السياق يقتضي ذلـك، فقَّد خرَّجُ أَهِلُ الكهف فأرِّين حتى لا يراهم أحد لكن الله تعالى يـــــراهم في ظلمة الكهف وفي تقلبهم ذات اليمين وذات الشـمال. وفي سـورة السـجدة (ربنا أبصـرنا وسـمعنا) قـدّم البِصر هنا لأنهم كانوا يسمعون في الدنيا ويكـذبون في الآخـرة وأبصروا العذاب والحقيقة وقولهم يعني أنهم موقنون واليقين لا يتــاتي إلا بالإبصــار وليس بالســمع (عين اليقين) لأنهم رأوا العذاب عين اليقين.

لفتة: وردت كلمة سميع والسميع في القرآن الكريم 46 مرة ووردت كَذلك كلمة بصير والبصير 46 مرة.

<u>خلاصة:</u>

1. أن الحياة والقدرة والسمع والبصر والحكمة وصفة الخلق كلها صفات وردت في هذه الآية ثم ذكر الكمال في هذه الصفات بكلمة واحدة هي (سبحانك) فالفرد قد يكون سـميعا وبصيرا وذٍا قدرةٍ ولكن قد يكون أحمقا أما كلمة سبحانك فجاءت نفياً وتنزيهاً لله تعالى عمّا يصفه أهل الجاهلية.

2. ارتباط أوّل السورة بآخرها فقد بدأت بالتسبيح وختمت بالتحميد نعمة الإسراء نعمة عظيمة جليلة فجاء في ختام السـورة قوله تعـالي (وقل الحمد للـه) حمـداً لله على نعمة

الإسراء.

3. ختمت السورة بالباقيات الصالحات (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِـذْ وَلَدًا وَلِمٍ يَكُنِ لَّهُ شِرِيكٌ فِي الْمُلْـكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ **الَّذَّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيَرًا**) وبعد هذه الآية تبدأ سورة الكهف استجابة لهذا القيول ولقر الحمد لله فافتتحت سورة الكهف بالآية (اللَّحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَـابَ وَلَمْ **يَجْعَل لَمُ عِوَجَا**) وفي قوله في س___ورة الكهفِ في آية 4 (**وَيُنذِرَ اِلَّذِينَ قَالُوا اتَّخَـذَ اللَّهُ وَلَـدًا**) رد على آخر سـورة الإسراء أنه سبحانه ليس له شريك في الملك.

المعراج : (سورة النجم من الآية 1 إلى الآية 18)

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا صَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيُ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَـدِيدُ الْقُـوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأَفُقِ الْأَغْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَـدَلَّى * فَكَـانَ قَـابَ قَوْسَـيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَـأَوْحَى إِلَى عَبْـدِهِ مَا أَوْحَى إِلَى عَبْـدِهِ مَا أَوْحَى * فَـأَوْحَى إِلَى عَبْـدِهِ مَا أَوْحَى * فَلَى مَا يَـرَى * فَلَوْحَى * إِلَى عَبْـدِهِ مَا أَوْحَى * فَلَى مَا يَـرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ وَمَا لَلْمَنْتَهَى * عَندَهَا جَنَّةُ الْمُنْتَهَى * عَندَهَا جَنَّةُ وَمَا لَلْمَانُونَ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى *

القسم: والنجم إذا هوى: في بداية السورة وعلاقته بما قبله (سورة الطور): سبقت سورة النجم التسبيح في خواتيم سورة الطور (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) فجاء ذكر النجوم والقسم هو بالنجم في هذه السورة. هوى: معناه غرب ومعناه سقط فإذا كان المعنى الأول في خواتيم سورة الطور (إدبار النجوم) أي غروبها فهي إذن مرتبطة بالتسبيح ومرتبطة بإدبار النجوم فأصبح هناك تناسق بين إدبار النجوم والنجم إذا هوي. ثم ناسب افتتاح السورة خاتمتها (فاسجدوا لله واعبدوا) أولاً لأن السجود هو أهم ركن من أركان الصلة والصلة فرضت في

المعراج وهذه السورة بداية رحلة المعراج وختم السوء بما فُـرِض في المعــراج. ومن ناحية أخــرى إذا كــان هــوى بمعــنى ســقط والسقوط هوى إلى الأرض فهي مناسبة للحركة لأن السجود هــوي إلى الأرض وكأنما النجم هوى ليسجد لله تعالى والسجود أقـرب ما يكون إلى الله تعالى لذا اختار سـبحانه أقـرب حالة إليه في أقـرب معيّة وهي العروج بالرسول □ إلى سدرة المنتهى (أقرب ما يكـون العبد لربه وهو سـاجد) أقـرب حالة من الله لأقـرب رحلة إلى الله تعالى.

ما ضل صاحبكم وما غوى: نفي شيئين الضلالة والغواية. وهناك فرق بين الضلالة والغواية فالضلالة قد تكون عن قصد أو عن غير قصد (فأضله الله على علم) (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) سورة الكهف، أما الغواية فهي عن قصد وهو الإمعان في الضلال. والضلال عام نقول ضلّت الدابة ولا نقول غوت الدابة والغواية هي للمكلّف. والضلال نقيض الهدى والغواية نقيض الرشد (يُضلّ من يشاء ويهدي من يشاء) (وأضلّ فرعون قومه وما هدى) سورة طه، (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلا) (قد تبيّن الرشد من الغيّ) سورة البقرة.

ما ضل صاحبكم وما غوى: نفى الله تعالى عن رسوله الأمرين الضلالة والغواية وقد ذكر كلمة (صاحبكم) ولم يقل اسمه وقد وردت صاحبكم في ثلاث مواضع في القرآن الكريم: إما لنفي الضلال وإما لنفي الجنون (ما بصاحبكم من جِنّة، وما صاحبكم بمجنون، ما ضل صاحبكم) وهذا لأن فيها معنى الصحبة فقد لبث الرسول افيهم عمراً طويلاً وخالطهم وعاشرهم وعرفوا صدقه وأمانته ولا يكذّبونه فهو صاحبهم فكيف بمكن لهم أن يتهموه بالضلال؟ وقد وردت كلمة صاحبكم دائماً لنفي الجنون والغواية وهذا فيه معنى الصحبة أيضاً

ولو لاحظنا القسم في بداية الســـورة هو دلالة على الهــوي والسقوط ، والضلال والغيّ هما سـقوط في السـلوك ودائماً يـأتي في القرآن الضلال مع الحرف (في) (في ضـلال مـبين) وهـذا دليل على السقوط أما عند ذكر الهداية فيأتي بالحرف (على) لأن الهدى تفيد الإسـتعلاء وهو [متمكن من وقع قدمه وقـادر أن يـرى حـتى الهمزة تفيد السـقوط تـأتي مع (في) الظرفية دلالة على السـقوط (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) والنجم إذا ضلّ مساره سقط.

تكرار ما في قوله تعالى (ما ضلّ صاحبكم وما غوى): وهذا حـتى لا يُتصوّر أنه نفى الجمع بينهما والإفـراد. يُتصوّر أنه نفى الجمع بينهما والإفـراد. ما ضلّ صاحبكم وما غـوى تعـني نفي الضـلالة والغواية معـاً أو كل منهما على حدة أما القول ما ضلّ صاحبكم وغوى فهي تفيد النفي بالجمع بين الصفتين. وهـذا من بـاب الإحتيـاط للمعـنى نفاهما على سبيل الجمع والإفراد ومعنـاه أنه الهتـدى ورشد فهو مهتد رشـيد. إذن لمـاذا لم يقل (هـدى ورشـد) بـدل ما ضـلّ وما غـوى؟ لو قـال اهتـدى قد يكـون في وقت من الماضي أو لفـترة زمنية محـددة قد تفيد أنه قد يكون قبل الهداية ضالاً لكنه المهتد رشيد لم يسبق له ضلالة (ما ضلّ صاحبكم وما غوى) تفيد أنه مهتد رشيد لم يسبق له ضلالة في أي وقت وزمن كان.

وما ينطق عن الهوى! أولاً نفى الفعلين السابقين بالماضي (ما ضل وما غوى) وهنا نفي بالمضارع يفيد الإستمرار والحاضر فلو قال (ما نطق عن الهوى) لاحتمل المعنى أنه نفى عنه الهوى في الماضي فقط ولم ينفه عنه فيما يستقبل من نُطقه. فقد نفى تعالى عن رسوله الضلال والغواية في الماضي كله ونفى عنه الهوى في النطق في الحاضر والمستقبل فهو إذن امنفي عنه الضلال والغواية في المستقبل.

ما دلالة الحـرف عن في قولة (وما ينطق عن الهـوى)؟ فالنطق عادة يكون بالباء (كتابنا ينطق بالحق) أما هنا فجاءت (عن) ومعناها ما ينطق صادراً عن هـوى يعـني إن الـدافع للنطق ليس من هـوى وهو بمنزلة تزكية للنفس القائلة لأن الإنسان قد ينطق بالحق لكن عن هـوى). عن هوى (حق أريد به باطل) يعني الدافع هوى (ناطق عن هـوى). وهكذا زكّى الله تعالى رسـوله ☐ بتزكية الـدافع للقـول فالـدافع له زكي صادق ونطقه صادق أيضاً وعليه جاءت الآية (وما ينطق عن الموى).

إن هو إلا وحي يوحي: (إن) هي أقوى ما في النفي وأقوى من ذلك أن تأتي (إن) و (إلا) معاً. مسألة الوحي هي المسألة الأساسية التي بين الإيمان والكفر فجاء سبحانه بأقوى حالات الإثبات لأن الـوحي كان سبب المسألة الخلافية بين الكفّار والرسول □. والإنسان قد ينطق غير صادق عن هوى لكن ليس بالضرورة أن يكون كلامه كله حقاً وصدقاً حتى ولو كان دافعه دافع إخلاص . فبعد أن زكّى سبحانه الـدافع (ما ينطق عن الهوى) ثبّته أنه وحي (إن هو إلا وحي يوحى). واستخدام الضمير (هو) يعود على النطق معناه ما نُطقه إلا وحي يوحى.

علَمه شديد ِالقـوى * ذو مِـرّة فاسـتوى: الـوحي بالعربية قد يكـون إلهامـاً مثل الـوحي لأم موسى بإلقـاءه في اليم، والـوحي للنحل، ولشياطين الإنس والجنّ) فِأراد سبحانه أن يقطع أي فكِّـرة فقال (علَّمه شدید القوی) بمعنی أنه لیس إلهاماً ولکنه وحي علَّمه إياه شديد القوى (وعلَّمك ما لم تعلم) نسب ألعلم إلى الله سبحانه أنه هو المُعلَّم. وفي ذكر الـوحي يجب ذكر المسـؤول عن إيصـال الــوحي وهو جبريل عليه الســلام ، فالله تعــالِي هو المُعلِّم الأُولِ عنــدما ذكر أن كلامه وحي كــان من الــداعي أن يــذكر من علّمه وِأُوصِل العلم إليه. وفعل علَّمه تفيد المداومة والتكثيرِ على خلاف أعلَمـه. كل الآيـات السـابقة مبنية على عـدم ذكر اسم الفاعل (ما ضل صاحبكم، ما ينطق، علمه شديد القوى) وذكر وصفين (شديد القوى وذو مِرّةٍ) والمِرّة قد تأتي بمعنِي العقل والإحكام والحصانة والإستحكام وتأتى بمعنى القوة أيضاً فلماذا اختار سبحانه هذين الوصفين (شديد القوى وذو مِرّة)؟ هاتان الصفتان فيهما إشـارة أن الخروج إلى أقطار السـموات يحتـاج إلى أمـرين هما القـوة والعلم والرسول 🏾 في رحلته في أقطار السموات يجِتاَج إلى قوةً شـّـديدة وإلى إحكـــام وعقل وهنا أشــِـارة إلى تمكّن جبريل 🛘 من حٍفظ الرسول 🛮 في رحلته فكان قوياً في حفظ الرسول 🖺 ومحكمـاً في حفظ الـوحي وكل حفظ يحتـاج إلى قـوة وعقل وإحكـام. وهـذه الرحلة (المعــراج) <u>في</u> أقطــار الســموات والأرض أما في ســورة الـرحمن (إن اسـتطعتم أن تنفـذوا <u>من</u> أقطـار السـموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسـلطان) لأن الخـروج من أقطـار السـموات والأرض فيها تحدّي وتحتاج إلى سلطان القوة والعلم.

ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلَى أنم دنا فتدلّك تحديد مكان الإستواء. أولا: استوى تعني اعتل واستقام وتهيّأ. ينزل جبريل ☐ إلى الرسول ☐ يتدلّى إليه ويصحبه بعد أن تهيّأ لـذلك من الأفق الأعلى (وليس العالي) وهذا حتى يليق بمقام النبوة وهذا فيه ثناء على جبريل ☐ أنه استعدّ للأمر قبل أن ياتي ويقوم بمهمته وفيه تكريم للرسول ☐ لأن مقام الشخصية يستدعي زيادة التهيئة والإستعداد وحسنه واستعد لـذلك من الأفق الأعلى (استعد جبريل ☐ للأمر قبل أن يـنزل وفيه إشارة إلى عِظم المهمة وعِظم الزائر وهو الرسول ☐).

هَـذُه الاِّية فَي سـورة النجم ذكـرت (الأفق الأعلى) وفي آية سـورة التكوير ذكر (الأفق المبين) فما الفرق بينهما؟

لمسات بيانية في نصوص من التنزيل في آية سورة النجم يُراد بالآيات والرحلة العـروج إلى الأِفق الأعلى وهو المكــان الــذي ســيعرُج إليه الرســول □. أما في آية ســورة التكوير (ولقد رآه بالأفق المبين) فالأفق المبين تدل على الإبانة الواضــحة وهي مناسِــبة لما تبعها في قوله تعــالى (وما هو عَلى الغيب بضنين) على أنه 🛮 لِيس بضنين ولا بخيل فالرسـول 🖟 مـبين ليس بضنين والأفق مبين أيضاً. <u>ثم دنا فتدلّٰی * فکان قاب قوسین أو أدنی:</u> ثم دنا فتـدلّٰی فِيها تكريم للرِسولِ 🛮 لأنِ الدنو غيرِ التـدلي فالـدنو هِو القـرِب من أســفل إلى أعلى أو من أعلى ألى أسِـفل وغــيره َ أِماَ التــدَلّي فلّا يكون إلا من أعلى لأسفل. ومعنى أن جبريل 🛘 تدلَّى للرسول 🗎 فهذا في غاية التكريم لـه. العـرب تقـول في القـرُب أشـياء كثـيرة كناية عن القرب فلماذا اختار سبحانه قاب قوسين أو أدني؟ اختيـار قاب قوسين تـدل على القـربِ والقـوس هي في حِد ذاتها لا بد أن تِكون قوية شدبِدة والوتِر لا بد أن يكون قوياً شديداً والرامى ينبغى أن يكون قوياً مُسدداً فالقوس يحتاج إلى إحكام في التسديد والإنطلاق وهذه كلها عناصر الرحلة وقد سبق قوله تعالى (شديد القوى * ذو مِرّة فاستوى) والقـوس شـدید ویسـتعمله ِ قـوي شـدید والرحلة وهي الإنطلاق لذا جاء استعمال قاب قوسين أو أدني. <u>فَأُوحِي إِلَى عَبِدِهِ مَا أُوحِي:</u> نفس الكلام الذي ورد في أسـري بعبـده ينطبق على ورود كلمة عبـده هنا في هـذه الآيـة. تسـتخدم كلمة (عبــد) على مجمــوع الجسد والــروح وهنا إثبــات على أن الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد وإلا فأين المعجزة! ولو كـان بـألروح فقط لماً كذِّبه الكفـار فهم عرفـوا وتأكـدوا أن الرحلة تمّت بالروح والجسد معاً. ما كُــذُب الفــؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يــرى: ما اللمسة البيانية في أختيار كلُّمة (المراء) ؟ ورد قبل هـذه الآية قوله تعالى (ما كـذب الْفـؤاد مَا رأى) اختيـًار لفظِّ الفـؤاد هو من التفـّؤد والتوقّد (يقال فأد اللحم بمعيني شواه) اختار الفوّاد لأن فواده 🗌 متوقّد لـيرى كل ما حولـه. أما في قوله (ما كـذب الفـؤاد ما رأى) وهو القلب المتوقّد الحار لم يقل لبصره أنه واهم فيما يري، فـؤاده 🛮 صــدّق بصــره يعــني ما رأيته ببصــرك لم يشــكك به الفــؤاد على توقّده فقد صدق الفؤاد البصر وما يراه البصر هو حق صادق. **المرية:** فيها شك. لم يقل سـبحانه أفتجادلونه إنما قـال أفتمارونه لأن المِرية تختلف عن الجدال، فالكفار كانوا يشـككون في الرواية وليس في الأفكـار كما في قوله (إن الـذين يمارونك <u>في</u> السـاعة)

لمسات بيانية في نصوص من التنزيل
(يمارون <u>في</u> الساعة) أي يجادلون في الساعة لأن لا أحد رآهـا، أما
الرؤية فهي ليست موضوع نقاش في هذه السورة (أفتمارونه <u>على </u>
ما يُـرِي) أَي لا يُمـارِي علَى رؤيته 🏻 والملاحظ هنا اسـتخدام حـرف
(على) أما في الآيِة السابقة اُستخدم الحرف (في).
ولقدِ رآه نزلة أخـري * عند سـدرة المنتهي * عنـدها جنّة
الماوي: استخدم كلمة نزلة وليس كلمة (مكرة) لأن النزلة من
النزول فقال ولقد رآه نزلة أخرى أي عند نزوله 🛘 رأى جبريل وهذا
دليلً على أنه 🗍 صعد إلى مكان أعلى من الدي وصل إليه جبريل
وفي رحلة عودته 🛮 رأى جبريل عند نزوله وهذا مُصداق الحديث أن
جَبريّل 🛮 قال للرسول 🏾 تقدّم وقال لو تقدمتُ لاحترقت.
اختيار سـدرة المنتهي: المنتهي هي آخر شـيء وآخر نقطة ومكانها
عند جُنّة المأوي.
إذ يغشى السدرة ما يغشي: وفي هذه الآية أمور لا نعرفها
نحن فالله أعلم بمجريات هذه الرحلة وما فيها وما رآه الرسول 🛘
فيها وما في السدرة وما يغشاها.
ما زاغ البصر وما طغي: زاغ من الزيغـان وهو الـذهاب يمينـاً
وشمالاً أما الطغيان فهو مجاوزة الحدّ والقدر والتطلع إلى ما ليس
له. بمعنى أنه 🛮 في رحلته ما مال بصـره ولا جـاوز قـدره بل وقف
في المكان الـذي خُصص له وفي هِـذا مـدح للرسـول □ فقد وقف
بصره في المكان المجدد له مع أن المكان يستدعي أخذ البصر
والإلتفات. وقد سبق أن نفى الله تعالى عن رسولة 🛘 الضلال
والغواية في الأرض وكـذلك نفى عنه أِن يكـون زاغ بصـره أو طغى
في السموات فهو لم يتجاوز لا في الأرض ولا في السماء فسبحان
إلله تعالى وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه
اًجمعينٍ
لقد رأى من أيات ربه الكبرى: (مِنِ) يقالٍ لها التبعيضيّة. لم
يرى كلِّ شيء لكن الرحلة كان لها منهجاً معيناً وجاء بالكبرى فيه
تكريم آخر للرسول 🏻 أنه رأى بعض الآيات الكبرى. والسورة كلها
فيها تكريم إللرسول 🛮 وهذه الآية مبنية على الإبهام وهذا الإبهام
للتعظيم. وأوردٍ ما فسّــره الشـِـيخ الشِـعراوي رحِمه الله فهو في
خِواطره يـرى أن الرسـول 🏿 رأى من آيـات ربه الآية الكـبرى والله
أعلم بها هذا.

بعض اللمسات البيانية في سورة الكهف

سؤال 1:في سورة الكهف قال الله تعالى (ماكثين فيه أبدا) آية 3 فلماذا لم تستخدم كلمة (خالدين)؟

المكث في اللغة: هو الأناة واللبث والإنتظار وليس بمعنى الخلود أصل المكث. الله تعالى يقصد الجنّة (ان لهم أجراً حسنا) والأجر الذي يُدفع مقابل العمل وننظر ماذا يحصل بعد الأجر. والجنّة تكون بعد أن يوفّى الناس أجورهم وفي الآية قال تعالى (أجراً حسناً) فالمقام هنا إذن مقام انتظار وليس مقام خلود بعد وعلى قدر ما تأخذ من الأجر يكون الخلود فيما بعد الأجر وهو الخلود في الجنّة. ومن حيث الدلالة اللغوية الأجر ليس هو الجنّة لـذا ناسب أن ياتي بالمكث وليس الخلود للدلالة على الترقّب لما بعد الأجر.

ســـؤالُ 2:ما اللّمسة البيانية في اســتخدام (فــأردت) (فأردنا) (فأراد ربك) في سورة الكهف في قصة موسى

والخضر؟

الملاحظ في القرآن كله أن الله تعالى لا ينسب السوء إلى نفسه ؛ أما الخير والنِعم فكلها منسوبة إليه تعالى كما في قوله (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونئا بجانبه وإذا مسّه الشر كان يؤوسا) ولا نجد في القرآن فهل زيّن لهم سوء أعمالهم أبدا إنما نجد (زُيّن لهم سوء أعمالهم) وكذلك في قول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام (الذي يميتني ثم يحيين) وقوله (وإذا مرضت هو يشفين) ولم يقل يمرضني تأدباً مع الله تعالى (أمّا السّفينة فكانتُ وكان أواء أن أعيبها وكان وراء أمّا السّفينة أله على النه وراء أمّا السّفينة فكان الخضر هو الآية وراءهم مّالكُ يَأْخُذُ كُل سَفِينَةٍ عَصْباً {79}) في هذه الآية الله تعالى لا ينسب العيب إلى نفسه أبداً فكان الخضر هو الذي عاب السفينة فجاء الفعل مفرداً.

(<u>فَأَرَدْنَا</u> أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْـرَبَ رُحْمـاً { فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْـرَبَ رُحْمـاً { 81}) في هـذه الآية فيها اشـتراك في العمل قتل الغلام والإبـدال

بخير منه حسن فجاء بالضمير الـدالّ على الإشـتراك. في الآية إذن جانب قتل وجانب إبدال فجاء جانب القتل من الخضر وجاء الإبـدال من الله تعالى لذا جاء الفعل مثنّى۔

(وَأَمَّا الْجِـدَارُ فَكَانَ لِغُلَّامَيْنَ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِبِنَةِ وَكَانَ أَجُوهُمَا صَالِحاً فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَشُرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَلَيْهِ صَبْراً {82}) في هذه الآية الجدار كله خير فنسب الفعل لله وحده وأنه يدل على أن الله تعالى هو علام الغيوب وسبق في علمه أن هذا الجدار تحته كنز لهما وأنه لو سقط سيأخذ أهل القرية المال من الأولاد اليتامي وهذا ظلم لهم والله تعالى ينسب الخير لنفسه عز وجلّ.وهذا الفعل في الآية ليس فيه اشتراك وإنما هو خير محض للغلامين وأبوهما الصالح والله تعالى هو الذي يسوق الخير المحض. وجاء وأبوهما الصالح والله تعالى هو الذي يسوق الخير المحض. وجاء بكلمة رب في الآيات بدل لفظ الجلالة (الله) للدلالة على أن الرب هو المربي والمعلِّم والـراعي والـرازق والآيات كلها في معنى الرعاية والتعهد والتربية لـذا ناسب بين الأمر المطلـوب واسـمه الكريم سبحانه.

سؤال 3: ما الفرق بين كلمة (قرية) وكلمة (مدينة) في القرآن الكريم كما وردتا في سورة يس وسورة الكهف؟ في اللغة: إذا اتسعت القرية تُسمى مدينة ، والقرية قد تكون صغيرة وقد تكون كبيرة. وفي سورة يس وردت الكلمتان (وَاضْرِبْ لَهُم مَّتَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءها الْمُرْسَلُونَ { وَوَاضْرِبْ لَهُم مَّتَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءها الْمُرْسَلُونَ { 13}) و (وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا لَقُومِ التَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ {20}) أي أن أصحاب القرية جدّوا في التبليغ حستى وصل إلى أبعد نقطة في المدينة مع بُعدها. وقوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة مع بُعدها. وقوله يعمل همّ السعى أي أن هذا الرجل جاء يحمل همّ السعى في المدينة مع أنها متسعة وهذا فيه دليل على جهدهم لنشر الدعوة والذي جاء حمل همّ الدعوة من أقصى المدينة.

وَفَي سَــورة الكهف (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْــلَ قَرْيَــةِ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَابَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجُراً { يُرِيدُ أَنْ يَنِقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجُراً { يُرِيدُ أَنْ وَوَأَمَّا الْجِـدَارُ فَكَـانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَـةِ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُــدَّهُمَا وَيَسْــتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَــةً مِّن رَبِّكَ وَمَا يَبْلُغَا أَشُــدَّهُمَا وَيَسْــتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَــةً مِّن رَبِّكَ وَمَا

لمسات بيانية في نصوص من التنزيل فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيـلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً { 82}) اسـتطعم موسى والخَضر أهل القرية على سـعتها أي أنهما جالا فيها كلها وبلغ بهم الجوع كثيراً حتى استطعموا أهلها.

سـؤالُ 4: في سـورة الَّكهف ما دلالة حـرف العطف واو في قوله (ستبعة وتُنامنهم كلبهم) مع أنها لم تنزد فيماً قبلها (ثلاثة رابعهم كلبهم وخمسة سادسهم كلبهم)؟ الـواُو تفيد التوكيد والتحقيق كما صـرّح المفسـرُونَ أي كأنها تـدل على أن الذين قالوا أن أصحاب الكهف كانوا سبعة وثـامنهم كلبهم هم الذين قالوا القول الصحيح الصواب ومنهم الزمخشـري. الـواو إذن هي واو الحال ولكنها أفادت التوكيد والتحقيق بـأن هـذا القـول صحيح لأن الـواو يـؤتي بها إذا تباعد معـني الصـفات للدلالة على التحقيق والإهتمام (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) وإذا اقـترب معـني الصـفات لا يـؤتي بـالوأو (همّـاز مشّـاء بنميم) هنا الصـفات متقاربة فلم يؤتي بالواو.

وفي قوله تعلل في سلورة التوبة (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْچَامِـدُونَ السِّبَائِحُونَ الرَّاكِعُـونَ السَّبَاجِدونَ الْآمِـرُونَ بِالْمَغْرُوهِ ۗ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُـدُودِ اللَّـهِ وَبَشِّــرِ الْمُــؤْمِنِينَ {112}) نلاحظَ أن الــواو ذكــرت مع الصــفة الْأَخيرةَ وهي الْأشد على النفس والآخيرين وباقي الصفات الأولى كلها متقاربة لكن النهي عن المنكر يكون أشـدٌ على الإنسـان وقد يؤدي إلى الإهانة والقتل أحياناً.

سؤال 5: ما الفـرق مِن الناحية البيانيـة بين قوله تعـالي في سورة الكهف (فأتبع سببا) وقوله (ثم أتبع سببا)؟ الحكم العـام في النحـو: الفـاء تفِيد الـترتيب والتعقيب. وثمّ تفيد الترتيب والتراخي أي تكون المدة أطول.

وفي سورة الكهف الكلام عن ذي القـرنين ففي الآية الأولى (فـأتيع سبباً) لم يذكر قبل هذه الآية أن ذي القرنين كـان في حملة أو في مهمة معينة وإنما جاء قبلها الآية (وآتيناه من كل شيء سببا) هـذا في الجملة الأولى لم يكن قبلها شيء وإنما حصل هـذا الشـيء بعد التَّمكين لذي الْقرنين مباشرة، أما في الجملة الثانية (ثم أتبع سببا) فهذه حصلت بعد الحالة الأولى بمدة ساق ذو القرنين حملة إلى مغرب الشمس وحملة أخرى إلى مطلع الشمس وحملة أخرى إلى بين السـدين وهـذه الحملات كلها تـأتي الواحـدة بعد الأخـرى بمـدة وزمن ولهذا جاء استعمال ثم التي تفيد الترتيب والتراخي في الزمن.

ما دلالة قوله تعالى (ولا تقولل لشيء إني فاعل ذلك غداً) ولماذاً استخدام اللام في (لشيء) ولم يقل (عن شيء)؟ ورود اللام بعد القول له أكثر من دلالة وهو ليس دائماً للتبليغ وإنما تأتي لبيان العِلّة إما بمعنى عن أو بسبب أمر ما (قال له). وقد جاء في سورة الكهف في قصة الخضر مع موسى قوله تعالى: ألم أقل لك أنك لن تستطيع معي صبرا)، ويقال في اللغة: قلت له كذا وكذا. وقد تأتي اللام مع القول لغير التبليغ وتأتي بمعنى عن كما جاء في قول الشاعر (كضرائر الحسناء قلن لوجهها إنه لدميم) قلن لوجهها بمعنى عن وجهها. وقد تأتي اللام بعد فعل قال للتعليل بمعنى لأجل ذلك أو بسبب ذلك

سؤال 6: ما إعراب كلمة (كلمة) في قوله تعالى (كــبرت كلمة تخرج من أفواههم) سورة الكهفٍ؟

كلمة هي تمييز، الفاعل ضمير مستتر ويأتي التمييز ليفسرها وتسمى في النحو: الفاعل المفسّر بالتمييزـ

مًا إعــرابُ (أيِّ) في الآية (لنعلم أي الحــزبين أحصى لما لِبثوا أبدا) في سورة الكهف؟

أي: هي مبتدأ. وهي من أسماء الإستفهام وكل الأسماء التي لها صدر الكلام لا يعمل بها ما قبلها إلا حروف الجرّ ولكن يعمل فيها ما بعدها (ولتعلمن أيّنا أشدّ عذاباً وأبقى).

ما السبب في تنكير الغلام وتعريف السفينة في سورة الكهف في قوله تعـالى (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُ<u>لَامـا</u> فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسِ لِّقَـدْ جِئْتَ شَـيْئاً ثُكْـــراً {74}) و (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبًا فِي السَّــفِينَةِ ثَكْــراً ﴿كَبًا فِي السَّــفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَـيْئاً إِمْـراً {

حسب التفاسير أن الخضر وموسى [لم يجدا سفينة لما جاءا إلى الساحل ثم جاءت سفينة مارة فنادوهما فعرفا الخضر فحملوهما بدون أجر ولهذا جاءت السفينة معرّفة لأنها لم تكن أية سفينة. أما الغلام فهما لقياه في طريقهم وليس غلاماً محدداً معرّفاً.

سؤالُ ٦: ما اللمسة البيانية في إختيار كلمة الأخسـرين في قوله تعـالى في سـورة الكهف (قُــلْ هَــلْ نُنَبِّئُكُمْ

<u>بِالْأُخْسَرِينَ</u> أَعْمَالاً {103})؟ وما الفرق بين الخاسـرون والأخسرون؟

ورد في القَرآن الكـريم اسِتخدام كلمـتي الخاسـرون كما جـاء في سُـورةَ النحلَ (لاَ جَـرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِـرَةِ هُمُ الْخَاسِـرونَ { 109 }) والأخسرون كما جاء في سورة هـود (لاَ جَـرَمَ أَنَّهُمْ فِي **الْإَخِــرَةِ هُمُ الأَخْسَــرُونَ** {22})، وفي ســورة النِمل (**أُوْلَئِكَ** الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآَجِّرَةِ هُمُّمُ <u>الْأَجْسِرُونَ</u> { رِّ إِنَّ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ أَيِّضا اللَّهِ أَيْضا اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ **أُعْمَالًاً)** . وفي اللغة الأخسر هو أكثر خسراناً من الخَاسر ، ندرَس أُولاً ما السَـبُب في إختيـار كلمة الأخسـرون في سـورة هُود؟ إذا لاحظنا سياق الآيات في سورة هِـود نِجد أنها تتحـدث عن الذيِّن صُدوا عن سبيل الله وصدُّوا غيرَهُم أيضًا ، إنما السـياقِ فيَ سورة النحل فهو فيمن ِصدّ عن سـبيل الله وحـده ولم يصُـدّ أحـداً غِيرِه فمن المؤكِّد إذن أن الذي يصـدٌ نفسه وغـيره عن سـبيل الله أَخسِر منَ الـذَى صَـدٌ نفسه عن سبيل الله لوحَـده فقط (دُلِكَ بِـأَنَّهُمُ إِسْـتَحَبُّواْ الْحَيَـاةَ الْـدُّنْيَا عَلَى الآخِـرَةِ وَأَنَّ اللّـهَ لاَ

يَهْدِي الْقَوْمَ ِالْكَافِرِينَ {107}).

ُوإَذا قَارِنّا بِينَ آيَة سَــوَرة هَــود وآية ســورة النمل (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُ وَيَّا اللهِ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ عَلَّا عَلَيْ عَل أَوْلِئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُــَـوءُ ٓالْعَـــذَابِ ۖ وَهُمْ ٓفِي ۗ الْآخِـــَّرَةِ ۚهُمُ **الْأُخُسَرُونَ** ۚ {5}) نجد أنه في سورة هَود ِجاءَ التوكيد بـ (لا جــرم) وهي عند النحاة تعني القسم أو بمعنى حقاً أو حقَّ وكلها تــدل على اِلَّتوِكَيد وإذا لاحظنا سياق الآييات في سِبورة هود الآيات (**وَمَنْ** أَظْلَمُ مِنَّتِ افْتَرَى عَلَى اللَّـهِ كَـدِّباً أَوْلَــئِكَ يُعْرَضُـونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَــؤُلاء الَّذِينَ كَـذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَّغْنَةُ اللَّهِ عَلَى الطَّالِمِينَ {18}_ اَلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن َسَــبِيلِ إِللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجَـاً وَهُم بِـالآخِرَةِ هُمْ كَـَافِرُونَ {19}َ أُولَـئِكَ لِلَّمْ يَكُونُـواْ مُعْجِـزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَـانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّـهِ مِنْ أَوْلِيَــاءَ يُرَضَـاءً كُلِهَمُ ٱلْعَــذَائِبُ مَا كَـٰـانُواّ يَسّْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ {20} أَوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا النِفْسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمَ مَّا كَاَنُواْ يَفْتَرُونَ {21}). أَمَا في سُورة النمل فسياق الآيات يدل على أنهم لا يؤمنون بالآخرة فقط أِما في سورة هود فقد زاد على ذلك أنهم يصدون عن سبيل الله وأنهم يفترونُ على الله الكَذِب وفيها خمسة أشياء إضافية عن آية سورة النمل لذا كان ضرورياً أن يؤتى بالتوكيد في سـورة هـود

باستخدام (لا جرم) والتوكيد بـ (إنهم) ولم يـاًتي التوكيد في سـورة النمل.

ونعود إلى آية سورة الكهفِ (قُلْ هَلْ نُنَيِّئُكُمْ بِالْأَجْسَرِينَ أَعْمَالاً {103} اللَّذِينَ صَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ اللَّذُيْنَا وَهُمْ أَعْمَالاً {104} اللَّذِينَ صَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ اللَّذُيْنَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ صَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ اللَّذَامَ كَلَمَة يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً {104}). نلاحظ استخدام كلمة (ضلبٌ) مع كلمة (سعيهم) ولم يقل ضل عملهم لأن السعي هو

(ضــل) مع كلمة (سـعيهم) ولم يقل ضل عملهم لان السـعي هو العدو أو المشي الشـديد دون العـدو ، وقـال في الحيـاة الـدنيا وهو يحسب أنه يُحسن صــنعا ، والإحسـان هو الإتقــان وليس العمل العـادي ، في اللغة لـدينا: فعل وعمل وصـنع. أما الفعل فقد تقـال للجماد (نقول هذا فعل الريـاح) والعمل ليس بالضـرورة صـنعاً فقد

يعمل الإنسان بدون صنع، أما الصنع فهو أدقّ وهو مَن الصَّنعة كما في قوله تعالى (**صُنع الله الذي أتقن كل شيء**) والصنع لا

في قوله تعالى (**صنع الله الحدي العل كل تشاير**) والط تستعمل إلا للعاقل الذي يقصد العمل بإتقان.

إذن آية سُورة الكهف جاء فيها ضلال وسعي وصُنع لذا استوجب أن يؤتى بكلمة الأخسرين أعمالاً ومن الملاحظ أنه في القرآن كله لم يُنسب جهة الخُسران للعمل إلا في هذه الآية. ولأن هذه الآية هي الوحيدة التي وقعت في سياق الأعمال من أولها إلى آخرها (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات).

والأَخسرينِ : اسم تفضيل أي أنه هناك اشتراك في الخُسران، يوجد خاسـرون كُثُر والأخسـرين بعضـهم أخسر من بعض أي

التفضيل فيما بين الخاسرين أنفسهم.

ســــــؤال 8: ما الفـــــرق من الناحية البيانية بين فعل استطاعوا واسطاعوا وفعل تسطع وتستطع في ســورة الكمف؟

قال تعالى: (فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ لَقْباً {97}). زيادة التاء في فعل استطاع تجعل الفعل مناسباً للحث وزيادة المبنى في اللغة تفيد زيادة المعنى. والصعود على السدّ أهون من إحداث نقب فيه لأن السدّ قد صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس المذاب لذا استخدم اسطاعوا مع الصعود على السد واستطاعوا مع النقب. فحذف مع الحدث الخفيف أي الصعود على السد ولم يحذف مع الحدث الشاق الطويل بل أعطاه أطول صيغة له، وكذلك فإن الصعود على السدّ يتطلّب زمناً أقصر من إحداث النقب فيه فحذف من الفعل وقصّر منه ليجانس النطق الزمنى الذي يتطلبه كل حدث.

أما عدم الحذف في قوله تعالى (قَالَ هَـذَا فِـرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكُ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ يَسْتَطِع عَلَيْهِ صَبْراً {78}) وحـذف التاء في الآية (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ يَسْطِع عَلَيْهِ عَلَيْهِ صَبْراً {82}) لأن المقام في الآية الأولى مقام شرح وإيضاح وتبيين فلم يحـذف من الفعل أما في الآية الثانية فهي في مقــام مفارقة ولم يتكلم بعـدها الخضر بكلمة وفـارق موسى عليه السـلام فاقتضى الحـذف من الفعل

سُـؤال 9: لمـاذا قـدّم البصر على السـمع في آية سـورة

الكهَف و سورة السجدة؟ ٍ

- ـــهـــ و سوره المسجدة. قالِ تعالى في هبورة المكهف (قُلِ إللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَــهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ <u>أَبْضِرْ بِهِ وَأَسْ مِ</u>عْ مَا لَهُم مَّنَ دُونِـهِ مِن **وَلِيٍّ وَلَا يُشْـَرِكُ فِي حُكِّمِـَهِ أَحَـداً ﴿26})** وقـالَ في سـورة الَّسَجَدَةِ (**وَلَِـوْ َتَـرَى إِذِ الْمُجْرِمُـونَ نَاكِسُـو رُؤُوسِـهُمْ عِنَـدَ** رَبِّهِمْ رَبَّنَا <u>أَبْصَــرْنَا وَسَــمِعْ</u>نَا فَارْجِعْنَا نَعْمَــلْ صَــَالِحاً إِنَّا **مُوَّقِئُونَ** {12}) والمعلَّومِ أن الأكثر في القرآن تقديم السمِّع على البصر لأن الســــمع أهم من البصر في التكليف والتبليغ لأن فاقد البصر الذي يسمع يمكن تبليغه أما فاقد السمع فيصعب تبليغه ثِم إن مدى السمع أقل من مـدى البصر فمن نسِـمعه يكـون عـادة أقرب ممن نـراه ، بالإضـافة إلى أن السـمع ينشأ في الإنسـان قبل البصر في التكوين ؛ **أما لماذا قـدّم البصر على السـمع في الآيــتين المــذكورتين** ؟ فالسـبب يعــود إلى أنه في آية ســورة الكهف الكلِام عن أصحاب الكهف الذين فروا مِن قومهم لئلا يراهم أحد ولجــأوا إلى ظلمة الكهف لكيلا يــراهم أحد لكن الله تعــالِي يراهم في تقلبهم في ظلمة الكهف وكدلك طلبوا من صاحبهم أن يتلطف حـتي لا يـراه القـوم إذن مسـألة البصر هنا أهم من السـمع فاقتضى تقديم البصر على السمع في الآية.

وكذلك في آية سورة السجدة، الكلام عن المجرمون الذين كانوا في السدنيا يسسمعون عن القيامة وأحوالها ولا يبصسرون لكن ما يسمعوه كان يدخل في مجال الشك والظن ولو تيقنوا لآمنوا أما في الآخرة فقد أبصروا ما كانوا يسمعون عنه لأنهم أصبحوا في مجال اليقين وهو ميدان البصر (عين اليقين) والآخرة ميدان الرؤية وليس ميدان السمع وكما يقال ليس الخبر كالمعاينة. فعندما رأوا في الآخرة ما كانوا يسمعونه ويشكون فيه تغير الحال ولذا اقتضى تقديم البصر على السمع.

سـؤال 10: ما دلالة كلمة (لنعلم) في آية سـورة الكهف (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِـزْبَيْنِ أَحْصَـى لِمَا لَبِثُـوا أَمَـداً { 12})؟

قال تعالى في سورة الكهف (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْجِرْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً {12}) والعلم قسمان قسم يتعلق بالجزاء وقسم يعلمه الله ابتداء لا يتعلق بالجزاء. ما يفعله الإنسان هو من علم الله لكن حتى ما نفعله يتعلق بالجزاء وهناك علم آخر وهو العلم الذي قضاه الله تعالى وما يفعله الإنسان هو تصديق لعلم الله هذا. وقوله تعالى لنعلم أي الحزبين يعني لنعلم أي منهم يعلم الحقيقة لأن كل قسم قال شيئاً فمن الذي يعلم الحقيقة؟ الله تعالى. هناك علمان علم سابق الذي سجّل فيه الله تعالى القدر وعلم لاحق يحقق هذا العلم وهو الذي يتعلق بالجزاء.

سـؤالَ 11: مـّاذا عَن ربط الْمُسـّتقبلَ بــ(ّغـد) فقط في قوله تعالى : (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) الكهف) ؟

سبب نزول الآية هو الذي يحدد. سُئل رسول الله] عن ثلاثة أسئلة من قبل الكفار منها عن أهل الكهف فقال الرسول] : سأجيبكم غداً لأنه لم يكن لديه علم وجاء غد ولم يُجِب الرسول] ولم ينزل عليه الـوحي مـدة خمس عشرة ليلة فحصل إرجاف لأن الـوحي يتنزّل بحكمة الله تعالى ثم نـزلت الآية (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَـيْءٍ إِنّي فَاعِلُ ذَلِكَ عَـدًا (23)) فهي مناسبة لأصل سبب الـنزول وهـذا ينسحب لأنه أحياناً سبب الـنزول لا يتقيّد بشـيء. مثلاً في مسألة (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِعَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنَا لِتَبْتَغُوا عَـرَضَ الْحَيَاقِ الـدُّنْيَا وَمَنْ يُكُـرِهُنَّ فَـإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِد إِلَى الله عَـردن تعففاً؟ عَـرَضَ الْحَيَاقِ الـدُنْيَا وَمَنْ يُكُـرِهُنَّ فَـإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِد الله بن أبيّ أراد إكراههن وهن يـردن الحادثة التي حصـلت أن عبد الله بن أبيّ أراد إكراههن وهن يـردن التحصّن فـذكر المسألة كما هي واقعة ثم تـأتي أمـور أخـرى تبيّن المسألة.

غداً في الآية موضع السؤال لا تعني بالضرورة الغد أي اليـوم الـذي يلي وإنما (قد) تفيد المستقبل وهي مناسبة لما وقع وما سيقع.

ُسُوَّالِّ 12 - ما الفرق من الناحية البيانية بَيْن ُقوله تَعالى (شيئاً إمرا) و(شيئاً نُكرا) في سورة الكهف؟

قال تعالى على لسان موسى للرجل الصالح عندما خرق السفينة (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِثَعْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْـرًا (71)) وقال تعالى عندما

50

قتل الرجل الصــــالَح الَغلام (**فَانْطَلَقَا حَثَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا** فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَـدْ جِئْتَ شَـيْئًا نُكْرًا (74)).

فوصف خرق السفينة بأنه شيء إمر ووصف قتل الغلام بأنه شيء أكر وذلك أن خرق السفينة ونزع لوح خشب منها دون قتل الغلام شناعة فإنه إنما خرق السفينة لتبقى لمالكيها وهذا لا يبلغ مبلغ قتل الغلام بغير سبب ظاهر. والإمر دون النُكر فوضع التعبير في كل موضع بما يناسب كل فعل. وعن قتادة: النُكر أشد من الإمر. فجاء كل على ما يلائم ولم يكن ليحسن مجيء أحد الوصفين في موضع الآخر.

وهذا ُالاختلاف يدخل في فواصل الآي في القرآن الكريم.

لمسات بيانية في سورتي النمل والقصص

قصة موسى عليه السلام في سورتي النمل والقصص <u>أهداف ذكر سورة موسى عليه السلام</u>

قال لي أحدهم مرة لو كتبت في قصة موسى في سورتي النمل والقصص، فإن بينهما تشابها كبيرا ولا يتبين سر الاختلاف في التعبير بينهما من نحو قوله تعالى: "فلما جاءها نودي" و "فلما أتاها نودي" ، وقوله: "وأدخل يدك في جيبك" و "اسلك يدك في جيبك" وما الى ذلك.

فاًنهدني قوله إلى أن أكتب في ذلك، وطلبت من الله أن يعينني على ما عزمتُ عليه، وأن يبصرني بمرامي التعبير في كتابه الحكيم، وأن يفتح عليّ من كنوز علمه الواسع الذي لا يحد فتحا مباركا، إنه سميع مجيب.

من سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ {6} إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنِسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ {7} فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {8} يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {9} وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَحَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ {10} إلَّا مَن

ُ طَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ {11} وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَأْنُوا قَوْماً فَاسِقِينَ {12} فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ شُبِينٌ {13} وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلُماً وَعُلُواً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ {14}

من سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجِلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آَنِسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ تَارًا فَلَمَّا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آَنَسْتُ تَارًا لَعَلَّي آَنِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آَنَسْتُ تَارًا لَعَلَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ النَّالِهُ رَبُّ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللّهُ رَبُّ الْغَيلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) اسْلُكُ وَلَمْ يُعَقِّبُ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) اسْلُكُ وَلَمْ يُعَقِّبُ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) اسْلُكُ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ عَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَيْ عَيْرِ شُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَا خَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33) فَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33)

من هذين النصين تتبين طائفة من الاختلافات في التعبير أدوّن أظهرها:

القصص	النمل
<u>آنس من جانب الطور نارا</u>	إني آنست نارا
<u>امكثوا</u>	
لعلي آتيكم منها بخبر	سآتیکم منها بخبر
أو جذوة من النار	أو آتيكم بشهاب قبس
فلما أتاها	فلما جاءها
<u>نودي من شاطئ الواد</u> <u>الأيمن</u>	نودي أن بورك
_	وسبحان الله رب العالمين
أن يا موسى	
إلي أنا الله رب العالمين	إنه أنا الله العزيز الحكيم
<u>وأن ألق عصاك</u>	وألق عصاك
<u>يا موسى أقبل ولا تخف</u>	یا موسی لا تخف
إنك من الآمنين	إني لا يخاف لدي

	المرسلون
	إلا من ظلم
اسلك يدك	وأدخل يدك في جيبك
فذانك برهانان	في تسع آيات
واضمم إليك جناحك ممن	
<u>الرَّهْب</u>	_
إلى فرعون وملئه	إلى فرعون وقومه

إن الذي أوردته من سورة النمل، هو كل ما ورد عن قصة موسى في السورة. وأما ما ذكرته من سورة القصص فهو جزء يسير من القصة، فقد وردت القصة مفصلة ابتداء من قبل أن يأتي موسى إلى الدنيا إلى ولادته، وإلقائه في اليم والتقاطه من آل فرعون، وإرضاعه ونشأته وقتله المصري وهربه من مصر إلى مدين، وزواجه وعودته بعد عشر سنين وإبلاغه بالرسالة من الله رب العالمين، وتأييده بالآيات، ودعوته فرعون إلى عبادة الله إلى غرق فرعون في اليم، وذلك من الآية الثانية إلى الآية الثالثة والأربعين. فالقصة في سورة القصص إذن مفصلة مطولة، وفي سورة النمل موجزة مجملة. وهذا الأمر ظاهر في صياغة القصتين، واختيار

التعبير لكل منهماً.

هذا أمر، والأمر الثاني أن المقام في سورة النمل، مقامُ تكريم لموسى أوضح مما هو في القصص، ذلك أنه في سورة القصص، كان جو القصة مطبوعاً بطابع الخوف الذي يسيطر على موسى عليه السلام، بل إن جو الخوف كان مقترنا بولادة موسى عليه السلام، فقد خافت أمه فرعونَ عليه، فقد قال تعالى: "وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْرَنِي" القصص: 7، ويستبد بها الخوف أكثر حتى يصفها رب العزة بقوله: "وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ بَعُولاً عَلَى وَلا تَكَافِي وَلا أَنْ عَلَى قَلْهُ اللهِ عَلَى قَلْهُ اللهِ عَلَى اللهِ الفَولا أَنْ عَلَى قَلْهُ اللهِ عَلَى قَلْهُ اللهِ القصص: 10

ثم ينتقل الخوف إلى موسى عليه السلام، ويساوره وذلك بعد قتله المصري: "فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ 18". فنصحه أحدُ الناصحين بالهرب من مصر لأنه مهدد بالقتل: "فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ 12" ، وطلب من ربه أن ينجيه من بطش الظالمين: "قَالَ يَتَرَقَّبُ 12" ، وطلب من ربه أن ينجيه من بطش الظالمين: "قَالَ

رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ 21" . فهرب إلى مدين وهناك

اتصل برجل صالح فيها، وقص عليه القصص فطمأنه قائلا: " لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ 25"

وهذا الطابع ـ أعني طابع الخوف ـ يبقى ملازما للقصة إلى وهذا الطابع ـ أعنى طابع الخوف ـ يبقى ملازما للقصة إلى مراجعه وقال له: إنه خائف على نفسه من القتل: "قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ 33"، وطلب أخاه ظهيرا له يعينه ويصدقه لأنه يخاف أن يكذبوه: "وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ 34" في حين ليس الأمر كذلك في قصة النمل، فإنها ليس فيها ذكر للخوف إلا في مقام إلقاء العصا.

فاقتضى أن يكون التعبير مناسبا للمقام الذي ورد فيه. وإليك

إيضاح ذلك:

حَى قال تعالى في سورة النمل: " إِنِّي آنَسْتُ نَاراً " وقال في سورة القصص: "آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً" فزاد: " مِنْ جَانِبِ الطُّورِ" وذلك لمقام التفصيل الذي بنيت عليه القومة في نبيد قالة مو

القصة في سورة القصصَّ.

أَنسْتُ قَالَ فَي سورة النمل: "إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً" وقال في سورة القصص: " قَالَ لِأَهْلِهِ إِنِّي أَنسْتُ نَاراً" بزيادة "امْكُثُوا". وهذه الزيادة نظيرة ما ذكرناه آنفا، أعني مناسبة لمقام التفصيل الذي بنيت عليه القصة بخلاف القصة في النمل المبنية على الإيجاز.

قال في النمل: " سَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ". وقال في القصص: " لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ". فبنى الكلام في النمل على القطع "سَآتيكُم" وفي القصص على الترجي "لعَلِّي آتيكُمْ". وذلك أن مقام الخوف في القصص لم يدعه يقطع بالأمر فإن الخائف لا يستطيع القطع بما سيفعل بخلاف الآمن. ولما لم يذكر الخوف في سورة النمل بناه على الوثوق والقطع بالأمر.

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إن ما ذكره في النمل هو المناسب لمقام التكريم لموسى بخلاف ما في القصص.

الماسب لمقام التكريم لموسى بكلاف ما في القصص، والدي وردت ومن ناحية ثالثة، ؟إن كل تعبير مناسبٌ لجو السورة الذي وردت فيه القصة، ذلك أن الترجي من سمات سورة القصص، والقطع من سمات سورة النمل. فقد جاء في سورة القصص قوله تعالى: "عَسى أن ينْفَعَنا أَوْ نَتْخِذَهُ وَلَدا" وهو ترَجِّ . وقال: "تَعَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَني سَوَاءَ السِّبيلِ" وهو ترجِّ أيضا. وقال: " لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ" وقال "لَعَلَّي آتِيكُمْ مَنْهَا بِخَبَرٍ" وقال "لَعَلَّي أَلِي إِلَهِ

54

ُموسَى"، وقال: "لَعَلَّهُمْ يَتَذكَّرونَ " ثلاث مرات في الآيات 43، 46، 51، وقال: "فَعَسَى أَنْ يَكونَ مِنَ المُفْلِحينَ"، وقال: "ولَعَلَّكُم تَشكُرونَ 73"وهذا كله ترجَّ. وذلك في عشرة مواطن في حين لم يرد الترجي في سورة النمل، إلا في موطنين وهما قوله: "لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ"، وقوله: "لَعَلَّكُمْ ثُرْحَمونَ"

وقد تردد القطع واليقين في سورة النمل، من ذلك قوله تعالى على لسان الهدهد: "أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينِ"النمل:22 ، وقوله على لسان العفريت لسيدنا سليمان: "أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ" النمل: 39 وقوله على لسان الذي عنده علم من الكتاب: "أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ " النمل:40

فانظر كيف ناسب الترجي ما ورد في القصص، وناسب القطع

واليقين ما ورد في النمل.

ثُم انظُّر بعد ذَلك قوله تعالى في القصة: "سَآتيكُمْ مِنْها بِخَبَر" ومناسبته لقوله تعالى في آخر السورة: "الْحَمْدُ لِلّه سَيُريكُمْ آيَلتِهِ فَتَعْرِفوَها 93" وِانظر مناسبة "سَآتيكُمْ" لـ "سَيُرِيَكُمْ"۔

وبعد كُل ذلك، أنظر كيف تم وضع كل تعبير في موطنه اللائق به. كر ذلك، أنظر كيف تم وضع كل تعبير في موطنه اللائق به.

﴾ كَرِّر فعل الإتيان في النمل، فقال: "سَاتيكُمْ مِنها يِخَبَر اوْ آتيكُمْ بِشِهابٍ"، ولم يكرره في القصص، بل قال: "لَعَلَّي آتيكُمْ مِنْها بِخَبَرِ أَوْ جَذْوَةٍ"

فأكد الإتيان في سوِّرة النمل لقوة يقينه وثقته بنفسه، والتوكيد يدل على القوة، في حين لم يكرر فعل الإتيان في القصص مناسبة

لجو الخوف.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن فعل (الإتيان) تكرر في النمل اثنتي عشرة مرةـ (انظر الآيات: 7 مرتين، 18، 21، 28، 37، 38، 39، 40، 54، 55، 87)

وتكرر في القصص ست مرات (انظر الآيات 29، 30، 46، 49،

71، 72) فناسب تكرار (آتيكم) في النِملِ من كل وجه.

وقال في سورة النمل: "أَوْ آتِيكُمْ بشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ" وقال في القصص: " نَاراً لَعَلَّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ"

فذكر في َسورة النَّمل أنه يأتيهم بيشهاب قبس، والشهاب: هو شعلة من النار ساطعة. (انظر لسان العرب (شهب) 1 / 491 ، القاموس المحيط (شهب) 1 / 91)

ومعنى (القَبَس) شعلة نار تقتبس من معظم النار كالمقباس يقال: قبس يقبس منه نارا، أي: أخذ منه نارا، وقبس العلمَ استفاده (انِظر القاموس المحيط (قبس) 2 / 238)

وأما (الجذوة) فهي الجمرة أو القبسة من النار (انظر القاموس المحيط (جذا) 4 / 311) وقيل: هي ما يبقى من الحطب بعد الالتهاب، وفي معناه ما قيل: هي عود فيه نار بلا لهب. (انظر روح المعانى 20 / 72)

والمجيء بالشهاب أحسن من المجيء بالجمرة، لأن الشهاب يدفئ أكثر من الجمرة لما فيه من اللهب الساطع، كما أنه ينفع في الاستنارة أيضا. فهو أحسن من الجذوة في الاستضاءة والدفء. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ذكر أنه سيأتي بالشهاب مقبوساً من النار ، وليس مختَلَسا أو محمولا منها، لأن الشهاب يكون مقبوساً وغير مقبوس (انظر البحر المحيط 7 / 55) ، وهذا أدل على القوة وثبات الجنان، لأن معناه أنه سيذهب إلى النار، ويقبس منها شعلة نار ساطعة.

أمَّا في القصص فقد ذكر أنه ربما أتى بجمرة من النار، ولم يقل

إنه سيقبسها منها.

والجذوة قد تكون قبسا وغير قبس، ولا شك أن الحالة الأولى أكمل وأتم لما فيها من زيادة نفع الشهاب على الجذوة، ولما فيها من الدلالة على الثبات وقوة الجنان.

وقد وضع كل تعبير في موطنه اللائق به، ففي موطن الخوف ذكر الجمرة ، وفي غير موطن الخوف ذِكر الشهاب والقبس.

قَالَ في سُورة النمل: "فَلَمّا جَاءَهَا نُودِيَ" وقال في سُورة القصص: "فَلَمّا أَتاها نُودِئ"

فما الفرق بينهما؟

قال الراغب الأصفهاني مفرقا بين الإتيان والمجيء: الإتيان مجيءٌ بسهولة، ومنه قيل للسيلِ المارِّ على وجهه أتي" (المفردات في غريب القرآن 6). وقال: "المجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم، لأن الإتيان مجيء بسهولة" (المفردات 102)

ولم يذكر أهل المعجمات ما ذكره الراغب، وإنما هم يفسرون واحدا بالآخر، فيفسرون جاء بأتى، وأتى بجاء، غير أنهم يذكرون في بعض تصريفات (أتى) ما يدل على السهولة، فيقولون مثلا في تفسير الطريق الميتاء من (أتى) "طريق مسلوك يسلكه كل أحد" وذلك لسهولته ويسره. ويقولون : "كل سيل سهلته الماء أتيّ" و "أتّوا جداولها: سهلوا طرق المياه إليها" يقال: (أتّيت الماء) إذا

إِصلحت مجراه حتى يجري إلى مقارّه .. ويقال: أتّيت للسيل، فأنا أَوْتِّيه إذا سهلتِ سِبيله من موضع إلى موضع ليخرج إليه .. وأتَّيت الماء تأتيةً وتأتياً، أي: سهلت سبيله ليخرج إلى موضع"(لسان العرب (أتي) 18 / 14)

والذِّي استبان لي أن القرآنِ الكريم يستعمل المجيء لما فِيه صعوبة ومشقة، أو لماٍ هو أصعب وأشق مما تستعمل له (أتي) فهو يقولُ مثلًا: "فَإِذا جَاءَ أَمْرُناً وَفارَ التُّنُّورُ 27 " المؤمنِون، وذلك لأن هذا المجيء فيه مشقة وشدة. وقال: "وجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالحَقِّ 19" ق. وقال: "لَقَدْ جِئْتَ شَيْئا إِمْرَا 71" الكَهَف. وقَالَ:

َّالقَدْ جِئْتِ شِيْئَا نَّكْراً 74" الكَهف. وقال: "قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقِّدْ ٍجِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ٍ 27" ُوقَالِلُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً. َلَقَدْ جِئْتُمْ شَيِّئاً إِدِّاً. تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّاً" مريم . وقال: "وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً"

الإسراء :81.

وقال: "فَإِذا جاءَت الصِّإخَّة. يَوْمَ يَفِرِّ المَرْءُ من أَخيهِ" عبس. وقال: "فإذا جاءَت الطَّامَّةُ الكُبْرَى" النازعات.

وهذا كله مما فيه صعوبة ومشقةٍ.

وَقد تقول: وقد قال أيضا: ۖ هَلْ أَتاكَ حَديثُ الغَاشِيَة" والجواب: أن الَّذي جاء هنا هو الحديث وليس الغاشية في حين ن الذي جاء هناك هو الطامة والصاخة ونحوهما مما ذكر

ويتضح الاختلاف بينهما في الآيات ِالمتبِشابهة التي يختلف فيها الفعلاِن، وذلك نحو قوله تعالى: "أتَى أَمْرُ الله" الْنحل، وقولهِ: "فَإذا جاءَ أَمْرُ اللهِ" غافر، ونحو قوله: "جاءَهُمْ نَصْرُنا" يوسف، و"أَتِاهُمْ نَصْرُنا" الأنعام، ونحو قوله: "لجاءَهُمُ العَذابُ" العنكَبوت، وَ"وأَتاهُمُ

العَدَاَّتُ" النحل، وما إلى ذلكِ

فإنه يتضح الفِرق َفِي الْجِتيار أحدهما على الآخر، وإليك إيضاح ذلك: قاُل تِعالَى: "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُيْحَانَهُ وَتَعَالِّي عَمَّا يُشْرِكُونَ 1"إِلنحل ـ وَقال: "فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ 78" ِغافر. فَقد قالِ في النحل: "أَتَى أَمْرُ ٱللهِ"، وقال في غافرً: "جاءَ أَمْرُ اللهِ"، وبأدنى نَظر يتضح الفرق بين الَّتعبيرينَ، فإن المجيء الثاني أشق وأصعب لما فيه من قضاء وخسِران، في حين لم يزد في الآِية الأولى على الإِتيان. فاختار لما هو أصعب وأشق (جاء) ولما هو أيسر (أتي).

ونحو ذلك قوله تعالى: "حَتَّى إِذَا اسْتَيْأُسَ الرُّسُلُ وَطَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ110" يوسف وقوله: "وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا

جَيُّكًى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ

الْمُرْ سَلِينَ 34" اَلأَنعَام

فقال في آية يوسف "جاءَهُمْ نَصْرُنا" وفي آية الأنعام: "أتاهُمْ نَصْرُنا" ومن الواضح أن الحالة الأولى أشق وأصعب، وذلك أن إلرسل بلغوا درجة الاستيئاس وهي أبعد وأبلغ، وذهب به الظن إلى أنهم كُذبوا، أي: أن الله سبحانه وتعالى كذبهم ولم يصدقهم فيما وعُدهم بهَ، وهَّذا أبلغ درجات اليأس وأبعدها، وعند ذاك جاءهم نصره سبحانه فنجّي من شاء وعوقب المجرمونـ

في يحن ذكر في الآية الأخرى أنهم كُذَّبوا، أي: كُذَّبهم الكافرون، وأوذوا فصبروا. وفرق بعيد بين الحالتين، فلقد ِيُكذَّب الرسل وأتباعهم ويُؤذَونِ، ولكن الوصول إلى درجة اليأس والظن بالله

الظنون البعيدة أمرٌ كبير.

ثم انظر إلى خاتمة الآيتين تر الفرق واضحا، فما ذكره من نجاة المؤمنين ونزول اليأس على الكافرين في آية يوسف مما لا تجده في آ]ة الأنعام يدلك على الفرق بينهما.

ومن ذلك قوله تعالى: "كَذَّبَ اللَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ جَيْثُ لا ِيَشْغُرُونَ . فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي اَلْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ

الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" الزمرِ:25 ـ 26ٍ

وقوله: ِ "قَدْ مَكَرَ ِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَأَتَى إِللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ. ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ ثُشَاقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ. الْنحل 26 ـ27

فَهَالَ ۖ فَيَ اِلاَيْتِينِ: ۚ "وأَتَاهُمُ الْعَذَابُ" فِي حَيْنَ قِلْلِ: "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلُ مُسَمَّىً لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ يَعْتَةً وَهُمَّ لا يَشْعُرُونَ. ۚ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمِ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ. يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنَّ فَوْقِهِمْ وَمِنَّ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" العنكبوت:53 ـ 54 ـ55

فقال: "فَجَاءَهُمُ العَذَابُ" وذلك أن الآيتين الأوليين في عذاب الدنيا بِدليلَ قولُه في أَية النحل: إ ثُمّ يَوْمَ القِيامَةِ يُخَزِيهِم.. أُ وقولَهٍ في آية الزمرِ: " فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ

أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" في حين أن آية العنكبوت في عذاب الإَخرة، وحتَّى لُو كَانَت في عَذابُ الدنيا فإن ما ذُكر فيها من العذاب أشقَّ وأشد مما في الآيتين الأخربين بدليل قوله: "وإنَّ جَهَنَّم لَمُحيطَةُ بِالكَافِرِينَ" وقوله: "يَوْمَ بَغشاهُمُ العَذابُ مِنْ فَوْقِهِم ومِنْ بَحْتِ أَرْجُلِهُمْ.. ۚ" فجَاءَ لما هوَ أشق وأشد بالفعل (جاء) وَلما هو أيسر بـ

وقد تقول: ولكنه قال: "ولَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتةً" فاستعمل مضارع (أتي). والجواب: أن القرآن لم يستعمل مضارعا للفعل (جاء) .. ولذلك كل ما كان من هذا المعنى مضارعِا، استعمل له مضارع (أتي) فلا

يدخل المضارع في المواِزنة، وسيأتي بيان ذلك.

َ ومن ذلك قولَه تعالَى: "أَلَمْ يَأْتِهَمْ نَبَأَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْم نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَقَوْم إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَّاتِ أَتَتَّهُمْ رُسُلَهُمْ بِالْبَيِّيَاتِ فَأَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلِّكِنْ كَانُوا أَنْفُسِهُمْ يَظِٰلِمُونَ. وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ إِلْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْيُّؤُنَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ َسَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" التوبة: 70 ـ 71

فقال: " أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ" وهو الموطن الوحيد الذي جاء فيه نحو هذا التعبير في القرآن الكريم في حين قال في المواطن

الأُخْرِي كلها: "جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ"

ولو نظرت في هذه التعبيرات، ودققت فيها لوجدت أن كل التعبيرات التي جاءت بالفعل (جاء) أشق وأصعب مما جاء بـ (أتي)،

وإلىك بيان ذلك,

قَأَلُ تعالى: " تِلْكَ القُرَى نَقَصٌ عَلَيْكُ مِنَ اسِبِهِ وسِد بَ سَهُمُ رُسُلُهُمْ بِالْبِبِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ رُسُلُهُمْ بِالْبِبِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ ِ " تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ إِلَيَّهُ ۚ غَلَٰى ۚ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ. ۖ وَمَا وَجَذَنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَذَنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِيَنَ. ثُمَّ بَعَِثْنَا مِنْ بَغْدِهِمْ مُوسَى بِآياتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةً الْمُفْسِدِينَ " الأَعْرَافَ:

103 _ 102 _ 101

فَايِنظر كِيف قال في آية الِتوبة: "أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ إِللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَِهُمْ يَظْلِمُونَ." ولَم يذكر أنهم كفروا أَو عوقبوا، في حين قالَ في آيات الأعَراف: "فَما كَانُ, اليَّوْمِنوا بِمَا كَذَّبُوا مِن ْ قَبْلِ" فذكر عدم إيمانهم، وأنهم طُبع على قلوبهم: " - يَدَالِوا مِن ْ اللَّهُ مَا يُرَّهُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ "، وْذَكْر أَنْهُ وجْد أَكْثُرُهُم

فاسقين، وأنه لم يجد لأكثرهم عهدا، وذكر بعد ذلك ظلم فرعون

وقومه لموسى وتكذيبهم بآيات الله وعاقبتهم.

فانظر موقف الأمم من الرسل في الحالتين وانظر استعمال كل من الفعلين جاء وأتي، يتبين لك الفرق واضحا بينهما.

ومنه قوله تعالى: ۗ ۗ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ

الْمُجْرِمِينَ 13" يونس

فقال:َ "وَجاءَ يُهُمْ رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ" وذلك أنه ذكر إهلاك القرون فِي أَفْوَاهِهُمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أَرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَلَّا مِمَّا تَدْغُونَنَا ۚ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۚ 9 إبراهيم ، إلى أن يقَول أَ "وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا إِذَيْتُهُ وَنَا ۚ إِلَيْ مَا إِلَيْ مُونِي وَقَالٍ الَّذِينِ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ إِلَّهِ مَا إِللَّهِ فَلْيِتَوَكِّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ. وَقَالٍ الَّذِينِ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَيُخْرِجَنَّكَمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَغُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لُنُهْلِكُنَّ الظّاَلِمِينَ. "إبراهيم : 12 ـ 13

ويمضي في وصف عذاب الكفرة عذابا غليظا: "مِرْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ. يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ ۖ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانِ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنَّ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ" ۚ إبْراَهيم: 17 َ فقال أيضًا: ۗ "وَجاءَتَّهُمْ رُسُلُهِمْ بَالْبِينات"، وأنا في غُني عن أبين موقف الأمم من رسلهم، وكفرهم بما أرسلوا به، وتهديدهم لهم بإخراجهم من الأرض، وعن ذكر عذاب الكافرين في الدنيا بإهلاكهم وفي الآخرة بما وصفه أفظع الوصف.

فانظر إتيانه بالفعل (جاء) وقارنه بالفعل (أتى) في آية التوبة يتضح

الفرق بين استعمال الفعِلين.

ومن ذلك قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُيُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ ۚ قُوَّةً وَأَيَّارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عُمِرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَطْلِمَِهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ 9 ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنَّ كَذَّبُوا بِإَيَاتِ اللّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ"ِ الرومِ:10 فذكر عاقبة الذين أساؤوا، وأنها السُوأِي تأنيثَ الأسوأ، أي: أسوأ الحالات على الإطلاق، وذكر تكذيب الأمم لرسلهم واستهزاءهم بهم، في حين لم يصرح في أية التوبة بتكذيب ولا استهزاء، ولم يذكر لهم عاقبة ما.

ومن ذلك قوله تعالى: "وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ 25 ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَإِنَ نَكِيرِ 26" فِاطر

فذكر تكذيب الأمم السَابقة لرسلهم بعد أن جاؤوهم بكل ما يدعو إلى الإيمان من البينات والزبر والكتاب المنير، وذكر أخذَه لهم

وُعَلَّق على ذلكَ بقوله: "أَفِكَيْفَ كَان نَكيرِ" _،

ومن ذلك قوله تعالى: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. فَلَمَّا جَاءَنْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. فَلَمَّا وَرُحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. فَلَمَّا رَأُوا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كُنُّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ رَأُوا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحُدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْ فَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأُوا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ "غافر:82 إلى 85

فقال: "جاءَتْهُمْ رُسُلَهُمْ بِالبَيّناتِ" ثم ذكر أن أممهم استهزؤوا برسلهم وبقوا على شركهم حتى رأوا بأس الله ينزل بهم. فلم

ينفعهم إيمانهم بعد فوات الأوان.

قارن هذه الآيات التي وردت بالفعل (جاء) بالآية التي وردت بالفعل (أتى) وهي آية التوبة، يتبين الفرق بين استعمال الفعلين: جاء وأتى.

وقد تقول: ولكن ورد في القرآن (أتتكم الساعة) و (جاءتهم الساعة) والساعة واحدة فما الفرق؟

وأقول ابتداء أنه لا يصح اقتطاع جزء من الآية للاستدلال، بل ينبغي النظرُ في الآية كلها وفي السياق أيضا ليصحّ الاستدلالُ والحكم.

وإليك الآيتين اللتين فيهما ذِكر الساعة:

قَالَ تَعَالَى: " قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَيْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أُوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ 31" الأنعام وقال: "قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ وَقَال: "قُلْ أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِلَيْهِ تَدْعُونَ إِلَيْهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ 40 بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ 41" الأنعام

فَقال في َ الآية َ الأولى: "أَجاءَثْهُم السّاعَةُ" ٰوقال في الثانية: "أَتَتْكُم السّاعَةُ"

وبأدنى تأمل يتضح الفرق بين المقامين. فإن الأولى في الآخرة وفي الذين كذبوا باليوم الآخر، وهم نادمون متحسرون على ما فرطوا في الدنيا، وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم. وتوضحه

61

الآية قبلها وهي قوله تعالى: " وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ الْآية قبلها وهي قوله تعالَى: " وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ 30 قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا.. "الأنعام ، في حين أن الثانية في الدنيا بدليل قوله: "أُغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" وقوله: "بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ اللهِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ الله لا يكشف ما يدعون إليه إن شاء، وهذا في الدنيا، وإلا فإن الله لا يكشف عن المشركين شيئا في الآخرة ولا يستجيب لهم البتة.

فَإِلْمُوقَفِ الْأُولِ أَشْقِ وأَشْد مما في الثانية، فجاء بالفعل (جاء) دون

(أتي) بخلاف الآية الثانية.

فاتضح أن الِقرآن إنما يستعمل إجاء) لما هو أصعب وأشق.

ويستعمل (أتي) لما هو أخف وأيسر.

ولَعل من أسباب ذلك أن الفعل (جاء) أثقل من (أتى) في اللفظ بدليل أنه لم يرد في القرآن فعل مضارع لـ (جاء) ولا أمر ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول، ولم يرد إلا الماضي وحده بخلاف (أتى) الذي وردت كل تصريفاته، فقد ورد منه الماضي والمضارع والأمر واسم المفعول. فناسب بين ثقل اللفظ وثقل الموقف في (أتى) والله أعلم.

ونعود إلى ما نحن فيه من قصة موسى عليه السلام، فقد قال في سورة النمل: "فلما جاءها" وقال في سورة القصص: "فَلمّا أتاها" ذلك أن ما قطعه موسى على نفسه في النملِ أصعب مما في القصص، فقد قطع في النمل على نفسه أن يأتيهم بخبر أو شهاب قبس، في حين ترجى ذلك في القصص. والقطع أشق وأصعب من الترجي. وأنه قطع في النمل، أن يأتيهم بشهاب قبس ، أي: بشعلة من النار ساطعة مقبوسة من النار التي رآها في حين أنه ترجّي في القصص أن يأتيهم بجمرة من النار، والأولى أصعب. ثم إن المهمة التي ستوكل إليه في النمل أصعب وأشق مما في القصص، فإنه طلب إليه في القصص أن يبلغ فرعون وملأه. وتبليغ القوم أوسع وأصعب من تبليغ الملأ، ذلك أن دائرة الملأ ضيقة، وهم المحيطون بفرعون في حين أن ِدائرة القوم واسعة، لأنهم منتشرون في المدن والقرى، وأن التعامل مع هذه الدائرة الواسعة من الناس صعب شاق، فإنهم مختلفون في الأمزجة والاستجابة والتصرف، فما في النمل أشق وأصعب، فجاء بالفعل (جاء) دون (أتي) الذي هو أخف. ويدل على ذلك قوله تعالى في سورة طه:

"فلما أتاها نُودِي يا موسى" ذلك لأنه أمره بالذهاب إلى فرعون ولم يذكر معه أحدا آخر: "اذهب إلى فرعون إنه طغى 24 قال رب اشرَحْ لي صَدْريِ 25 ويسّر لي أمري 26" ِ

فانظّر كيّف لما أرسله إلى فرعون قال: "أتاها"، ولما أرسله إلى فرعون وملئه قال (أتاها) أيضا في حين لما أرسله إلى فرعون وقومه قال: "جاءها" وأنت ترى الفرق بين الموطنين ظاهرا.

ذكر في القصص جهة النداء فقال: "فَلُمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ " ولم يذكر الجهة في النمل، وذلك لأن موطن القصص موطن تفصيل، وموطن النمل، موطن الحاذ كما ذكرت.

تَفصيل، وْموطَّن النمل مُوطن إيجاز كما ذكرت. وموطَّن النمل مُوطن إيجاز كما ذكرت. ومَنْ حَوْلَهَا لَهُ النمل: " نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" ولم يذكر مثل ذلك في القصص، بل ذكر جهة النداء فقط، وذلك لأن الموقف في النمل موقف تعظيم كما أسلفنا وهذا القول تعظيم لله رب العالمين.

قال في النمل "يا موسَى" وقال في القصص: "أَنْ يا موسَى" فجاء بد (أن) المفسرة في القصص، ولم يأت بها في

إلنمل، وذلك لأكثر من سبب:

منها أن المقام في النمل مقام تعظيم لله سبحانه، وتكريم لموسى كما ذكرنا فشرفه بالنداء المباشر في حين ليس المقام كذلك في القصص، فجاء بما يفسر الكلام، أي: ناديناه بنحو هذا، أو بما هذا معناه، فهناك فرق بين قولك: (أشرت إليه أن اذهب) و (قلت له اذهب) فالأول معناه: أشرت إليه بالذهاب، بأيّ لفظ أو دلالة تدل على هذا المعنى. وأما الثاني فقد قلت له هذا القول نصا، ومثله قوله تعالى: "وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ 104 قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزى الْمُحْسِنِينَ 105"الصافات

أَي: بَما هذا تَفُسَيره أو بما هذا معناه بخلاف قوله: "قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ" هود

ومنها أن المقام في سورة القصص مقام تبسّط وتفصيل فجاء بـ (أن) زيادة في التبسط.

ومنها أن ثقل التكليف في النمل يستدعي المباشرة في النداء، ذلك أن الموقف يختلف بحسب المهمة وقوة التكليف كما هو معلوم.

﴿ قَالَ فَي النَّمَلَ: "إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"، وقالَ فَي سُورة القصص: "إنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ"

فجاء بضمير الشأن الدال على الت<mark>عظيم في آية النمل: "إِنّه أنا"</mark> ولم يأت به في القصص، ثم جاء باسميه الكريمين "العَزيزُ الحَكيم" في النمل زيادة في التعظيم.

ثم انظر إلى اختيار هذين الاسمين وتناسبهما مع مقام ثقل التكليف، فإن فرعون حاكم متجبر يرتدي رداء العزّة، ألا ترى كيف أقسم السحرة بعزته قائلين: "بِعِزّةِ فِرعَوْنَ إِنّا لَنَحْنُ الغَالِبونَ 44" الشعراء. فاختار من بين أسمائه (العزيز) معرفا بالألف واللام للدلالة على أنه هو العزيز ولا عزيز سواه، و(الحكيم) للدلالة على أنه لا حاكم ولا ذا حكمة سواه، فهو المتصف بهذين الوصفين على جهة الكمال حصرا. وفي تعريف هذين الاسمين بالألف واللام من الدلالة على الكمال والحصر ما لا يخفى ما لو قال (عزيز حكيم) فإنه قد يشاركه فيهما آخرون.

ثمَ انظر من ناحية أخرى كَينَف أنه لما قال: "أَنا اللهُ العَزيزُ الحَكيمُ" لم يذكر أن موسى سأل ربه أن يعزّزه ويقويه بأخيه، ولما لم يقل ذلك ذكر أنه سأل ربه أن يكون له ردءا، يصدقه ويقويه وهو أخوه

هارون.

وقد ُ تقول: ولكنه قال في القصص "إنّي أنا اللهُ ربّ العالمينَ" وفي ذلك من التعظيم ما لا يخفي

ونقول: وقد قال ذلك أيضا في النمل، فقد قال: "وسبحان الله ربّ العالمين" وزاد عليه: "إنّهُ أنا الله العَزيزُ الحَكيمُ" فاتضح الفرق بين المقامين.

وقد تقول: ولم قال في سورة طه: "إنّي أَنا ربّك فاخلعْ نَعلَيْكُ" بذكر ربوبيته له خصوصا، ولم يقل كما قال في سورتي النمل والقصص "ٍربّ العالمين"؟

والجواب: أنه في سورة طه كان الخطاب والتوجيه لموسى عليه السلام أولا فعلمه وأرشده فقال له: " إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي 14 إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى 15" طـه، فطلب منه العبادة وإقامة الصلاة .

وقال بعد ذلك: "لِنُرِيَكَ مِنْ آياتِنا الكُبْرِي 23" طه، ثم ذكر منته عليه مرة أخرى فقال: "وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى37 إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى 38" طـه .

ويمضي في ذكّر منته عليه ولم يرد مثل ذلك في النمل، ولا في القصص. فإنه لم يذكر توجيها له أو إرشادا لعبادته في النمل، ولا في القصص فلم يأمره بعبادة أو صلاة أو تكليف خاص بشأنه. ثم

إنه في سورة القصص وإن كان قد فصّل في ذكر ولادته ونشأته وما إلى ذلك فقد ذكرها في حالة الغيبة لا في حالة الخطاب: "وأوجِينا إلى أمّ مِوسٍّي أَنْ أَرْضِعيهِ" "إنْ كادَتْ لَتُبدي به .. فرددناه

إِلَى أَمْه .. وَلَمَّا بِلَغَ أَشُدَّه .. وَدَخَلَ المَدْيَنةَ .. "

في حين كان الكلام في سورة طه بصورة الخطاب. فناسب أن يقول له في طه: "أنا ربّك" بخلاف ما في النمل والقصص، والله أعلم.

﴾ قال في النمل: "وَأَلْقِ عَصاكَ" وقال في القصص: "وأَنْ أَنْ يَالِيَا"

أَلْقِ عَصاكَ"

فجاء بـ (َأْن) المفسرة أو المصدرية. ونظيره ما مر في قوله: (يا موسى) و (أن يا موسى)

فقوله: "وألَّقِ عَصاك" قول مباشر من رب العزة، وهو دال على

التكريم.

وأما قوله: "وأنْ ألْقِ عَصاك" فإنه معناه أنه ناداه بما تفسيره هذا أو بما معناه هذا. فأنت إذا قلت: (ناديته أن اذهب) كان المعنى ناديته بالذهاب. فقد يكون النداء بها اللفظ أو بغيره بخلاف قولك: (ناديته اذهب)، أي: قلت له اذهب.

وهو نحو ما ذكرناه في قوله: (يا موسى) و (أن يا موسى) من أسباب ودواع فلا داعي لتكرارها.

﴾ أَ قَالَ في النمل: "يا موسَى لا تَخَفْ" وقال في القصص:

"يا موسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ"

بزيادة (أقبل) على ما في النمل، وذلك له أ:ثر من سبب. منها : أن مقام الإيجاز في النمل يستدعي عدم الإطالة بخلاف مقام التفصيل في القصص.

ومنها أن شيوع جو الخوف في القصص يدل على إيغال موسى في الهرب، فدعاه إلى الإقبال وعدم الخوف.

فوضع كل تعبير في مكانه الذي هو أليق به.

َ ﴾ قال فَي النمل: "إِنَّي لا يَخافُ لَدَيِّ المُرْسَلونَ" وقال في القصص: "إِنَّكَ مِنَ الآمِنينَ"

ذلك أن المقام في سُورة الُقصّص مقام الخوف، والخائف يحتاج إلى الأمن فأمنه قائلا: "إِنّكَ مِنَ الآمِنينَ"

أما في سورة النمل فالمُقام مُقام التكريم والتشريف، فقال: "إنَّي لا يَخافُ لَدَيَّ المُرسَلونَ" فألمح بذلك إلى نه منهم، وهذا تكريم وتشريف. ثم انظر كيف قال (لَدَيِّ) مشعرا بالقرب، وهو زيادة في التكريم والتشريف.

ثم انظر من ناحية أخرى كيف أنه لما قال في سورة النمل: "لَدَيّ" المفيدة للقرب ناداه بما يفيد القرب فقال: "يا موسى" ولم يقل: "أَنْ يَا موسىً" كِما قالٍ في القصص، ففصل بين المنادي والمنادَى بما يفيد البعد. وأمره أيضا بما يفيد القرب بلا فاصل بينهما فقال: "وألِق عَصاكَ" ولم يقل: "وأنْ ألِق عَصاكَ" للدلالة علي قرب المأمور منه. فناداه من قرب وأمرَه من قرب، وذلك لأنه كان منه

قريبا، فانظر علو هذا التعبير ورفعته.

ثمَ انظر من َناحيَّة أخرى كيفُ قَال: "إنِّي لا يَخافُ لَديِّ المُرسَلونَ" ولم يقل: (إني لا يخاف مني المرسلون) لأن المرسلين لا يخافون بحضرته، ولكنهم يخشونه ويخافونه كل الخوف، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (أنا أخشاكم لله) فهو أخوف الناس منه، وأخشاهم له.

. قال في النمل: "إلَّا منْ ظَلَمَ ثمّ بَدّلَ حُسنا بَعدَ سوء فإنِّي غَفِورٌ رَحيمٌ" ولم يقل مثل ذلك في القصص، لأنه لا يحسن أن يقال: (إنك من الآمنين إلا من ظلم ثم بدل حسنا

بعد سوء) ولو قال هذا لم يكن كلاما.

هذا من ناحیة ومن ناِحیة أخری ناسب ذلك قول ملكة سباً: "ربّ إني ظلَمْتُ نَفسي وأَسْلَمْتُ مَع سُلَيمانَ لله ربِّ العَالمينَ" النَّملُ، فإنها ظلمت نفسها بكفرها وسجودها للشمس منجون الله، ثم بدلت حسنا بعد سوء، فأسلمت لله رب العالمين فلاءم هذا التعبير موطنه من كل ناحية.

وقد تقول: لقد ورد مثل هذا التعبير في سورة القصص أيضا وهو قُولِه تعالى: "قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ

الْغَفُورُ إِلرَّحِيمُ 16" القَصص

والحق أن المقامين مختلفان، فإن القول في سورة القصص هو قول موسى عليه السلام حين قتل المصري، وموسى لم يكن كافرا بالله، بل هو مؤمن بالله تعالى، ألا تري إلى قوله منيبا إلى ربه بعدما فعلَ فعلَته: "قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَي وُقوله حين فر من مصر: "رَبُّ نَجُّني مِنَ القَوْمِ النَّالِمينَ" وَقوله: "ُقالُ عَسَى رِبِي أَن يَهْدِيَنِي سَواء الْسّبيلِ"

فإن موسى لم يبدل جِسنا بعد سوء، ذلك انه عليه السلام لم يكن سيئا بخَلاف ملَكة سبأ، فإنها كانت مِشرِكة، وقد بدلت حسنا بعد بٍسوء. فِما جاء من قوله: ۚ "إَلَّا من ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسنا بَعدَ سوء.. ۗ "

أَكثر ملاءمة للموضع الذي ورد فيه من كل ناحية. الله عنه عنه عنه عنه الله عنه عنه عنه عنه عنه الله عنه الله الله عنه عنه الله عنه عنه عنه الله عنه عنه عنه عنه الله عنه عنه عنه عنه عنه الله عنه الله عنه الله عنه الله عنه الله عنه الله عنه الل القصص: "اسْلُك يَدَكَ فَي جَيْبك"

لقد استعمل في سورة القصص أمر الفعل (سلك) الذي يستعمل كثيرا في سلوك السيل فيقال: سلك الطريق والمكان سلكا، قال تعالَى: "والله َجَعَلَ لَكُم الأرْضَ بِسِاطا 19 َلتَسْلَكوا مِنها سُبُلا فِجاجا 20" نوح، ذلك لأنه تردد سلوك الأمكنة والسبل في قصة موسى في القصص، بخلاف ما ورد في النمل. فقد ورد فيها، أي: في سورة القصص سلوك الصندوق بموسى وهو ملقى في اليم إلى قصر فرعون، وسلوك أخته وهي تقص أثره. وسلوك موسى الطريق إلى مدين بعد فراره من مصر، وسلوكه السبيل إلى العبد الصالح في مدي، وسير موسى بأهلِه وسلوكه الطريقَ إلى مصر، حتى إنه لم يذكر في النمل سيرَه بأهله بعد قضاء الأجل بل إنه طوى كل ذكر للسير والسلوك في القصة فقال مبتدئا: "إذْ قالَ موسَى لأَهْلِهِ إَنِّي آنَشْتُ نارِاً سآتيكُمْ مِنها بِخَبر البخلافِ مأ ورد في القُّصص، فإنه قاَّل: "فلمَّا قُصَى موسَى الأَجَلَ وسارَ بأهلِهِ آنَسَ مَنْ جانِب الطور نارا" فحسن ذِكر السلوك في القصص دون النمل. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن الفعل (دخل) ومشتقاته تكرر خمس مرات (انظر الآيات 12، 18، 19، 34، 44) في النمل فَي حين لم يرد هذا الفعل ولا شيء من مشتقاته في القصص، فناسب ذكره في النمل دون القصص.

ومن ناحية أخرى إن الإدخال أخص من السَّلك أو السلوك اللذين هما مصدر الفعل سلك، لأن السَّلك أو السلوك قد يكون إدخالا وغير إدخال، تقول: سلكت الطريق وسلكت المكان، أي: سرت فيه، وتقول: سلكت الخيط في المخيط، أي: أدخلته فيه. فالإدخال أخص وأشق من السلك والسلوك. فإن السَّلك قد يكون سهلا ميسورا، قال تعالى في النحل: "فاسْلُكي سُبُلَ رَبُّكِ ذُلُلاً 69" فانظر كيف قال (ذللا) ليدلل على سهولته ويسروِ، وقال: "أَلمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِن السَّماءِ ماء فَسَلَكَهُ يِنابِيعَ فَي الْأَرْضُ 21" الزَّمرِ. وهل هناك أيسر من سلوك الماء في الأُرض وَغوره فَيها؟ فناسب وضع السلوك في موطن السهولة واليسر، ووضع الإدخال

في موطن المشقة والتكليف الصعب. لقد ناسب الإدخال أن يوضع مع قولُه: "سَاتَيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرِ" وقوله: "فَلَمَّا جَاءَهَا" ومهمة التبليغ إلى فرعون وقومه.

وناسب أن يوضع السلوك في مقام الخوف، وأن يوضع لإدخال في مقام الأمن والثقة.

وناسب أن يوضع الإدخال وهو أخص من السلوك مع (الشهاب القبس) الذي هو أخص من الجذوة، وأنَ يوضعَ السلّوك وهُو أعم

من الإدخال مع الجذوة من النار التي هي أعم من الشهاب القبس. فكل لفظة وضعت في مكانها الملائم لها تماما

قالَ في القصص: "واضْمُم إِلَيْكَ جَناحَكَ مِن الرّهْب" ولم يذكر مثل ذلك في النمل. و(الرهب) هو الخوف ، وهو مناسب لجو الخوف الذي تردد في القصة، ومناسب لجو التفصيل فيها بخلاف ما في النمل.

قال في النمل: "في تِسْع آياتٍ" وقال في القصص:

"فَذانِكَ بُرِهانان"

فقد أعطاه في النملَ تسع آيات إلى فرعون، وذكر في القصص برهانين، وذلك لما كان المقام في النمل مقامَ ثقة وقوة وسّع المهمة، فجعلهما إلى فرعون وقومه، ووسّع الآيات فجعلها تسعا، ولما كان المقام مقام خوف في القصص، ضيّق المهمة وقلل من ذكر الآيات. وكل تعبير وضع في مكانه المناسب.

ثم إن استعمال كلمة (الآيات) في النمل مناسب لما تردد من ذكر للآيات والآية في السورة فقد تردد ذكرُهما فيها عشر مرات، في حين تردد في القصص ست مرات. فناسب وضع (الآيات) في النمل ووضع البرهان في القصص الذي تردد فيها مرتين، في حين ورد في النمل مرة واحدة، فناسب كل تعبير مكانه.

قال في النَّمل: "إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ" وقال في القصص:

"إلى فِرْعَوْنَ ومَلئِهِ"

فوسع دائرة التبليغ في النمل كما ذكرنا، وذلك مناسب لجو التكريم في القصة، ومناسب لثقة موسى بنفسه التي أوضحتها القصة. ولمّا وسّع دائرة التبليغ وسّع الآيات التي أعطيها، بخلاف ما ورد في القصص

قال في النمل: "فلَمَّا جاءَتْهُم آياتُنا مُبْصِرَةً قالوا هذا ** سڅر مُبيڻ

ومعنى ذلك أن موسى قبل المهمة ونفذها من دون ذكر لتردد أو مراجعة، وهو المناسب لمقام القوة والثقة والتكِريم، فِي حين قال في القصص: "قال ربّ إني قتلت منهم نفسا فأخافُ أن يَقتُلون"، فذكر مراجعته لربه وخوفه على نفسه من القتل، وهو المناسب لجو الخوف في السورة ولجو التبسط والتفصيل في الكلاِم. وكل تعبير مناسب لموطنه الذي ورد فيه كما هو ظاهر. والله أعلم

لمسات في وصية لقمان لابنه

لمحات قرآنية تربوية (نظرات بيانية في وصية لقمان لابنه)

تبدأ الوصية من قوله تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ الشّكُرْ لِلّهِ وَمَنْ كَفَدَ وَإِنّ الشّكُرْ لِلّهِ وَمَنْ كَفَدَ وَإِنّ اللّهَ عَنِيٌّ حَمِيدُ (12) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ وَهُو يَعِظُهُ يَا اللّهَ عَنِيٌّ حَمِيدُ (12) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ وَهُو يَعِظُهُ يَا اللّهَ عَلَيْهُ (13) وَوَصّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتُهُ أَمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنِ وَفِصَالُهُ فِي الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتُهُ أَمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنِ وَفِصَالُهُ فِي الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتُهُ أَمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنِ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ الشّكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ عَلَى أَنْ يُشَارِكَ بِي مَا لَيْسَ لَلكَ بِيهِ عِلْمُ فَلا عَلَى أَنْ يُشَارِكَ بِي مَا لَيْسَ لَلكَ بِيهِ عِلْمُ فَلا عَلَى أَنْ يُشَارِكَ إِنَّ اللّهُ اللّهُ إِنَّ اللّهُ إِنَّ اللّهُ إِنَّ مَلْ كَنْتُمْ تَعْمَلُونَ (عَلَى مَا أُنْبَيِّ إِنَّا اللّهُ إِنَّ مَلْ كَنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الطَّلاةَ وَأَمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ لَا يُحِبُّ كُلُّ مُثَالُ فَخُورٍ يَاللّهُ لِا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالُ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي الْأَرْضِ مَا اللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالُ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي الْأَرْضِ مَا اللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالُ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي الْأَحْمِيرِ (18) وَاقْصِدْ فِي الْخَمِيرِ وَاعْشَوْنَ مِنْ مَنْ مَنْ وَيْكَ أِنَّ أَنْكَرَ الْأُضُونِ لَمَ لَكُ وَاتِ لَصَوْتُ لَو الْمُحْرِولِ اللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالُ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي الْحَمِيرِ (18))

َ تَلَكَ هِي الوصيةِ وقد بدأت بذكر إتيان لقمان الحكمة "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ إِشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ" 12 الحكمة

والحكمة هي وضع الشـــيء في محله قـــولا وعملا، أو هي توفيق العلم بالعمل، فلا بد من الأمرين معا: القـول والعمـل، فمن أحسن القــــول ولم يحسن العمل فليس بحكيم، ومن أحسن العمل ولم يحسن القــول فليس بحكيم.فالحكمة لها جانبــان: جــانب يتعلق بالقول، وجانب يتعلق بالعمل والحكمة خير كثير كما قال الله تعالى: "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيراً" البقرة 269

الله تعِالِي مـؤتِي الحكمة ولـذلكَ تلاحظُ أنه تعالى قـال: " **وَلَقَـدْ** آتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ"

قـال (آتينـا) بإسـناد الفعل إلى نفسـه، ولم يقـل: لقد أوتي لقمـان الحكمة، بل نسب الإتيان لنفسـه. والله تعـالي في القـرآن الكـريم يسـند الأمـور إلى ذاته العلية في الأمـور المهمة وأمـور الخـير، ولا يُنسب الشرَّ وَالسوء إلى نفسه أَلبتة. قَـالَ تعَـاليَ: "وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَــرُّ أُرِيــدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَـداً 10" الجين

فعندما ذكر الشر بناه للمجهول، وعندما ذكر الخير ذكر الله تعالى نفسه.وهذا مطرد في القرآن الكريم، ونجده في نحو: "آتيناهم الكتاب أ و "أوتوا الكتاب" فيقول الأولى في مقام الخير، وإنٍ قـال الثِانية فِهو في مِقِـام السـوءِ والـذم. وقـال تعـالي: " **وَإِذَا أَنْعَمْنَا** عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَـأَى بِجَانِبِـهِ وَإِذَا مَسَّـهُ الشَّـرُّ كَـانَ **يَؤُوسـاً** 83" الإسـراء فعنـدما ذكر النعمة قـال: (أنعمنـا) بإسـناد النعمة إلى نفسه تعالى. وعندما ذكر الشر قال: "وإذا مسه الشــر" ولم يقِل: إذا مسسناه بالشر.ولم ترد في القـرآن مطلقـا: زينا لهم سوء أعمالهم، وقد نجد: زينا لهم أعمـالهم، بـدون السـوء، لأن الله تعالى لا ينسب السـوء إلى نفسـه، ولما كـانت الحكمة خَـيرا محضا نسبها إلى نفسه

ـ إن قيل: فقد قال في موضع: "ومن يـؤت الحكمة فقد أوتي خـيرا كثيرا" البقرة 269

فالرد أنه عز وجل قد قال قبلها: "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشَاءُ وَمَنْ يُشَاءُ وَمَنْ يُشَاءُ وَمَنْ يُشَاءُ وَمَنْ يُشَاءُ وَمَا يَـذَّكُّرُ إِلَّا أُولُو يُهِؤْتَ الْحِكْمَـةَ فَقَـدْ أُوتِيَ خَيْـراً كَثِـيراً وَمَا يَـذَّكُّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" فنسب إتيان الحكمة إلى نفسه، ثم أعادها عامةً بالفعل المبنى للمجهول

مقام الشكر - (**أن اشْكُرْ لِلَّهِ**) لها دلالتان:

الأولَى : أن الحكمة لما كـــانت تفضلا ونعمة فعليه أن يشـــكر النعم، كما تقُـول: لقد آتـاك الله نعمة فاشِّـكره عليهـا. والله آتـاهُ الحكمة فعليه أن يشكره لأن النعم ينبغي أن تقابل بالشكر لموليها.

(آتاك نعمة الحكمة فاشكره عليها)

ِ النَّانِيةِ : أَن مِن الْجِكمة أِن تشِكر ربك، فـإذا شِكرت ربك زادك مِن نعِمه "وَإِذْ تَـاأَدِّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَـكَرْتُمْ لَأَريـدَنَّكُمْ وَلَئِنْ **كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** 7)" إبـراهيم ولو قـالَ غـير هـذا ، مثلا (فاشكر لَله) لكان فيه ضعف، ولم يؤد هذين المعنيين. وضعف المعنى يكون لأن الله تعالى آتاه الَّنعَمة ۖ "وَلَقَدْ أَتَيْنَا لُقْمَانَ الْجَكْمَـةَ" فـإن قـال بعـدها: (فاشـكر لله) فهـذا أمر موجه لشـخص آخر وهو الرَّسول، فيصـير المعـني : آتي الله لقمـان الْحكمة فاشـكر أنت!! كيف يكـون؟ المفـروضِ أن من أوتي الحكمة يشـكر ولـذلك قـال: "أن اشكر لله" فجاء بأن التفسيرية ولو قـال أي تعبـير آخر لم يـؤد هذا المعني.

﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ

"يشَـكر" قـال الشـكر بلفظ المضـارع ، والكفـران قاله بالفعل الْماضي َ "ومن كفــر" من الناحية النحوية الشــرط يجعل الماضي استقبالا ، مثال (إذا جاء نصر الله)، فكلاهما استقبال. ويبقى الســؤال : لمــاذا اختلف زمن الفعلين فكــان الشــكر بالمضــارع والكفر بالمشي على أن الدلالة هي للاستقبال؟ ِ

من تتبعنا للتعبير القرآني وجدنا أنه إذا جاء بعد أداة الشـرط بالفعل المَّاضي فذلك الَّفعل يُفعَل مرة واحدة أو قليلا، وما جاء بالفعل

المضارع يتكرر فعله

مثال ۗ وَمَنْ ۚ قَٰتِلَ مُؤْمِناً ۚ خَطَا ۚ فَيَحْرِيـرُ رَقَبَـةٍ مُؤْمِنَـةٍ وَدِيَـةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهٍ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا 92ً " النساء وبعدها قَال: "وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فِجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِـداً فِيهَا 93" النساء فعندما ذكر القتل الخطأ جـاء بَالفعلَ الماضي لأن هـذا خطأ غير متعمد، إذن هو لا يتكرر وعندما جاء بالقتل العمد جاء بالفعل المضارع (ومن يقتل) لأنه ما دام يتعمد قتل المؤمن فكلما سـنحت له الفرصة فعل. فجاء بالفعل المضارع الذي يدل على التكرار.

مثال آخر: "وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنُ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً 19" الإسراء ، فذكر الآخرة وجاء بالفعل الماضي لأن الآخرة واحدة وهي تراد. لكن عندما تحدث عن الدنيا قال: "وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدِّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدِّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدِّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدِّنا الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ 145" آل عمران ، لأن إرادة الثواب تتكرر دائما.

كل عمل تفعله تريد الثواب، فهو إذن يتكرر والشيء المتكـرر جـاء به بالمضارع يشكر، فالشكر يتكرر لأن النعم لا تنتهي " **وَإِنْ تَعُدُّوا** نِ**عْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُــوهَا إِنَّ الْإِنْسَــانَ لَطَلُــومُ كَفَّارُ 34"**

ا الما

فَّالَشَـكُر يتكـرر، كلما أحـدث لك نعمة وجب عليك أن تحـدث له شكرا أما الكفر فهو أمر واحد حتى إن لم يتكرر، فإن كفر الإنسان بأمر ما فقد كفر، إن كفر بما يعتقد من الدين بالضرورة فقد كفر، لا ينبغي أن يكرر هذا الأمر لأنه إن أنكر شيئا من الدين بالضرورة واعتقد ذلك فقد كفر وانتهى ولا يحتـاج إلى تكـرار، أما الشـكر فيحتاج إلى تكـرار لأن النعم لا تنتهي. وفيه إشارة إلى أن الشـكر ينبغي أن يقطـع، فخـالف بينهما في التعبير فجاء بأحـدهما في الـزمن الحاضر الـدال على التجـدد والاستمرار وجاء بالآخر في الزمن الماضي الذي ينبغي أن ينتهي.

<u>الله غني حميد</u> (**فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيُّ حَمِيدٌ** 12) جاء بإنما الـتي تفيد الحصـر، أي الشـكر لا يفيد إلا صـاحبه ولا ينفع الله ولا يفيد إلا صـاحبه حصـرا أما الله فلا ينفعه شـكر ولا تضـره

(يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) لذلك قال فَإنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ

جمع بين هـأتين الصـفتين الجليلـتين الحميد أي المحمـود على وجه الدوام والثبوت وهو تعالى غني محمود في غناه

- عد يكون الشخص غنيا غير محمود .

- أو محمودا غير غني .

- أو محمودا وهو ليس غنيا بعـد، فـإن اغتـنى انقلب لأن المـال قد يغير الأشخاص وقد يغير النفوس كما أن الفِقر قد يغير النفوس .

- وقُد يكـون الشَـخص غُنيا وغَـيْر محمـود لأنه لا ينفع فَي غنَـاه، ولا يـؤدي حق الله عليه ولا يفيد الآخـرين، بل قد يجر المصـالح لنفسه على غناه .

- وقد يكون محمودا غير غني، ولو كان غنيا لما كـان محمـودا، فـإن اجتمع الأمران فكان غنيا محمودا فذلك منتهي الكمال .

ُ وَفَي آَيةَ أُخُرِى فِي السَّورِةِ نَفْسَها قال: " **لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ** وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (26)

نقــول: فَلاَن غــني أي هو من جملة الأغنيــاء، وقد يكــون ملكا معه أغنياء فإذا قلت هو الغني فكأن الآخرين ليســوا شـيئا بالنسـبة إلى غناه وهو صاحب الغني وحده.

فلماذاً قاّل ها هنا فإن الله غني حميد وهناك في السورة نفسـها هو الغنى الحميد؟

نلاحظ أن في هذه الآية لم يـذكر له ملكا ولا شـيئا وهـذا حـتى في حٍياتنا اليومية ٍ نستعمله نقول أنا غني عنك كما قال الخٍليل:

أبلغ سليمان أني عنه في جو وفي غنى غير أني لست ذا

مال

فقد تقول: أنا غني عنـك، ولكن ليس بالضـرورة أن تكـون ذا ثـروة ومال فهنا لم يـذكر الله سـبحانه لنفسه ملكا المعـنى أن الله غـني عن الشكر وعن الكفر لا ينفعه شكر ولا يضٍره كفر.

أَما فِي الآيَّةُ الأَخــرِي فَقد ذكر له ملَكاً " **لِلّهِ مَا فِي السَّــمَاوَاتِ** وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (26)

فَعندُما ذَكِّرَ لَهُ مِلْكُ السَّمُواتِ والأَرَضُ المِتْسِعِ ، فمن أَغنى منه؟ فقال (هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) .

<u>أهمية الحكمة في الوعظ</u> ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لاِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُـهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْـرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكِ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ 13 ﴾

مِّن هنا بـدائت الوصية، فَلمَاذا صـدر بقولـه: "ولقد آتينـا.." وكـان يمكن مثلا أن يحذفها؟

الحكمة لها جانبان : جانب قولي وجانب عملي، وحكمة لقمان ليست فيما ذكره من أحاديث وأقوال وما قاله لابنه من الوصية، وإنما أيضا في العمل الذي فعله وهو تعهده لابنه وعدم تركه بلا

73

وعظ أو إرشاد، وفي هـذا توجيه للآبـاء أن يتعهـدوا أبنـاءهم ولا

يتركوهم لمعلمي سوء ولا للطرقات.

وصَـلَّر بالحكمة وهي ذات جـانبين قـولي وعملي لأمر آخر مهم، فعندما وصى ابنه فهل من الحكمة أن يوصي ابنه بشيء ويخالفه؟ هـذا ليس من الحكمة ولو فعله فلن تنفع وصـيته، لو خـالف الوعظ عمل الواعظ والموجه لم تنفع الوصـية بل لا بد أن يطبق ذلك على نفسه، فعنـدما قـال آتينا لقمـان الحكمـة علمنا من هـذا أن كل ما قاله لقمان لابنه فقد طبقه على نفسه أولا حتى يكون كلامه مـؤثرا لذلك كان لهذا التصدير دور مهم في التربية والتوجيه.

ففي هذا القول ولقد آتينا لقمان الحكمة عدة دروس مهمة:

الأول فيما قاله من الحكمة،

الثـاني في تعهـده لابنه وتربيته وتعليمه وعـدم تركه لأهل السوء والجهالة يفعلون في نفسه وعقله ما يشاء،

الثالث قبل أن يعظ ابنه طبق ذلك على نفسه فرأى الابن في أبيه كل ما يقوله وينصحه به من خير ، لذلك كان لهذا التصدير ملمح تربوي مهم وهو توجيه الوعاظ والمرشدين والآباء أن يبدؤوا بأنفسهم فإن ذلك من الحكمة وإلا سقطت جميع أقوالهم

<u>التعهد بالنصح مع حسن اختيار الوقت</u>

(وَهُوَ يَعِظُهُ)

, وبور يَحِكُ أنه يعظه ويتضح أنه وعظ من خلال الآيــات والأوامر وسياق الكلام، فلماذا قال وَهُوَ يَعِظُهُ فيها دلالتان

1. من حيث اللغة: الحال والاستئناس للدلالة على الاستمرار. وهو يعظه اختيار اليوقت المناسب للوعظ ، ليس كلاما طارئا يفعله هكذا، أو في وقت لا يكون الابن فيه مهيأ للتلقي، ولا يلقيه بغير اهتمام فلا تبلغ الوصية عند ذلك مبلغا لكنه جاء به في وقت مناسب للوعظ فيلقي ونفسه مهيئة لقبول الكلام فهو إذن اختار الوقت المناسب للوعظ والتوجيه

2. والْأُمر الثاني (وَهُوَ يَعِظُهُ). فهذا من شأن لقمان أن يعظ ابنه، هو لا يتركه، وليست هذه هي المرة الأولى، هو من شأنه <u>ألا يترك ابنه بل يتعاهده دائما،</u> وهكذا ينبغي أن يكون المربي.

فكل كلمة فيها توجيه تربـوي للمـربين والـواعظين والناصـعين والآباء.

<u>الرفق في الموعظة</u>

(یا بنی)

كلمة تصغير للتحبيب، أي ابدأ بالكلام اللين اللطيف الهين للابن وليس بالتعنيف والزجر. بل بحنان ورقة لأن الكلمة الطيبة الهينة اللينة تفتح القلوب المقفلة وتلين النفوس العصية، عكس الكلمة الشديدة المنفرة التي تقفل النفوس للذلك قال ربنا لموسى عن فرعون: "فَقُولًا لَمُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى 44"

وأنت أيها الأب إن أجلست ولدك إلى جانبك ووضعت يدك على رأسه وكتفه، وقلت له يا بني ، فتأكد أن هذه الكلمة بل هذه الحركة من المسح تؤثر أضعاف الكلام الذي تقوله ، وتؤثر في نفسه أكثر بكثير من كل كلام تقوله وتزيل أي شيء بينك وبينه من حجاب وتفتح قلبه للقبول. وعندها فهو إن أراد أن يخالفك فهو يخجل أن يخالفك، بهذه الكلمة اللطيفة الشفيقة تزيل ما بينك وبينه من حجاب، ويكون لك كتابا مفتوحا أمامك، وعندها سيقبل كلامك والكلمة الطيبة صدقة

لـذلك بـدأ بهـذه الكلمة مع أنه من الممكن أن ببـدأ الأب بـالأمر مباشرة ولكن لها أثُرها الذي لا ينكر ولا يترك، فـأراد ربنا أن يوجهنا إلى الطريقة اللطيفة الصحيحة المنتجة في تربية الأبناء وتـوجيههم وإزالة الحجاب بيننا بينهم من دون تعنيف أو قسوة أو شدة، وبـذلك تــريح نفسه وتزيل كل حجــاب بينك وبينه ونحن في حياتنا اليومية نعلم أن كلمة واحــدة قد تــؤدي إلى أضـعاف ما فيها من السـوء، وكلمة أخرى تهون الأمور العظيمة وتجعلها يسيرة

ولقد تعلمت درسا في هذه الحياة قلته لابني مرة وقد اشتد في أمر من الأمور في موقف ما، وأنا أتجاوز الستين بكثير، وكان الموقف شديدا جدا، وقد فعل فعلته في جهة ما وخُبَّرت بذلك فجئت به ووضعته إلى جنبي وقلت له: يا فلان تعلمت من الحياة درسا أحب أن تتعلمه وهو أنه بالكلمة الشديدة الناهرة ربما لا أستطيع أن أحصل على حقي ولكن تعلمت أنه بالكلمة الهينة اللينة الخذ أكثر من حقى .

<u>أس الوصية</u> ‹‹نافية الله و الله الله الله و ال

<u>على أَنْكُ</u> لاَ تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَطُلْمٌ عَطِيمٌ 13) لم يبدأ بالعبادة ولم يقل له اعبد الله وإنما بدأ بـالنهي عن الشـرك، وذلك لما يلي:

♦ <u>أولا</u>: التوحيد أس الأمــور، ولا تقبل عبـادة مع الشــرك، فالتوحيد أهم شيء.

خ <u>ثانيا</u>: العبادة تلي التوحيد وعدم الشرك فهي أخص منه. التوحيد تعلمه الصغير والكبير، فالمعتقدات تُتعلم في الصغر وما تعلم في الصعر فمن الصعب فيما بعد أن تجتثه من نفسه ، ولن يترك ما تعلمه حتى لو كان أستاذا جامعيا في أرقى الجامعات، هذا ما شهدناه وعايناه بأنفسنا فهذا الأمر يكون للصغير والكبير ، تعلمه لابنك وهو صغير، ويحتاجه وهو كبير، أما العبادة فتكون بعد التكليف.

* ثالثًا: أمر آخر أنه أيسر، فالأمر بعدم الشرك (أي بالتوحيد) هو أيسر من التكليف بالعبادة، العبادة ثقيلة ولذلك نرى كثيرا من الناس موحدين ولكنهم يقصرون بالعبادة، فبدأ بما هو أعم وأيسر؛ أعم لأنه يشمل الصغير والكبير، وأيسر في الأداء

والتكليف.

والتحقيق. ثم قال (**إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** 13)

لماذا اختار الظلم؟ لماذا لم يختر : إثم عظيم، ولماذا لم يقل كبير؟ لو تقدم شخصان إلى وظيفة أحدهما يعلم أمر الوظيفة ودقائقها وأمورها وحدودها، ويعبر عن ذلك بأسلوب واضح سهل بين، والثاني تقدم معه ولكنه لا يعلم شيئا ولا يحسنها وهو فيه عبء، وعنده قصور فهم وإدراك، فإن سوينا بينهما أفليس ذلك ظلما؟

ولو تُقُدمُ اثنانَ للدراسات العليا وأحدهما يعرف الأمور بدقة ويجيب على كل شيء، وله أسلوب فصيح بليغ لطيف، وآخر لا يعلم شيئا ولا يفقه شيئا ولم يجب عن سؤال ولا يحسن أن يبين عن نفسه، فإن سويت بينهما أفليس ذلك ظلما؟

وألفرق بين الله وبين المعبود الآخر أكبر بكثير، ليست هنـاك نسـبة بين الخالق والمخلوق، بين مـولي النعمة ومن ليس له نعمـة، فـإن كــان ذاك الظلم لا نرضى به في حياتنا اليومية فكيف نرضى فيما هو أعظم منه فهذا إذن ظلم، وهو ظلم عظيم

والإنسان المشرك يحط من قدر نفسه لأن الآلهة التي يعبدها تكون أحط منه، وقصارى الأمر أن تكون مثله، فهو يعبد من هو أدنى منه، أو بمنزلته، فهذا حط وظلم للنفس بالحط من قدرها، إنه ظلم لأنه يورد نفسه موارد التهلكة ويخلدها في النار وهذا ظلم عظيم.

وأمر آخر أن الإنسان بطبيعته يكـره الظلم، قد يرتضـيه لنفسه لكن لا يرضى أن يقع عليه ظلم ، فاختار الأمر الذي تكرهه نفوس البشر (الظلم) وإن كان المرء بنفسه ظالما.

وفي هذا القول تعليل، فهو لم يقل له: لا تُشْرِكُ بِاللَّهِ وسكت، وإنما علل له، وهذا توجيه للآباء أن يعللوا لا أن يقتصروا على الأوامر والنواهي بلا تعليل، لا بد من ذكر السبب حتى يفهم لماذا، لا بد أن يعرف حتى يقهم لماذا، لا بد أن يعرف حتى يقتنع فهو بهذه النهاية (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ 13) أفادنا أميورا كثييرة في التوجيه والنصح والتعليم والتربية.

<u>عظم حق الوالدين</u> (وَوَصَّـيْنَا الْأِنْسَـانَ بِوَالِدَيْـهِ حَمَلَتْـهُ أُمُّهُ وَهْنـاً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْـكُرْ لِي وَلِوَالِـدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِـيرُ 14)

(ووصينا) من قائلها؟ هذه ليست وصية لقمان، هذا كلام الله، لقمان لم ينه وصيته، هذه مداخلة، وستتواصل الوصية فيما بعد قبل أن يتم الوصية قال الله (وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ)، ولم يدع لقمان يتم الوصية، بل تدخل سبحانه بهذا الكلام، وذلك لأسباب:

أولا: أمر الوالدين أمر عظيم، والوصية بهما كذلك، فالله تعالى هو الذي تولى هذا الأمر، ولم يترك لقمان يوصي ابنه به، فلما كان شأن الوالدين عظيما تولى ربنا تعالى أمرهما، لعظم منزلتهما عند الله تعالى.

❖ ناييا : لو ترك لقمان يوصي ابنه يا بني أطع والديك لكان الأمر مختلفا. لأننا عادة في النصح والتوجيه ننظر للشخص الناصح هل له في هذا النصح نفع يعود على الناصح؟ فإن فأنت تنظر هل في هذا النصح نفع يعود على الناصح؟ فإن كان فيه نفع يعود على الناصح فأنت تتريث وتفكر وتقول: قد يكون نصحني لأمر في نفسه، قد ينفعه لو لم ينفعه لم ينصحني هذه النصيحة. لو ترك الله تعالى لقمان يوصي ابنه لكان ممكنا أن يظن الولد أن الوالد ينصحه بهذا لينتفع به ولكن انتفت المنفعة هنا فالموصي هو الله وليست له فيه مصلحة.

وقال: (ووصينا)، ولم يقل: وأوصينا والله تعالى يقول (وصّى) بالتشديد إذا كان أمر الوصية شديداً ومهماً، لذلك يستعمل وصى في أمور الدين، وفي الأمور المعنوية: ("وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَبَعْقُ وبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُونُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ 132"

لمسات بيانية في نصوص من الٍتنزيل_،

البقرة) ("وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ 131" النساء)

أُمَّا (أوصى) فيستَعملها الله تعالى في الأمور المادية: "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَر مِثْلُ حَظُّ الْأُنْتَيَيْنِ" النساء

لم تـرُد في القـران أوصى في أمـور الـدين إلا في مكان واحد اقـترنت بالأمور المادية وهو قـول السـيد المسـيح: "وَجَعَلَنِي مُبَارِكا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالرَّكَاةِ مَا دُمْتُ

حَيّاً 31" مريم

فيَ غير هـذه الآية لم تـرد أوصى في أمـور الـدين، أما في هـذا الموضع الوحيد فقد اقترنت الصلاة بالأمور المادية وقد قالها السـيد المسيح في المهد وهو غير مكلف أصلا.

قال وصّى وأسنّد الوصية إلَى ضمير التعظيم (ووصينا) والله تعـالى ينسب الأمور إلى نفسه في الأمور المهمة وأمور الخير

ولم يقل بأبويه بل اختار بوالديه

الوالدان مثنى الوالد والوالدة، وهو تغليب للمذكر كعادة العرب في التغليب إذ يغلبــون المــذكر كالشــمس والقمر يقولــون عنهما (القمران).

والأبوان هما الأب والأم ولكنه أيضا بتغليب المذكر ولو غلب الوالدة لقـال الوالـدتين، فسـواء قـال بأبويه أو بوالديه فهو تغليب للمـذكر، ولكن لماذا اختار الوالدين ولم يقلِ الأبوين؟

لَو نظرنا إلى الآيَة لِوِجدَناه يَذكُر الآم لا الآب: (حَمَلَتْـهُ أَمُّهُ وَهْنـاً

عَلَى وَهْنِ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ)

فذكر أولاً الحمل والفطام من الرضاع (وفصاله) ولم يذكر الأب أصلا ذكر ما يتعلق بسالام (الحمل والفصال) وبينهما السولادة والوالدان من الولادة، والولادة تقوم بها الأم.إذن:

♦ أولا (المناسبة) فعندما ذكر الحمل والفصال ناسب ذكر

الولادة.

❖ ثانیا: ذکره بالولادة وهو عاجز ضعیف، ولولا والداه لهلك

فذکره به.

ثالًا إشارة إلى انه ينبغي الإحسان إلى الأم أكثر من الأب، ومصاحبة الأم أكثر من الأب، لأن الـولادة من شأن الأم وليست من شأن الأب.

لذلك فعندما قال (بوالديـه) ذكر ما يتعلق في الأصل بـالأم، ولـذلك فهذه الناحية تقـول: ينبغي الإحسـان إلى الوالـدة قبل الأب وأكـثر

من الأب. ولــذلك لا تجد في القــرآن الكــريم الــبر أو الــدعاء أو التوصية إلا بذكر الوالدين لا الأبوين

أمثلة :

امسه . "وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْـدَكَ الْكِبَـرَ أَحَـدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلا تَقُـلُ لَهُمَا أُفِّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قِوْلاً كَرِيماً 2ٍ2" الإسراء

ِّ وَاغْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِـهِ شَـيْنَاً وَبِالْوَالِـَدَيْنِ إِحْسَـاناً

36" النساء

" قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً 151" الأنعام وكذلك البر والدعاء والإحسان

"رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَـوْمَ يَقُـومُ الْحِسَـابُ

41" إبراهيم

َّ رَبُّ اغْفِــرْ لِي وَلِوَالِــدَيُّ وَلِمَنْ دَخَــلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنــاً وَلِلْمُـــؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَــاتِ وَلا تَـــزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَــارا 28" نهج

"**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً** 8ٍ" العنكِبِوتِ .

" وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً 15" الأَحْقاف .

لم يُرد استعمال (الأبَـوَين) إلاَّ مـرة في المـواريث، حيث نصـيب الأب أكثر من نصـيب الأم، أو التسـاوي في الأنصـبة. لكن في الـبر والتوصية والدعاء لم يأت إلا بلفظ الوالـدين إلماحا إلى أن نصـيب الأم ينبغي أن يكون أكثر من نِصيب الأب.

كما ان لفظ (الأبوان) قد ياتي للجدين: "وَيُتِمُّ بِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْحَاقَ 6" يوسف

وَيَّاٰتِي لَّآدِم وحَـواءَ: "يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّـيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ 27" الأعراف

فاختيار الوالدين له دلالات مهمة.

ثم هو هنا لم يأت بالأب أصلاً بل قال (حملته أمه وهنا ..) ولم يـرد ذكر للأب أبدا، لذلك كان اختيار الوالدين انسب من كل ناحية.

قد تقول إن هذا الأمر تخلف في قصة سيدنا يوسف عندما قال: "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَـرُّوا لَـهُ سُـجَّداً 100" يوسف فاختار الأبوين. الجواب: لم يتخلف هذا الأمر، فعندما قال رفع أبويه لم يتخلف وذلك لما يلي:

أولا : في قصة يوسف لم يرد ذكر لأم مطلقا ورد ذكر الأب فهو الحزين وهو الذي ذهب بصره .. الخ ولم يرد ذكر للام أصلا في قصة يوسف.

* ثانيا : في هذا الاختيار أيضا تكريم للأم لأنه قال: "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَـرْشِ وَخَـرُّوا لَـهُ سُـجَّداً 100" فالعادة أن يكرم الابن أبويه ، ليس أن يكرم الأبوان الابن ولكن هنا هم خروا له سجدا فالتكريم هنا حصل بالعكس من الأبوين للابن ولـذلك جاء بلفظ الأبوين لا الوالـدين إكراما للام فلم يقـل: ورفع والديه

وفيها إلماح آخر أن العرش ينبغي أن يكون للرجال .
 فلما قــال أبويه هنا ففيه تكــريم للأم، ويلمح أن لعــرش ينبغي أن يكـون للرجــال ، ويناسب ما ذكر عن الأب إذ القصة كلها مع الأب،

فهو الأنسب من كل ناحية

وهناً قد يرد سؤال: إن الأم هي التي تتأثر وتتألم أكثر وتحزن فلماذا لم يرد ذكرها هنا؟ ألم تكن بمنزلة أبيه في اللوعة والحسرة؟ لا المس ألة أمر آخر أو يمسف ليست أو يقبة الاخروق هم أو

لا .. المسالة أمر آخر ، أم يوسف ليست أم بقية الإخوة ، هي أم يوسف وأخيه فقط ، ولذلك فيكون كلامها حساسا مع إخوته ، أما يعقوب عليه السلام فهو أبوهم جميعا ، فإذا عاتبهم أو كلمهم فهو أبوهم ، أما الأم فليست أمهم ، فإذا تكلمت ففي الأمر حساسية ، وهذا من حسن تقديرها للأمور فكتمت ما في نفسها وأخفت لوعتها حتى لا تثير هذه الحساسية في نفوسهم وهذا من حسن التقدير والأدب، فلننظر كيف يختار القرآن التعبيرات في مكانها ويعلمنا كيف نربي ونتكلم مع أبنائنا.

لمسات بيانية من سورة القمر

قال الله تعالى : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَلَّآتٍ وَنَهَرٍ ۚ [54} فِي مَقْعَدِ صِدْق عِندَ مَلِيكِ مُّقَتَدِرِ﴾ [القمر].

سَأَلَّ سَائل: لَمَّ وحد تَعَّالَى: (النَّهر) في هذه الآية ولم يجمعه مع أن الجنات قبله جمع بخلاف المواضع الأخرى من القرآن الكريم، فإنه إذا جمع الجنة، جمع النهر أيضاً فيقول: (جنات تجري من تحتها الذَّمَا)

الأنهار)

والجواب: أنه جمع في لفظ (النهر) عدة معان وأعطى أكثر من فائدة لا يفيدها فيما لو قال: (أنهار) ذلك أنه علاوة على أن فواصل الآيات، تقتضي (النهر) لا (الأنهار) لأن آيات السورة على هذا الوزن فقد جاء قبلها: (وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر) وجاء بعدها: (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) فإن إلمعنى أيضاً ذلك من جهات أخرى منها:

أنة النهر اسم جنس بمعنى الأنهار، وهو بمعنى الجمع[1] والكثرة، ومنه قوله r: "أهلك الناس الدينار والدرهم" والمراد بالدينار والدرهم الجنس لا الواحد.

وجاء في (معاني القرآن): "ونهر معناه أنهار وهو في مذهبه كقوله: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) [2] وزعم الكسائي أنه سمع العرب يقولون: أتينا فلاناً فكنا في لحمة ونبيذة فوحد ومعناه الكثير"[3] . ومنها: أن معاني (النهر) أيضاً السعة اللهاء والسعة ههنا عامة تشمل سعة المنازل وسعة الرزق والمعيشة، وكل ما يقتضي تمام السعادة السعة فيه. جاء في (البحر المحيط): "ونهر: وسعة في الأرزاق والمنازل"[5] . وجاء في (روح المعاني): "وعن ابن عباس تفسيره بالسعة والمراد بالسعة سعة المنازل على ما هو الظاهر،

وقيل: سعة الرزق والمعيشة، وقيل: ما يعمهما"[6]. ومنها: أن من معاني (النهر) أيضاً الضياء^[7].

جاء في (لسان العرب): "وأما قوله ـ عز وجل ـ(إن المتقين في جنات ونهر) فقد يجوز أن يعني به السعة والضياء

، وأن يعني به النهر الذي هو مجرى الماء، على وضع الواحد موضع الجميع... وقيل في قوله: (جنات ونهر) أي: في ضياء وسعة، لأن الجنة ليس فيها ليل، إنِما هو نور يتلألأ"[8].

وجاء في (معانّي القر أن) لفراءً: "ويقال: (إن المتقين في جنات

ونهر) في ضياء وسعة"^[9].

وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فإن المتقين في جنات وأنهار كثيرة جارية، وفي سعة من العيش والرزق والسكن وعموم ما يقتضي السعة، وفي ضياء ونور يتلألأ ليس عندهم ليل ولا ظلمة. فانظر كيف جمعت هذه الكلمة هذه المعاني كلها، إضافة إلى ما تقتضيه موسيقى فواصل الآيات بخلاف ما لو قال (أنهار)، فإنها لا تعني إلا شيئاً واحداً.

ثم انظر كيف أعنه لما كان المذكورون هم من خواص المؤمنين، وهم المتقون وليسوا عموم المؤمنين أعلى أجرهم ودرجتهم، فقال: (ونهر) ولم يقل: (وأنهار) ولما أعلى أجرهم ودرجتهم وبالغ في إنعامهم وإكرامهم جاء بالصفة والموصوف بما يدل على المبالغة فقال: (عند ملك مقتدر) ولم يقل: (ملك قادر) فإن (مليك) أبلغ من (قادر) فإن كلمة (مليك) على صيغة (فعيل) وهي أبلغ واثبت من صيغة (فعل) أالاً.

جاء في (رُوح المعاني): "عند مليك، أي: ملك عظيم الملك، وهو صيغة مبالغة، وليست الياء من الإشباع"[11].

ولما جاء بالصيغة الدالة على الثبوت، قال: (في مقعد صدق) "ذلك لأن هذا المقعد ثابت لا يزول، فهو وحده مقعد الصدق، وكل المقاعد الأخرى كاذبة، لأنها تزول إما بزوال الملك صاحبه، وإما بزوال القعيد، وإما بطرده، وهذا المقعد وحده الذي لا يزول، وقد يفيد أيضاً أنه المقعد الذي صدقوا في الخبر به"^[12].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إن معنى الصدق ههنا يفيد معنى الخير أيضاً والجودة والصلاح [13] فجمعت كلمة (الصدق) ههنا معنيي الخير والصدق معاً، كما جمع (النهر) أكثر من معنى ثم انظر كيف أنهم لما صدقوا في إيمانهم وعملهم، كان لهم مقعد الصدق. و(المقتدر) أبلغ أيضاً من (القادر) ذلك أن (المقتدر) اسم فاعل من (اقتدر) وهذا أبلغ من (قدر) فإن صيغة (افتعل) قد تفيد المبالغة والتصرف والاجتهاد والطلب في تحصيل الفعل بخلاف فعل [14] ومنه اكتسب واصطبر واجتهد قال تعالى: (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت والبقرة].

جاء في (الكشاف) في هذه الآية: "فإن قلت: لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب؟

قلت: في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس، وهي منجذبة إليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد، فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال"^[15].

وجاء في (البحر المحيط): "والذي يظهر لي أن الحسنات، هي مما تكتسب دون تكلف والسِيئات ببناء المبالغة"^[16].

وقال سيبويه: "كسب: أصاب، واكتسب: تتصرف واجتهد"^[17]. فجاء ههنا، أي: في قوله: (مقتدر) بالصيغة الدالة على القدرة البالغة مع الملك الواسع الثابت.

فانظر كيف بالغ وأعطم في الأجر، وبالغ وأعظم في الملك، وبالغ وأعظم في القدرة لمن بالغ وجد في عمله وصدق فيه وهم

المتقون.

ونريد أن نشير إلى أمر، وهو إطلاق وصف (المبالغة) على صفات الله نحو علام، وعليم، وغفور، وما إلى ذلك فقد توهم بعضهم أنه ينبغي أن لا يطلق على صفات الله وصف المبالغة، لأنها صفات الله وصف المبالغة، لأنها صفات حقيقية وليست مبالغاً فيها. وقد اعترض علي معترض ذات مرة بنحو هذا. مع أنهه من الواضح أن ليس المقصود كما ظن الظان أو توهم فالمقصود أن هذا البناء يفيد كثرة وقوع الفعل، وليس المقصود أن الأمر مبالغ فيه. فرعليم) أبلغ من (عالم) و(صبور) أبلغ من (صابر) ذلك أن الموصوف بعليم معناه أنه موصوف بكثرة العلم، وليس المقصود أن ساحبه وصف بهذا الوصف وهو لا يستحق أن يوصف به فكان الوصف به مكان

ولاً نريد أنم نطيل في كشف هذه الشبهة، فإنها فيما أحسب لا تستحق أكثر من هذا.

^[1] الكشاف 3/186، والبحر المحيط 8/184، روح المعاني 27/958 [2] سورة القمر 45

^[3] معانَى القرآنَ 3/111

^[4] لسان العرب (نهر 7/96، القاموس المحيط (نهر 2/150، تاج العروس 3/591، الكشاف 3/186[5] البحر المحيط 8/184 [6] روح المعاني 27/95

^[7] لسَّانَ العرب (نهر 7/96، تاج العروس (نهر 3/591، الكشاف 3/186

- [8] لسان العرب 7/96
- [9] معاني القرِّآن 3/111 وانظر الكشاف 3/186
- [10] انظر كتاب (معاني الأبنية بأبي صيغ المبالغة والصفة المشبهة.
 - [11] روح المعاني 96/2͡7
 - [12] البحر المحيط 8/184
 - [13] البحر المحيط 8/184
- [14] انظر كتاب سيبويه 2/241 شرح الشافيه للرضي 1/110، البحر المحيط 2/366
 - [15] الكشاف 1/308
 - [16] البحر المحيط 2/366
 - [17] كتاب سيبويه 2/241، وانظر لسان العرب(كسب 2/211) .

لمسة بيانية من سورتي الطور والقلم

قال تعالى في سورة الطور:(فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُون (29)).

وقال َ فِي سورة القلم :(مَا أَنْتَ بنِعْمَةِ رَبِّكَ بمَجْنُونِ (2)).

فَزاد قوله :(بكاهن) على ما في سُورَة القلمَ ، فما سبب ذاك ؟

والجوابٍ : أن هناك أكثر من سبب دعا إلى هذه الزيادة.

1ً- منها أنه فصل في سُورة الطور في ذكر أقوال الكفرة في الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكروا أنه كاهن ، وذكروا أنه مجنون ، وذكروا أنه شاعر . (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون). وقالوا إنه كاذب :(أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون)ـ

المتون). وقالوا إنه كادب .(ام يقولون تقوله بل لا يومنون). في حين لم يذكر غير قولهم إنه مجنون في سورة القلم :(ويقولون

في حين ثم يدكر غير قولهم إنه مجنول في سورة القلم .(ويقولور إنه لمجنون) فناسب ذكر هذه الزيادة في سورة الطور.

2- ومنها أنه ذكر في سورة الطور قوله :(أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين) والاستماع مما تدعيه الكهنة لتابعيهم مِن الجنِّ ، فناسب ذلك ذكر الكهنة فيها.

3- ومنها أنه ذكر السحر في سورة الطور فقال :(أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون). فناسب ذكر السحر ذكرَ الكهنة.

4- ومما حسن ذلك أيضاً أنه توسع في القَسَم في أول سورة الطور بخلاف سورة القلم ، فقد قال :(والطور * وكتاب مسطور * في رق منشور * والبيت المعمور * والسقف المرفوع* والبحر المسجور).

> في حين لم يقسم في سورة القلم إلا بالقلم وما يسطرون. فناسب التوسع في الطور هذه الزيادة.

5- ذكر في سورة القلم في آخر السورة قول الكفرة ، إنه لمجنون ولم يزد على هذا القول ، فقال :(وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون) فرد عليهم في أول السورة بنفي الجنون عنه فقال:(ما أنت بنعمة ربك بمجنون)ـ فناسب آخر السورة أولها.

ثم انظر من ناحية أخرى كيف ناسب التأكيد بالباء الزائدة في النفي (بمجنون) التوكيد باللام في الإثبات (لمجنون) لأن الباء لتوكيد النفي واللام لتوكيد الإثبات. والله أعلم.

لمسة بيانية من سورتي المعارج والقارعة

قال تعالى في سورة المعارِّج :(وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (9)). وقال في سورة القارعة :(وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (5)). فزاد كلمة (المنفوش) في سورة القارعة على ما في المعارج ، فما سبب ذاك؟

والجِواب - والله أعلم :

1- أنه لما ذكر القارعة في أول السورة ، والقارعة من (القَرْعِ) ، وهو الضرب بالعصا ، ناسب ذلك ذكر النفش ؛ لأن من طرائق نفش الصوف أن يُقرعَ بالمقرعة. كما ناسب ذلك من ناحية أخرى وهي أن الجبال تهشم بالمقراع - وهو من القَرْع - وهو فأس عظيم تحطم به الحجارة ، فناسب ذلك ذكر النفش أيضاً. فلفظ القارعة أنسب شيء لهذا التعبير. كما ناسب ذكر القراعة ذكر (الفراش المبثوث) في قوله :(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) في قوله :(يوم يكون الناس كالفراش ذكر (الفراش) وحده كما لم يحسن ذكر (الفراش) وحده كما لم يحسن ذكر (الفراش) وحده. وأشد مما ذكر في سورة المعارج : وأشد مما ذكر في سورة المعارج : وأشد مما ذكر في سورة المعارج : فقد قال في سورة المعارج : وأسر صبراً جميلاً * إنهم يرونه بعيداً* ونراه قريباً). وليس متفقاً على تفسير أن المراد بهذا اليوم ، هو اليوم الآخر. وإذا كان متفقاً على تفسير أن المراد بهذا اليوم ، هو اليوم الآخر. وإذا كان

المقصود به اليوم الآخر فإنه لم يذكر إلا طول ذلك اليوم ، وأنه تعرج الملائكة والروح فيه. في حين قال في سورة القارعة : (القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة) فكرر ذكرها وعَظَّمها وهوَّلها. فناسب هذا التعظيم والتهويل أن يذكر أن الجبال تكون فيه كالعهن المنفوش. وكونها كالعهن المنفوش أعظم وأهول من أن تكون كالعهن من غير نفش كما هو ظاهر.

3- ذكر في سورة المعارج أن العذاب (واقع) وأنه ليس له دافع (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع) ووقوع الثقل على الصوف ، من غير دفع له لا ينفشه بخلاف ما في القارعة ، فإنه ذكر القرع وكرره ، والقرع ينفشه وخاصة إذا تكرر ، فناسب ذلك ذكر النفش فيها أيضاً.

4- التوسع والتفصيل في ذكر القارعة حسَّن ذكر الزيادة والتفصيل فيها ، بخلاف الإجمال في سورة المعارج ، فإنه لم يزد على أن يقول :(في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة).

5- ان الفواصل في السورتين تقتضي أن يكون كل تعبير في مكانه ، ففي سورة القارعة ، قال تعالى :(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش). فناسبت كلمة (المنفوش) كلمة (المبثوث) .

وفي سُورَة المعارج ، قال :(يوم تكون السماء كالمهل * وتكون الجبال كالعهن*). فناسب (العهن) (المهل).

6- ناسب ذكر العهن المنفوش أيضاً قوله في آخر السورة :(نار حامية) لأن النار الحامية هي التي تذيب الجبال ، وتجعلها كالعهن المنفوش ، وذلك من شدة الحرارة ، في حين ذكر صفة النار في المعارج بقوله :(كلا إنها لظي * نزاعة للشوى) . والشوى هو جلد الإنسان. والحرارة التي تستدعي نزع جلد الإنسان أقل من التي تذيب الجبال ، وتجعلها كالعهن المنفوش ، فناسب زيادة

(المنفوش) في القارعة من كُل ناحيةً. والله أعلم.

7- كما ًأنَّ ذكر النار الحامية مناسب للقارعة من ناحية أخرى ، ذلك أن (القَرَّاعة) - وهي من لفظ القارعة - هي القداحة التي تقدح بها النار.

فناسب ذكر القارعة ، ذكر الصوف المنفوش ، وذكر النار الحامية ، فناسب آخر السورة أولها.

وبهذا نُرى أَن ذكرَ القارَعْة حسَّنَ ذكر (المبثوث) مع الفراش ، وذكر (المنفوش) مع الصوف ، وذكر النار الحامية في آخر السورة. والله أعلم. لِمسات بيانية مِن سورة المنافِقون

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {9} وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ) [المنافقون]

في هاتين الآيتين ـ كما هُو شأن الآيات القرآنية كلها ـ أسرار تعبيرية بديعة. والذي دعاني إلى الكتابة فيهما، أن سائلاً سألني مرة: لماذا قال تعالى: (فأصدق) بالنصب وعطف بالجزم، فقال: (وأكن) ولم يجعلهما على نسق واحد؟ فآثرت أن أكتب في هاتين

الآيتين لارتباطهم. (يا أيها الذينِ آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن

يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون).

لقد نهى الله في هذه عن الانشغال بأمر الأموال والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها، والانشغال بأمر الأولاد إلى حد الفعلة عن ذكر الله، وإيثار ذلك عليه ومن يفعل ذلك كان خاسراً خسارة عظيمة.

هذا معنى الآية على وجه الإجمال، إلا أن هناك أسراراً تعبيرية تدعو إلى التأمل منها:

رلا تلهكم أموالكم) ومعنى (لا تلهكم): لا تشغلكم 1وقد تقول: لماذا لم يقل: (لا تشغلكم) الماذا لم يقل: 1

ُ والجَّواب: أَن من الشغلُ ما هو محمود فقد يكون شغلاً في حق كما جاء في الحديث: "إن الصلاة لشغلاً" وكما قال تعالى: (إنَّ

أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ) [يس]أما الإلهاء فمما لا خير فيه وهو مذموم على وجه العموم، فاختار ما هو أحق بالنهي. 2ـ لقد أسند الإلهاء إلى الأموال والأولاد فقال: (لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم) فقد نهى الأموال عن إلهاء المؤمن، والمراد في الحقيقة نهي المؤمن عن الالتهاء بما ذكر والمعنى لا تلتهوا بالمال والأولاد عن ذكر الله وهذا من باب النهي عن الشيء والمراد غيره، وهو كقوله تعالى: (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم الله الغرور) [لقمان] فقد نهى الحياة الدنيا عن غير المؤمن والمراد نهي الميا

إنّ المنهي في اللغة: هُو الفاعل نحو قولك: (لا يضرب محمود خالداً) فـ (محمود) هو المنهي عن أن يضرب خالداً، ونحو قولك: (لا يسافر إبراهيم اليوم) فإبراهيم منهي عنة السفر. ونحو قوله تعالى: (لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن) [الحجرات] فالقوم هم المنهيون وكذلك النساء وكما تقول: (لا تضرب خالداً) و (لا تضربي هند) فالفاعل في الآية هو الأموال والأولاد أما المخاطبون فمفعول به فالمنهي إذن هي الأموال والأولاد، وهي منهية عن إلهاء المؤمن.

وقد تُقُولً: ولم لم يعبر بالتعبير الطّبيعي فيقوّل: لا تلتهوا بالأموال والأولاد، على أصل المعنى؟

والجواب: أن في هذا العدول عدة فوائد:

منها: أنه نهى الأموال عن التعرض للمؤمن وإلهائه عن ذكر الله فكأنه قال: أيها الأموال لا تهلي المؤمن عن ذكري. فكأن الله يريد حماية المؤمن وذلك بنهي السبب عن أن يتعرض له فكيف عن التم من

وفي هذا النهي مبالغة إذ المراد نهي المؤمن ولكنه بدأ بالأصل المسألة وهي الأموال والأولاد فنهاها هي عن التعرض للمؤمن بما يلهيه فقد جعل الله المؤمن كأنه مطلوب من قبل الأموال والأولاد تسعى لإلهائه وفتنته فنهاها عن السعي لهذا الأمر لينقطع سبب

الإلتهاء ويقمعه.

ومنها: أن فيه إهابة للمؤمن ألا يقع في شرك الأموال والأولاد بحيث تلهيه وهو غافل مسلوب الإرادة، فنسب الإلهاء ليأخذ المؤمن حذره منها، فكأن الأموال والأولاد ينصبون الشرك ليلهوه عن ذ كر الله، فعليه أن يحذر من أن يقع فيه كما تقول: (لا يخدعك فلان) فغن فيه إهابة لأخذ الحذر منه.

هذا بالإضافة إلى ما فيه منة التعبير المجازي اللطيف، وهو إسناد الإلهاء إلى الأموال فجعلها عاقلة مريدة تنصب الشرك لوقوع

المؤمن في الفخ.

جاء في (روح المعاني): "والمراد بنهي الأموال وما بعدها نهي المخاطّبين، وإنما وجه إليها للمبالغة لأنها لقوة تسببها للهو وشدة مدخليتها فيه، جعلت كأنها لاهية وقد نهيت عن اللهو، فالأصل لا تلهوا بأموالكم .. الخ. فالتجوز في الإسناد وقيل: إنه تجوز بالسبب عن المسِبب كقوله: (فلا يكن في صدرك حرج) أي: لا تكونوا بحيث تلهيكم أموالكم"[2]

وجاء في (تفسير البيضاوي): "توجيه النهي إليها للمبالغة"[3] . 3ًـ جاء بـ (لا) بعدَ حرف العطف فقال: (لا تلهكم أموالكم ولا أُولادكم) ولم يقل: (أُموالكم وأولادكم) ذلك أن كُلاً من الْأُمُوال والأولاد داع من دواعي الإلهاء وكذلك الأولاد.

وق قال: (أموالكم وأولادكم) لاحتمل أن النهي عن الجمع بينهما، فلو لم يجمع بينهما جاز، فلو انشغل بالمال وحده جاز، أو انشغل بالأولاد وحدهم جاز، وهو غير مراد. إذ المراد عدم الانشغال بأي واحد منهما على سبيل الانفراد أو الاجتماع.

4- قدم ألأموال على الأولاد لأن الأموال تلّهي أكثر من الأولاد، فإن الانشغال فيها وفي تنميتها يستدعي وقتاً طويلاً وقد ينشغل المرء بها عن أهله، فلا يراهم إلا لماماً فقدم الأموال لذلك.

5_ قدم المفضول على الفاضل، فالأولاد أفضل من الأولاد لأن المال، إنما يكون في خدمتهم ويترك لهم وذلك لأكثر من سبب. منها: أن المقام مقام إلهاء كما ذكرنا فاستدعى تقديهما.

ومنها: أن المقام يقتضي ذلك من جهة أخرى، فغن هذا التقديم نظير التقديم في الآية اللاحقة من تقديم المفضول وهو قوله: (فأصدق وأكن من الصالحين) فقدم الصدقة على كونه من

الصالحين.

ولما قدم النهي عن الإلتهاء بالمال قدم الصدقة. والصدقة إنما هي إخراج للمال من اليد والقلب، والالتهاء غنما هو انشغال به بالقلب والوقت والجارحة.

وُلماً قال: (عن ذكر الله) قال: (وأكن من الصالحين) لأن المنشغل عن الفرائض وذكر الله ليس من إلصالحين. فهو تناظر جميل. لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم ... فأصدق.

عن ذكر الله وأكن منم الصالحين

والملاحظ أنه حيث اجتمع المال والولد في القرآن الكريم، قدم المال على الولد إلا في موطن واحد، وذلك نحو قوله تعالى: (شغلتنا أموالنا وأهلونا) [الفتح] وقوله: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) [الكهف] وقوله: (وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً) [المدثر]، ونحو ذلك، لأن المال في هذه المواطن أدعى إلى التقديم، إما لأن الانشغال به أكثر كما ذكرنا، أو لأنه أدعى إلى الزينة والتفاخر وما إلى ذلك من المواطن التي تقتضي تقديم الأموال.

أما المواطن الذي قدم فيه الولد على المال، فهو قوله تعالى: (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَثَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [التوبة] وذلك لأن المقام مقام حب. ولا شك أن المتقدمين من الأبناء والأزواج وغيرهم أحب إلى المرء من ألأموال لأنه إنما ينفق المال عليهم ويبقيه لهم بعد رحيله عن هذه الدار.

ثُم لا تنسَّ أنه قدم مُجموع القرابات من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة، ولا شك أن هؤلاء بمجموعهم أحب إلى المرء من المال. فالأبناء وحدهم أثقل من ميزان الآباء من الأموال، فكيف إذا اجتمع معهم ما اجتمع ممن يحب؟

أما مسألة تقديم الأُموال على وجه العموم، فلعل الله ييسر لنا البحث فيها.

6 قال: (ومن يفعل ذلك) ولم يقل: (ومن تلهه لك) فنسب الفعل إلى الشخص، لينال بذلك جزاءه ولئلا يفهم أنه ليس بمقدور الشخص الانصراف عن اللهو، وأنه غير مسؤول عن هذا الالتهاء. فقال: (ومن يفعل ذلك) للدلالة على أن ذلك بمقدور، وأن هذا من فعله وكسبه. فالالتهاء ليس أمراً سلبياً، بل هو فعل يقوم به الشخص وينال جزاءه عليه.

7ـ ثم انظر كيف جاء لذلك بالفعل المضارع فقال: (ومن يفعل) للدلالة على استمرار الحدث وتكرره ولم يقل: (ومن فعل) بالماضي، ذلك لن الالتهاء بالأموال والأولاد أمر يومي ومتكرر، ولذا عبر عنه الفعل المضارع الذي يدل على التكرار والتطاول. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أنه لو قال: (ومن فعل) لاحتمل أن ذلك الخسران الكبير، إنما يقع ولو فعله مرة واحدة وهو غير مراد. ثم ليتناسب الفعل والجزاء إذ ليس من المعقول والقصر إنما

90

الخسران الكبير الثابت المدلول عليه بالجملة الإسمية والقصر إنما يكون لما وقع مرة واحدة من الالتهاء، بل المناسب أن يكون ذلك لما تكرر حصوله وتطاول.

8ـ ثم قال بعد ذلك: (فأولئك هم الخاسرون) واختيار الخسران نهاية للآية أنسب شيء هاهنا فإنه المناسب للالتهاء بالأموال

والانشغال بها.

فإن الذي ينشغل بالمال إنما يريد الربح، ويريد تنمية ماله فقال له: إن هذا خسران وليس ربحاً حيث باع "العظيم الباقي بالحقير الفاني"[4]

9ـ ثم إن الإتيان بضمير الفصل (هم) بين المبتدأ والخبر وتعريف (الخاسرون) بأل، إنما يفيدان القصر والتأكيد، أي أن هؤلاء لا غيرهم هم الخاسرون حقاً. وهم أولى من يسمون خاسرين فإنه لم يقل: (فأولئك خاسرون)، أو من الخاسرين ولو قال لأفاد أن خسارتهم قد تكون قليلة أو قد يشاركهم فيها غيرهم بل قال: (فأولئك هم الخاسرون) للدلالة على أنهم هم الخاسرون دون غيرهم وهم المتصفون بالخسارة إلى الحد الأقصى.

جاءً في (روح المعاني): "وفي التعريف بالإشارة والحصر للخسران فيهم، وفي تكرير الإسناد وتوسيط ضمير الفصل ما لا يخفى من

المبالغة"[<mark>5]</mark>.

10_ اختار الإلهاء عن ذكر الله دون غيره من العبادات فلم يقل مثلاً: لا تلهكم عن الصلاة أو عن الجهاد أو عن غير ذلك من العبادات، ذلك أن ذكر الله يشمل جميع الفرائض، فكل عمل تعلمه لا يكون لله إلا إذا كنت ذاكراً لله في نفسك أو على لسانك أو مستحضراً له في قلبك والذكر قد يكون في اللسان، قال تعالى: (وأذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة) [الأعراف] وقال: (وأقم الصلاة لذكرى) [طه] فذكر الله "عام في الصلاة والثناء على الله تعالى بالتسبيح والتحميد وغير ذلك والدعاء وقال الحسن: جميع الفرائض"[6].

ولذلُك كَان الخسران كبيراً فهو متناسب مع عظم المعصية، والله أَعلم (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخُرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ

الصَّالِحِينَ).

1ـ تبدأ الآية بقوله: (وأنفقوا من ما رزقناكم) وهذا الأمر بالإنفاق مقابل النهي عن الإنفاق على أصحاب رسول الله من المنافقين فالمنافقون يقولون لأوليائهم: (لا تنفقوا على من عند رسول الله

حتى ينفضوا) [المنافقون] والله يقول لأوليائه: (وأنفقوا من ما رزقناكم) فانظر كيف قابل النهي بالأمر.

2ًـ قال: (من ما رزقناكم) فجاء بـ (من) الدالة على التبعيض ولم يقل: (أنفقوا ما رزقناكم)، للدلالة على أن الإنفاق إنما يكون في قسم من المال ولا يشمل المال كله، فتستهل النفوس التخلي عن قسم من المال، استجابة لأمر ربها بخلاف ما إذا سألها المال كله، فإنها تستعظم ذلك وتبخل به، قال تعالى: (وَلا يَشْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ { 36} إِن يَشْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ { 36} إِن يَشْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ أَمْوَالَكُمْ أَسْخَلُوا وَيُخْرِجُ أَضْغَانَكُمْ) [محمد] 36 أَسند الرزق إلى نفسه فقال: (من ما رزقناكم) للدلالة على أن هذا المال غنما هو من رزق الله سبحانه، ملكه عباده، فتطيب النفوس لإخراج بعض ما رزقه الله استجابة لأمر الله الرازق. وهذا التعبير اللطيف مدعاة إلى الخروج عن الشح والاستجابة لأمر الله.

4ـ ثم قال: (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) فجاء بـ (من) ولم يقل: (قبل أن يأتي أحدكم الموت) إشارة على قرب الموت من الإنسان، وأنه على الإنسان أن يسابق الموت ويبادر بالعمل الصالح فإن (من) هذه تفيد ابتداء الغاية الزمانية، ومعناه الزمن القريب من الموت بل المتصل به، وأن حذفها يفيد الوقت الذي هو قبل الموت سواء كان قريباً أم بعيداً [7] ويفيد إعطاء المهلة مع أن الأجل إذا جاء لا يمهل، فالمجيء بها يفيد طلب التعجيل بالتوبة والإنفاق إذ كل ساعة تمر بالإنسان، تحتمل أن تكون هي ساعة الموت، وهي التي ذكرها بقوله: (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) فانظر حسن التعبير ودقته.

5ـ قدم المفعول بعه على الفاعل، فقال: (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) ولم يقل: (يأتي الموت أحدكم) ذلك لأن المفعول به هو المهم هاهنا، إذ هو المعني بالتوبة والصلاح، وهو المدعو للإنفاق وهو المتحسر النادم إذا عاجله الموت.

فَالعَناية والاهتَمام منصبان على المَفعول الذي يأتيه الموت، وهو كل واحد منا.

6ـ جاًء بالفاء في قوله: (فيقول رب) ولم يأت بـ (ثم) أو الواو، ذلك لأن الفاء تفيد معنيين السبب والعطف، في حين أن ثم أو الواو لا تفيد السبب، وبل تفيد العطف وحدهـ

ومَن ناحية أخرى، إن الفاء تفيد التعقيب بلا مهلة في حين أن (ثم) تفيد التراخي، والواو تفيد مطلق الجمع.

فجاء بالفاء لجمع معنيي السبب والعطف، أي أن الموت سبب لهذا الندم وطلب التأخير لما ينكشف له من سوء المنقلب والعياذ بالله. ثم إن طلب التأخير يأتي رأساً بلا مهلة، ففي ساعة الموت وعند حضوره يطلب التأخير ليسلك سبيل الصالحين، ولو جاء بـ (ثم) لما أفاد ذاك، بل يفيد أن طلب ذاك إنما يكون بعد مهلة وتراخ، وكذلك الواو لا تفيد ما أفادته الفاء.

7ـ ثم انظر كيف ناسب المجيء بالفاء الدالة على قصر الوقت لم حذف حرف النداء، فقال: (رب) ولم يقل: (يا رب) لأن الوقت لم يعد يحتمل التضييع في الكلام فيأتي بـ (يا) بل يريد أن يستعجل في طلبه، فيختصر من الكلام ما لا حاجة له به ليفرغ إلى مراده ـ 8ـ جاء بـ (لولا) فقال: (لولا أخرتني) ولم يقلك (لو أخرتني) لأن (لولا) أشد في الطلب من (لو) وقائلها أكثر إلحاحاً من قائل: (لو) فإن (لو) تكون للطلب برفق، وأما (لولا) فتكون للطلب بشدة وحث، ومعنى ذلك أن ما هو فيه يستدعي الإلحاح في الطلب، وأن يجأر به وأن يأتي بما هو من أشد أدوات الطلب قوة، كما أنها من أدوات الطلب ولو جاء بـ (لو) لفاد العرض الخفيف.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إن (لو) قد تفيد التمني، والتمني قد يكون ميئوسا منه ليس لصاحبه فيه مطمع نحو (لو يعود الميت إلى الحياة، فيخبر الناس بما هو فيه) في حين أن هذا القائل ليس متمنياً، بل هو طالب للعودة، سائل لها فلو جاء بـ (لو) لأفاد أن هذا من باب التمني الذي يتمناه الإنسان، ولا يرجو وقوعه كقول القائل: (ألا ليت الشباب يعود يوماً) والتمني قد يكون فيحال العافية كما يكون في غيرها في حين أن هذا طالب للتأخير وليس متمنياً.

9ـ جاء بالفعل الماضي بعد (لولا) فقال: (لولا أخرتني) ولم يقل: (لولا تؤخرني) ذلك أن المحذور وقع في حين أن الفعل المضارع قد يفيد أن ألأمر لم يقع بعد، وأن في الأمر سعة وذلك نحو قوله تعالى: (لو نشاء جعلناه أجاجاً فولا تشكرون) [الواقعة] وقوله: (قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللّهَ لَعَلّكُمْ ثُرْحَمُونَ) [النمل].

هذا علاوة على ماً يفيد دخول (لولا) على الماضي من قوة الطلب وشدته، وإن كان مستقبل المعنى.

1ً0ـ ثم انطر كيف طلب مهلة قصيرة لإصلاح حاله، مع أنه كان يتقلب في الأرض من دون أدنى تفكير أو اهتمام بمآله في الآخرة

أو بالأوقات التي يضيعها هدراً من دون اكتراث، فقال: (إلى أجل قريب) ولم يقل: (إلى أجل) فيحتمل القريب والبعيد، فطلب مهلة قصيرة وأجلاً قريباً لتدارك ما فات.

فانظر كيف جاء بالفاء الدالة على قصر الزمن بين إتيان الموت وطلب التأخير، وحذف (يا) النداء اختصاراً للزمن ليفرغ إلى طلبه، وجاء ب، (لولا) الدالة على الإلحاح في الطب، كل ذلك ليحصل على مهلة قليلة ليصلح شأنه، فانظر أية إشارات هذه إلى هول ما هه فيه؟

> وقد تقول: ولم قال هاهنا : (أخرتني) بالياء وقال في سورة الإسراء (أخِرتني) فحذف الياء واجتزأ بالكسرة؟

والجواب: أن المقام يوضح ذلك.

قَلِيلاً) [الإسراء].

وقَالَ ههنا: (لُولا أَخْرِتني إلَى أَجلَ قريب فأصدق وأكن من الصالحين) وهنا نسأل: أي الطلبين يريده المتكلم لنفسه على وجه الحقيقة، وأيهما يعود بالنفع عليها ودفع الضرر عنها أهو قوله: (لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أُجَلِ قَرِيبٍ فَأُصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ)أُم قوله: (لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً).

والجوابَ ظاهرَ فإن طلب إبليس لا يريده من أجل نفسه، ولا لأنه محتاج إليه، وإنما يريده ليضل ذرية آدم. ثم إن هذا الطلب لا يعود عليه بنفع، ولا يدفع عنه ضراً وليست له مصلحة فيه، بل العكس هو الصِحيح بخلاف الطلب الآخر، فإنه يريده لنفسه حقاً وإنه لا

شيء ألزم منه لمصلحته هو ودفع الضرر عنبٍه.

فلما كان طلب التأخير لمصلحة الطالب حقاً، وأنه ابتغاه لنفسه على وجه الحقيقة أظهر الضمير ولما كان طلب إبليس ليس من أجل نفسه ولا يعود عليها بالنفع حذف الضمير واجتزأ بالكسرة. ثم في الحقيقة، إن كلام إبليس ليس طلباً، وإنما هو شرط دخل عليه القسم فقال: (لئن أخرتن) فهو من باب الطلب الضمني، وليس من باب الطلب الصريح وأما قوله: (لولا أخرتني) فهو طلب صريح ففرق تبعاً لذلك بين التعبيرين وضرح بالضمير وأظهر نفسه في الطلب الصريح، وحذف الضمير واجتزأ بالإشارة إليه في الطلب غير الصريح. وهو تناظر جميل، ففي الطلب الصريح.

11ـ وهنا نأتي إلى سؤال السائل وهو: لم عطف بالجزم على النصب، فقال: (فأصدق) بالنصب ثم قال (وأكن) بالجزم ولم يجعلها على نسق واحد؟

والجواب: أنة هذا مما يسميه النجاة (العطف على المعنى) وقد يسمى فير غير القرآن (العطف على التوهم). ذلك أن (أصدق) منصوب بعد فاء السببية، و(أكن) مجزوم على أنه جواب للطلب، والمعنى: إن أخرتني أكن من الصالحين ونحو ذلك أن تقول: (هلا تدلني على بيتك أزرك) مجزوم بجواب الطلب والمعنى، إن تدلني على بيتك أزرك ولو جئت بفاء السبب لنصت، فقلت: (هلا تدلني على بيتك أزرك ولو جئت بفاء السبب لنصت، معنى الشرط جزمت.

جاء في (البحر المحيط): "وقرأ جمهور السبعة (وأكن) مجزوماً قال الزمخشري: (وأكن) مجزوماً على محل (فأصدق) كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن وقال ابن عطية: عطفاً على الموضع لأن التقدير إن تؤخرني أصدق وأكن"[8]

ففي الْآية الكُريمة جاء بالمعطوف عليه على إرادة معنى السبب وجاء بالمعطوف على معنى الشرط فجمع بين معنيي السبب والشرط فالعطف إذن ليس على إرادة معنى الفاء بل على إرادة معنى جديد.

جاء في (معاني النحو): "عطف (أكن) المجزوم على (أصدق) المنصوب، وهو عطف على المعنى وذلك أن المعطوف عليه يراد به السبب، فإن (أصدق) منصوب بعد فاء السبب وأما المعطوف فليس على تقدير الفاء ولو أراد السبب فاء السبب، ولكنه جزم لأنه جواب الطلب نظير قولنا: (هل تدلني على بيتك أزرك؟) كأنه قال: إن تدلني على بيتك أزرك فجمع بين معنيي التعليل والشرط، ومثل ذلك أن أقول لك: (احترم أخاك يحترمك) و(احترم أخاك فيحترمك) فالأول جواب الطلب والثاني سبب وتعليل وتقول في الجمع بين معنيين (أكرم صاحبك فيكرمك ويعرف لك فضلك) وهو عطف على المعنى"[9].

وقد تقول: ولماذا لم يسو بينهما، فيجعلهما نسقاً واحداً؟ والجواب أنهما ليسا بمرتبة واحدة في الأهمية، فالصلاح أهم من الصدقة ذلك أنم الذي ينجي من العذاب، هو كونه من الصالحين لا كونه متصدقاً فإن المؤمن قد لا يتصدق بصدقة أصلاً ومع ذلك يدخل الجنة بصلاحه فقد يكون ليس معه ما يتصدق به. فالذي ينجيه من العذاب، ويدخله الجنة، هو أن يكون من الصالحين،

95

والتصدق وإنما يكون من الصلاح. والذي يدلك على ذلك قوله تعالى في سورة (المؤمنون): (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ {99} لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخُ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) فإنه ذكر الصلاح ولم قائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخُ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) فإنه ذكر الصلاح ولم يذكر الصدقة، لأن الآية لم تقع في سياق الكلام على الأموال فعبر عن كونه هو الأهم الدلالة على التعهد والتوثيق، فقد اشترط على نفسه أن يكون من الصالحين، وقطع عهداً على نفسه بذلك فأعطى الأهم والأولى السلوب الشرط الدال على القوة في الأخذ على النفس والالتزام أصلوب التعليل ولم وأعطى ما هو دونه في الأهمية والأولوية، أسلوب التعليل ولم يجعلهما بمرتبة واحدة.

وقد تُقول: إِذَا كَانَ الأَمرِ كَذَلَكَ فَلَكَ قَدَمِ الصَّدَقَةَ عَلَى الصَّلَاحِ؟ وَالْجَوَابِ: أَنِ السَّيَاقَ هُو نَفَي إِنَفَاقَ الأَمُوالِ، فقد قال تعالى في هذه الآية: (وأنفقوا من ما رزقناكم ...) فدعا إلى الإنفاق، فكان تقديم الصدقة مناسباً للمقام. ثم إنه تردد في السورة ذكر الأموال والانشغال بها، وما إلى ذلك، فقد جاء قبل هذه الآية قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) فنهى عن الانشغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله، وجاء قبلها قوله في المنافقين: (هُمُ النَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

فأنت ترى أن تقديم الصدِّقة، والمناسب للسياق الذي وردت فيه الآية وللجو الذي تردد فيه ذكر الأموال والانشغال بها، والتوصية من المنافقين بعدم إنفاقها في سبيل الخير.

وقد يقول: ولم قُال: (فأصدق) ولم يقلك (فأتصدق) الذي هو الأصل؟

والجواب: أن هناك أكثر من سبب يدعو إلى هذا الاختيار. منها أن مقاطع (فأتصدق) أكثر من مقاطع (فأصدق) فإن مقاطع (فأتصدٍق) ستة ومقاطع (فأصدق) خمسة:

 $\dot{b} + \dot{1} + \ddot{c} + \dot{c} + \ddot{c} = m$ فَ $\dot{c} + \dot{1} + \ddot{c} + \ddot{c} + \ddot{c}$

 $\dot{o} + \dot{o} + \dot{c} + \dot{o} = \dot{c}$ ف $\dot{c} + \dot{c} + \dot{o} = \dot{c}$ مسة مقاطع.

وهو طلب التأخير إلى أجل قريب فاختار اللفظة التي هي أقصر لتناسب قصر المدة.

ثم إن في (فأصّدّق) تضعيفين أحدهما في الصاد، والآخر في الدال في حين أن في (فأتصدق) تضعيفاً واحداً موطنه الدال، والتضعيف مما يدل على المبالغة والتكثير، ولذا كان في قوله: (فأصدق) من المبالغة والتكثير في الصدقة ما ليس في (فأتصدق) فدل بذلك أنه أراد أجلاً قرِيباً ليكثر من الصدقة ويبالغ فيها.

فهذا البناء أفاد معنيين:

الأول: قصر المدة وذلّك لأنه طلب التأخير مدة قصيرةـ والآخر: هو الإكثار من الصدقة في هذه المدة القصيرة فكان ذلك أ.

من هذا ترى أنه وضع كل تعبير في مكانه الذي هو أليق، وأعطى كلاً منهما حقه الذي هو له. فانظر كيف جمع بين معنيين التعليل والشرط.

وقدم الصدقة مناسبة للمقام وأعطى الصلاح أهمية تفوق الصدقة، وجاء لفظة تدل على قصر المدة والإكثار من الصدقة فجمعت معنيين مناسبة للمقام، كل ذلك بأوجز عبارة وأبلغها والله أعلم.

[1] الكشاف 3/235 [2] روح المعاني 28/117 [3] تفسير البيضاوي 738 [4] الكشاف 3/235

[5] روح المعاني 2/617[6] البحر المحيط 8/274[7] انظر معاني النحو 2/619 وما بعدها.

[8] البحر المحيطُ 3/275، وانظر الكشاف 3/236 فتح القدير 5/227 [9] معاني النحو 3/259 . لمسات بيانية في سورة الإنسان قوله : (هَـلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَـانِ حِينٌ مِّنَ الْـدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً {1})

لو نظرنا في سياق السورة نجد أن آيات السورة تذكر الإنسان قبل وجوده وتذكره وهو نطفة أمشاج وتذكره فيما بعد كإنسان مكلّف وتذكره بعد خروجه من البدنيا إلى النعيم والمُلك الكبير أو الأغلال والسعير، فالسورة كلها تذكّره في كل مراحل الإنسان فهي بحق سورة الإنسان.

والسورة تبدأ بقوله تعالى (هل أتى) .إن المفسرين وأهل اللغة عموماً يقولون هل هنا معناها (قد) بمعنى (قد أتى) لكن لا يُقصد بها الإخبار وإنما (قد) مسبوقة باستفهام بمعنى (أقد أتى) فالإستفهام قائم والقصد منه التقرير وليس الإستفهام حقيقة. فالإستفهام حقيقة هو أن يسأل الإنسان (هل أتى) لا أن يُخبر الإنسان (قد أتى) كما أننا لا نقول لشخص قد أنعمت عليك لكن تقول هل أنعمت عليك لكن تقول هل أنعمت عليه ليأتي الجواب منه بنعم. فالله تعالى يسأل هل أتى على الإنسان فيجيب الإنسان نعم فجواب السؤال لكل من يسأل هو نعم إذن من الذي خلق الإنسان بعد أن كان عدماً؟ إذا كان أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا فمن الذي خلقه؟ فالجواب (إنا خلقنا الإنسان) أياً كان هذا الإنسان لم يكن شيئاً مذكوراً.

الآن نسأل من المقصود بهذا الإنسان الذي ذكره تعالى في مطلع السورة؟ هنا اختلف المفسرون فقسم قال أن المقصود هو آدم □ لم يكن شيئاً مذكوراً عندما خلقه الله تعالى من الطين إلى قبل نفخ الروح فيه كان شيئاً ولم يكن مذكورا، وقسم آخر يقول هو الإنسان بدليل قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) يشيمل ذرية آدم □ وليس آدم لأن آدم من تراب فكل واحد من البشر كان شيئاً في الرحم لكنه لم يكن مذكورا. لكن الذي يترجح والله أعلم أن الإنسان في الآية يشمل آدم □ ويشمل ذريته أي

جنس الإنسان عموماً. ويأتي سؤال هنا في الحقيقة ما المقصود بـــ (لم يكن شيئاً مذكورا)؟ هل المقصود أنه لم يكن شيئاً أصلاً كقوله تعـالي في سـورة مـريم(ولقد خِلقتك من قبل ولم تِك شـيئا) في خطابه لزكريا 🏻 أُو قوله تعالى (أولا يـذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يكُ شيئًا) أو المقصود أنه خلقه أي كان شيئاً لكنه لم يكن مذكورا؟ **فما دلالة كلمة (مذكورا) هنا؟ وهل هي منفية أو** مثبتة؟ مثل هـذا التعبـير في اللغة يحتمل معنـيين وهـذا من بـاب التوسعِ في المعـني، فهو يحتمل نفي القيد أِصـلاً (لم يكن شـيئاً) لا مذكوراً ولا غيره كما في قوله تعالى (لا يسألون إلحافـا((يحسـبهم الجاهِّلَ أغَنيـاء من التعفـف) بمعـنى أنهم لا يسـألون لا ملحفين ولا غير ملحفين فيتعففون ولا يسألون الناس. وكذلك يحتمل نفي القيد فقط بمعنى كان شيئاً لكنه لم يكن منذكورا كما في قوله تعالى (وما خلقنا الســموات والأرض وما بينهما لاعــبين) لم ينفي خلق السموات والأرض لكنه نفي اللعب. وعليه فإن قوله تعالى (لم يكن شيئاً مَذكوراً) تَحتَمِلِ أنه أتى على الإنسانِ حين من الـدِهر لم يكن شيئاً أصلاً مذكوراً أو غير مذكور وتحتمل أن يكون شـيئاً لكنه غـير مذكور.

يُبنى عَلى هذا السؤال سؤال آخر: إذا كان المُراد المعنى الأول (أي النفي أصلاً) أي العموم فلَم ذكر كلمة مذكور ولم يقل كما جاء في سورة مريم (وَلم تك شيئا) بدون ذكر كلمة مُذكُور؟ هناك أكـثر من سـبب لـذكر كلمة (مـذكور) أولاً هي إشـارة إلى تطـور على جميع مراحل الإنسان فقد خلق الإنسان من لا شيء وكان شِيئاً ولم يكن مـذكورا ثم نطفة أمشـاج ولو لم يقل مـذكورا لأفـاد أنه قفز فـوق المرحلة الوسطي والسورة كما أسلفنا تتحـدُث عن تطـور مَراحَلُـ الإنســان وجميع أطــواره قبل وجــوده ووجــوده وهو غــير مــذكور ووجوده وهو مذكور والنطفة وغيرها. إذن لماذا لم يستخدم كلمة مذكورا في سورة مريم؟ عدم ذكرها في سورة مريم هو المناسب لأن الآية في السورة خطاب لزكريا 🏿 عندما دعا ربه ليهب له غلاماً فقـال تعـالي (إنا نبشـرك بغلام اسـمه يحـيي) فيتعجب زكريا (أنّي يكون لي غلام) فقال تعالى (ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) بمعـنى أن الله تعـالى خلقه ولم يكن شـيئاً أِصـلاً ولو قـاِل شـيئاً مذكورا لا تظهر قدرة الله ٍتعالى ٍلأنها ستفيد أنه كان شــيئاً لكنه لم يكن مذكورا. فالخلق من أبوين أيسر عند الله من الخلق مِن العدمِ لِكن الله تعالى يريد أن يُظهر أنه خلق زكريا ولم يكن شيئاً مذكوراً أي خلقه من العدم وهذا أصعب من الخلق من أبوين وكله عند الله

99

تعالى سهل لكننا نتحدث من منطق البشر. والعموم يدلُ على القدرة الأكبر ولو قال في آية سورة مريم (شيئاً مذكورا) لم تؤدي المعنى المطلوب في الآية. وهذا أدلُ على القدرة، كذلك في قوله تعالى (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) لم يأت بكلمة مذكورا هنا أيضاً لأن الخطاب في الآية للذين أنكروا البعث فهم يستبعدون أن يعيدهم الله بعد موتهم فيخبرهم الله تعالى أن الإعادة أيسر من الإبتداء بالخلق من عدم ونفي الشيء هو أبلغ من الذي

ومن الملاحظ أيضاً في هذه الآية استخدام فعل أتى بدل فعل جاء والسبب أن القرآن يستعمل أتى فيما هو أيسر أما جاء فيستعمل فيما هو أشق وأصعب. وهنا قال تعالى (هل أتى على الإنسان) فالإنسان ليس فيه مشقة أو ثقل على إتيانه في مثل هذه الحالة استعمل أتى دون جاء.

وكذلك قـدّم الجـار والمجـرور (على الإنسـان) على الفاعل (حين) والأصل أو يتقدم الفاعل على الجار والمجـرور لكن الكلام في الآية هو على الإنسان وليس على الدهر فالدهر يمر والكلام في الإنسان فهو أهم من الدهر في السياق الذي وردت فيه الآية فاقتضى تأخير الفاعل وتقديم الجار والمجرور.

ِ۞- قوله (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَـانَ مِن نُّطْفَـةٍ أَمْشَـاجٍ نَّبْتَلِيـهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾{2}

بعد أن أثار تعلل السَوَّال في الآية الأولى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا) فإن السامع سيقول قطعاً نعم أتى عليه هذا الحين، فيُطرح سؤال آخر إذن: من خلق هذا الإنسان وأوجده؟ فيجيب الله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) والإجابة جاءت بضمير التعظيم وبالتوكيد (إنّا) ضمير التعظيم مع التوكيد لأن هذا الأمر فيه عظمة وجلال. وقد قدّم إسم إنّ على الجملة الفعلية التي هي خبر إن. ومن جملة معاني التقديم هو القصر بمعنى نحن وحدنا خلقنا الإنسان على سبيل الحصر والقصر وقد أكد تعالى ذلك بـ (إنّ) وذكر ذلك بضمير التعظيم إذن فهو الخالق حصراً ليس معه شريك سبحانه.

وفّي نفس الوقت قال (نبتّله) بضمير التعظيم بدليل أن الخالق والمبتلي جهة واحدة وهو الله تعالى لأنه أحياناً قد يكون الإبتلاء من إنسان على إنسان وهذا يـدل على عظمة الأمر الـذي يبتلي بـه. ثم قـال (فجعلنـاه) وهـذا الفعل منسـوب إلى الله تعـالى أيضـاً وهو

سبحانه الذي تفضّل على الإنسـان بـذلك فخلقه وأنشـأه وهو الـذي الخري الوسائل التي يصحّ معها الإختبار.

الإنسان الذي ورد ذكره في الآية؟ في الآية الأولى (هل أتى على الإنسان الذي ورد ذكره في الآية؟ في الآية الأولى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا) اختلف في مدلول كلمة الإنسان أهو آدم الله أم ذريته؟ أما في هذه الآية فالمقصود قطعاً هم ذرية آدم لأنه تعالى ذكر أنه خلقه من نطفة أمشاح وهذا لا يكون لآدم الذي خلقه من تراب. المرجّح في الآية الأولى أن المقصود بالإنسان المسذكور في الآية هو آدم وهذا يدل على القدرة ذرية آدم افذكر الإنسان الأول ومن بعده وهذا يدل على القدرة وعلى الإيجاد والإستمرار ولذلك لم يذكر الضمير في الآية الثانية التي تدل على الإنسان فلم يقل مثلاً إنا خلقنا ومن نطفة أمشاح باستعمال الضمير بل قال تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاح إمشاح) وهذا يدل على أن المقصود قطعاً ذرية آدم. وهذا كله يرجّح أن الإنسان في الآية الأولى يقصد بها آدم والإنسان في الآية الأولى يقصد بها آدم والور المؤلى المؤلى المؤلى المؤلى المؤلى المؤلى المؤلى المؤلى المؤلى الآية الأولى المؤلى المؤ

يــرجح أن الإنســان في الآية الأولى يقصد بها أدم أن والإنســان في الآية الثانِية يقصد بها ذرية آدم [].

نطفةِ أمشاج: الأمشاج لغة هي الأخلاطِ وكلمة أمشـاج تسـتعمل مفرداً وجمعاً (مشيج ومشج والجمع أمشاج، مِشيج تجمع على أمشاج مثل شريف وأشـراف، ومشج تجمع على أمشـاج مثل بطل وأبطال ومشج ومزج متشابهتان في المبنى والمعنى)، وفي اللغة العربية كلمات عديدة تستعمل مفرداً وجمعـاً مثل كلمة بشر وقد اسـتعملت فِي القـرآن الكـريم للمفـرد (أبشـراً منا واحـداً نتبعـه) والجمع (ما أنتم إلا بشر مثلنــا) ســورة يس، وكــذلك كلمة الفلك اُستعملت في القرآن للمفـرد (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون) سـورة يس، وللجمع (حـتي إذا كنتم في الفلك وجـرين بهم بريح طيبة) سورة يونس، وكِذلك كلمة طفلُ تسَـتعمل للَّمفـُردُّ والجمع وقد يستعمل جمعها أيضاً لأنها تجمع على أطفال (والطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) و (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم). والأمشـاج هي الأخلاط وكما قلنا تسـتعمل للمفـرد والجمع ونسـأل لمـاذا اختـار الجمع علي المفـرد في هـذه الآيـة؟ كـان من الْممكن الِقول (نطفة مشيجة أو مشج) لكن اختيار الجمع لكثرة ما فيها من أخلاط وامتزاجــات وهــذا موجــود في اللغة فيقــال : بلد سبسب (أي قفر) وبلد سباسب، يمكن القـول بلد سباسب إذا كـثر فيه القفر كأن كل جزء من البلد هو سبسب والسبسب هي الأرض الواسعة الصحراء. كذلك نقول أرض قفر وأرض قفار والجمع تعني

101

أن كأن كل جزء من الأرض قفر على حدة، ولهذا قال تعالى إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج من كثرة ما فيها من أخلاط. فيتليه! بمعنى نختبره ونمتحنه. الفعل المجرّد بلى يبلو أما فعل ابتلى يبتلي ففيه مبالغة أكثر من فعل بلى مثل صبر واصطبر لأن صيغة افتعل فيها مبالغة مثل كسب واكتسب. إذن قال تعالى نبتليه وليس نبلوه دلالة على المبالغة في الإختبار. وقد استعمل القرآن الكريم نبلو وابتلى في مواضع عديدة فيعد غزوة أحد قال تعالى (وليبتلي الله ما في صدروكم) سورة آل عمران ثم بعد غزوة الأحزاب قال تعالى (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدا) المعنى غير مضطرد لأنه أحياناً يكون الأقل في المبنى أبلغ في المعنى مثل فعل حذر (صيغة مبالغة) وحاذر (إسم فاعل)، حذر أبلغ من حاذر وفيها صيغة مبالغة (وهذه الأمور تُعرف في أبنية الفعل وفي معانيه في علم الصرف ودلالة الصيغ مثل صيغة فعّل وافتعل وتفاعل واستفعل وغيرها)

ونسأل الآن لماذًا جاءت آية سورة الملك باستخدام فعل بلي يبلو في قوله تعالى (الَّذِي خَلَـقَ الْمَـوْتَ وَالْحَيَـاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَـنُ عَمَلاً وَهُـوَ الْعَزِيـزُ الْغَفُـورُ {2}}. ؟ ولمـاذا حـاء التخفيف في البلاء ولم يستعمل ليبتليكم؟

وما الفرق بينهما؟

102

بَرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ {6}) لكن في سورة الإنسان ذكر الإبتلاء في الأعمال (يُوفُوونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً {7} وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأُسِيراً {8}) (فَاصْبِرْ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأُسِيراً {8}) (فَاصْبِرْ الطَّعَامَ وَلَا يُطِعُ مِنْهُمْ أَيْما أَوْ كَفُوراً {44} وَاذْكُر السَّمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأُصِيلاً {25} وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَـهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً {26}) وأفاض في ذكر النعيم في الآخرة مما لم يذكره في الملك (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَانُ كَانَ مِن كَانَ مَا لَا يُخْرَهُ فَي الْمَلك (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَانِ كَانَ مِن كَانَ مِن كَانَ وَرَاحُهُمْ يَوْما تَقِيلاً { [يَّ هَؤُلاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَخَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْما تَقِيلاً { [يَّ هَؤُلاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَخَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْما تَقِيلاً { [يَّ هَؤُلاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَخَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْما تَقِيلاً إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَانِيلاء وذكر الطامين (يُسَدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَقِيهِ الْعَمال جعل ذكر وَالطلم من نتائج والمَال عمال جعل ذكر من الأعمال جعل ذكر الإبتلاء أنسب من كل ناحية من حيث الوسائل وجو السورة والسياق والأعمال هذا من حيث الوسائل وجو السورة والسياق والأعمال هذا من حيث الوسيغة.

يَـأتي سَـؤَال نحـوي هنا : قـال تعـالى (إنا خلقنا الإنسـان من نطفة أمشـاج نبتليه فجعلنـاه سـميعاً بصـيرا) **فما هو وضع نبتليه من الناحية النحوية في الآية؟** نبتليه جملة فعلية تحتمل معنيين:

الأول : التعليل نبتليه بمعـنى لنبتليه كما قـال في سـورة الملك لنبلوكم، الجملة إسـمها اسـتئنافية تفيد التعليل مثـل: جئت أشـتري داراً أو جئت أتعلم.

والاً حتمال الثاني : أن تكون حال مقدرة من الفاعل. والحال مقسمة إلى ثلاثة أقسام من حيث الدلالة على الزمن:

1. <u>حُ**ال مقارنة**:</u> مثل جاء ماشياً أو شربت الماء بارداً وهذه أكثر أنواع الحال.

2. حال مقرة: تقع في الإستقبال يعني الفعل في زمن والحال في زمن آخر في المستقبل كما جاء في قوله تعالى (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) وهناك فرق بين الزمن عند تبشير إبراهيم بإسحق ولم يكن عندها موجوداً حتى في رحم أمه، أو كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصرين) والحلق والتقصير هي آخر الشعائر بعد الطواف والسعي. إذن الفعل يأتي في زمن والحال تأتي في زمن آخر في المستقبل.

3. **حال محكية** قد يكون زمنها ماضي.

نعود للحال المقدرة ودلالتها في آية سورة الإنسان: نبتليه جملة فعلية حال مقدرة من الفاعل فقوله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه) بمعنى مبتلين له أي الله تعالى هو المبتلي، ومحتمل أن تكون حال مقدرة من المفعول بمعنى خلقنا الإنسان مثل قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) وأصلاً الحال يمكن أن تفيد علّة مثل (جئت طامعاً في رضاك) و (جئت مبتغياً عونك) هي حال وتظهر كأنها علة. إذن استخدام كلمة (نبتليه) أفاد معاني عدة وهذا من باب التوسع في المعنى لأنها احتملت أن تكون استئنافية للتعليل، أو حال مقدرة من الفاعل أو حال مقدرة من المفعول. ولو جاء الفعل باللام (لنبتليه) لما أفاد إلا معنى التعليل فقط وصيغة (نبتليه) أفادت عدة معاني وكلها مقصودة في التعليل فقط وصيغة (نبتليه) أفادت عدة معاني وكلها مقصودة في الآية.

ونسأل لماذا لم تستخدم هذه الصيغة في آية سورة الملك الملك لتفيد التوسع أيضاً لأن التعبير في سورة الملك لا يحتمل أصلاً لأنه تعالى ذكر في سورة الملك خلق الموت والحياة ولم يذكر الإنسان أصلاً فكيف تأتي الحال وهو لم يذكر الإنسان ؟ إذن لا يصح التعبير أما في سورة الإنسان فذكر الإنسان لذا جعل كل تعبير في مكانه الذي يؤدي المعنى المطلوب بأوسع صورة.

من الملاحظ في آية سورة الإنسان أن الله تعالى ذكر كل ما يصح معه الإبتلاء ومستلزمات الإبتلاء: السمع (سميعاً) والبصر (بصيرا) والعقل (إنا هديناه السبيل) والإختيار (إما شاكراً وإما كفورا) ولا يمكن للإنسان أن يكون شاكراً أو كفرواً إلا إذا كان عاقلاً، وذكر مادة الإختيار أي السبيل الذي هداه الله له وذكر موقف المكلّفين من الإختيار فقسم منهم شاكر وقسم كفور وذكر عاقبة الإبتلاء (الجنة والسعير) وذكر المبتلى (وهو الله تعالى) وذكر المبتلى (وهو الإنسان) فلم يدع شيئاً يخص الإبتلاء إلا وذكره في هذه الآية والإبتلاء لا يصح بدون هذه الأدوات كلها.

فجعلناه سميعاً بصيرا! قدّم تعالى السمع على البصر في هذه الآية كما هو شأن الكثير من آيات القرآن في تقديم السمع على البصر لأن السمع أهم في باب التكليف والإختبار من البصر لأن فاقد السمع من الصعب تكليفه بخلاف فاقد البصر الذي يكمن تبليغه وتكليفه بشكل أسهل. والأمثلة في القرآن الكريم عديدة عن تقديم السمع على البصر كقوله تعالى (وهو السميع البصير) (إن السمع وارى) (إن السمع والبصر والفؤاد).

وفي هذه الآية من سورة الإنسان قدّم تعالى السمع والبصر على الهداية فبعد أن قال تعالى (فجعلناه سميعاً بصيرا) قال (وهديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا)لأن السمع والبصر يوصلان المعلومات إلى العقل وبدونهما تتعسّر الهداية والأحكام في الغالب تأتي بما يقدمه السمع والبصر فهما إذن أي السمع والبصر سبيل للوصول إلى الهداية وسبيل العقل لفهم المعلومات. ومن الملاحظ أنه تعالى لم يفصل بين السمع والبصر بالواو كأن يقول (سميعاً وبصيرا) لئلا يُفهم أنه تعالى خلق الإنسان على نوعين منهم من يسمع ومنهم من يُبصر. وهنالك أمر آخر في هذه الآية أيضاً وهو لماذا استخدم صيغة المبالغة (سميعاً) ولم يستخدم (سمّاع) مثلاً؟

في القرآن الكريم يستعمل صيغة المبالغة (سميع) كما في قوله (وهو السميع البصير) (السميع العليم) ويستعمِل صيغة المبالغة (سـمّاع) يكما في قوله في سـورة إلمائـدة (ي**َا أِيُّهَا الرَّسُـولُ لا**َ يَجِْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْـرِ مِنَ الَّذِينَ قَـالُواْ آمَنَّا بِأُفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنَ قُلِوبُهُمْ وَمِنَ الْإِدِينِ هِادُوا <u>سَمَّاعُونَ</u> لِّلْكَذِبِ <u>َسَمَّاعُونَ</u> لِقَوْمٍ آخَـرِينَ لَمْ يَـأَثُوكَ يُحَرِّفُـونَ الْكَلِّمَ مِن بَعْدٍ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـِـذَا فَخُـِذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ أَللَّهُ فَتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينِ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الـــدُّنْيَا ۚ خِــہْرِٰيُ وَلَهُمْ ۚ فِيَ الآجِــرَةِ عَـــذَابٌ عَظِيمٌ {41}} <u>سَـمَّاعُونَ</u> لِلْكَـٰدِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّـحْتِ فَـإِن جَـآؤُوكَ فَـاجْكُم بَيْنَهُم أُوْ أَغْــرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْــرِضْ عََنْهُمْ فَلَنَ يَضُــرُّوكٍ شَــيْنَا وَإِنْ حَكَمْتَ فَـاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْـطِ إِنَّ اللّــة ٍيُحِبُّ الْمُقْسِطِّينَ {42}) وفي سورة التوبة (لَـوْ خَرَجُـواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَـعُواْ خِلاَلكُمْ يَبْغُـونَكُمُ الْفِتْنَـةَ وَلَكُمْ بِالْظِّالِمِينَ {47}) وَفِيكُمْ وَاللَّــهُ عَلِيمٌ بِالظِّالِمِينَ {47}) والفـرق في اسـتعمال الصـيغتين في القـرآن هُو أن صـيغة سـميع اسـتعملت في القــرآنِ كوصف لله تعــالي(وهو الســميعِ البصــير) ووصف للإنسان (سميعاً بصيرا) وهي في مقـام المـدح، أما صـيغة سمّاع فلم تستعمل في القرآن إلا كوصف للإنسان وفي مقام الذمّ فقط. إذن صيغة المبالغة سميع تستعمل في مقام المدح والإمتنان والتفضّل بالنعمة ففي آية سورة الإنسـان وعلى ما جـري عليه في القرآن الثناء هنا بالإمتنان على الإنسان (سميعاً بصيرا) لذا اقتضي استخدام الصيغة (سميع) وليس (سمّاع).

- قوله (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً) {3} نلاحظ أنه كما قال تعالى في الآية السابقة (إنا خلقنا) بالتوكيد وضمير التعظيم قال في هذه الآية أيضاً (إنا هديناه) بالتوكيد وضمير التعظيم أي بإسناد الفعل إلى نفسه تعالى لأن الهداية أمر مهم وهي الغاية الـتي خُلق الإنسان وقد تفوق خلق الإنسان. والخلق لِعِلّة كما قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) فإذا كان الخلق مؤكد فلا بد من أن تكون الهداية مؤكدة وكما أسند تعالى الخلق إلى نفسه في آية سورة الإنسان (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاح) أسند الهداية إلى نفسه أيضاً في قوله (إنا هديناه السبيل) ومن ناحية أخرى فإن المنهج الصحيح لا يستطيعه أحد إلا الله تعالى ولو تُرك يستطيعه أحد إلا الله تعالى ولا يُنسب إلا إلى الله تعالى ولو تُرك الناس إلى عقولهم لأصبحوا شيعاً وأحزاباً كلٌ يختار ما يشاء، إذن الطريق الصحيح للهداية لا يستطيعه إلا الله تعالى لأنه هو الذي خلق وهو أعلم بمصالح العباد.

(إنا هـديناه السـبيل) عـدّى الفعل بنفسه وفعل هـدي قد يتعـدي بنفسه كقوله (إهدنا الصراط المستقيم) وقد يتعدى بـ (إلى) كما في قوله تعالى (يهدي إلى الحـق) بمعـنى يدلُّه ويرشـده إليـه، وقد يتعـدّى بـاللام كما في قوله (وإنك لتهـدي إلى صـراط مسـتقيم) و قوله (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) وقد تكلمنا باستفاضة عن فعل هدى في شرح سورة الفاتحة . وفي هذه الآية قال تعالى (إنا هديناه السبيل) لأن التعدية بالفعل بإلى تقـال لمن لم يكن في الطريق فتدله وترشـده إليه فـإذا وصل إلى الطريق يحتـاج لمن يعرّفه به وبماذا في الطريق فحينها يتعدى الفعل باللام أما تعدية الفعل بـدون حــرف جر فتقــال لمن كــان في الطريق فتــبِين له مراحل في الطريق ومن لم يكن في الطريق ِأو كــان بعيــداً عنها فترشدهِ إِلَّيها وتدلهُ إِلِّيهاً. وقال تعالى مخاطباً رسوله 🛘 (ويهـديك صـراطاً مُسْتقيما) والرسـول 🛘 سـلك الطريق وقـال تعـالي على لسان الرسل (وقد هدانا سبلناٍ) وهم أيضاً كانوا في الطريق. وقال تعالى (فاتبعني أهـدك صـراطاً سـويا) في خطـاب إبـراهيم 🛮 لأبيه الذي لم يكن في الطِريق وكـذلك قـال تعـالي مخاطبـاً المنـافقين (ولهـديناهم صـراطاً مسـتقيما). إذِن عـدم تعدية الفعل في الآية بحرف جمعت المعنيين وبذلك أتمّ تعالِي نعمته على الإنسان بأن يدلّه ويرشده إلى الطريق لما كان بعيداً عنها ويـبيّن له معـالم ومراحل الطريق عندما يصل إليها وقــامت الحجّة عَلى الجميع إذن فالله تعالى يستحق الشكر على ذلك.

إما شاكراً وإما كفورا: شاكراً صيغة إسم فاعل وكفورا صيغة مبالغة لم يجعَلهما على نمط واحد لم يقل إما شاكراً وإما كافرا أو إما شـكوْراً وإمّا كفـورا. لأن الشـكوْر قليلُ مصـداقاً لَقُوله تعـالي (وقليل من عبادي الشكور) ول قال تعالى شكورا لكان أخرج من بينهم الشاكرين وهم الأكثَرُ فألآية حبِنها لن تشــكَل مجموعة الخلق الشـاكرين. وكــذلك لم يقل كــافراً (اسم فاعــل) لأن الكــافر لم يستعملها القرآن الكريم مقابل الشاكر وإنما بمقابل المؤمن (فمنكم كافر ومنكم مؤمن) إذن لا تصح المقابلة (شاكرا) و(كافرا) لأن القـرآن لم يسـتعملها هكـذا. صـيغة كفـور يسـتعملها القـرآن لأمـرين : للكـافر المبـالغ في الكفر (إن الإنسـان لكفـور مـبين) (وكذلك نجزي كل كفـور) ولجاحد النعمة غـير الشـاكر (إماً شـاكراً وإما كفورا) ِ (وكان الشيطان لربه كفورا). وهنا يأتي سؤال: كي تكُون كفرُواً بمعنى غير شاكر في قولُه تعالَى (وكان الشيطانُ لربه كفورا)؟ يدل على ذلك اللام في (لربه) لأن الكفر المقابل للإيمان يُعدّى بالباء لا باللام كما في قوله تعالى (إن الذين يكفرون بالله ورسوله) (وكانوا بشركائهم كافرين) فلا نقول يكفر لله وإنما يكفر بالله. وكذلك الكفر المقابل للشكر لا يُعدّى باللام فكفران إلنعمة يتعدى بنفسه (فاشكروا لي ولا تكفرون)بمعنى كُفر النعمة أو كفر صـاحب النعمة (وإن كفـرتم) إذن ما هي اللام في (لربـه)؟ اللام هنا هي لام التقوية إذا جئنا بصـــيغة المبالغة أو اسم الفاعل هذا الفعل الذي يتعدى بنفسه يمكن إضافة لام التقوية له كما في قوله تعالى (وهو الحق مصدقاً لما معه) فعل صـدّق يتعـدي بنفسه واللام للتقوية وكـذلكِ قوله تعـالي)فعّـال لما يريـد) أي فعّـال ما يريدـ إذا تأخر الفعل أو كان مصدراً أو صيغة مبالغة قد يُؤتى باللام المُقوّية كِما جَاء في قوله تعالى (وكان الشيطان لِربه كفورا). أمر آخر أنه تعالى اختار الشكر على الٍإيمـان فِي آيـات أخِـري منها قولَه تِعالَي في سورة التغابن (**هُـوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ** وَمِنكُم مُّؤْمِنُ وَالْلَّهُ بِمَا تَعْمَلُــونَ بَصِــيرٌ {2}) أما في آية سَـورة الإنسـان اختـار َالشـكر مع كفـران النعمة لأن نِعمة الخِلق والهداية لا تقتضي الإيمـان فقط وإنما تقتضي الشـكر لأنه لما أنعم تعالى على الإنسان بالسمع والبصر والعقل والإختيار والهداية كل هذه نعم تقتضي الشكر فهو الإِيمان وزيادةٍ في الآية السابقة في سورة التغابن ذكر تعالى نعمة الخلق فِقط أما في سـورة الإنسـان ذِكر الخلق والهداية فكِما زاد وتفضّل بأن جعل الخلق وزيادة ينبغي

أن تُكون الزيادة أيضاً فذكر الشكر وزيادة.

(إنا خلقِنـا) لم يكتف بـذلك بل قـال سـميعاً بصـيرا وجعل له عقلاً واختياراً لـذا يقتضي الإيمـان وزيـادة ثم النعم مثل قوله (هو الـذي أنشــاًكم وجعل لكم الســمع وَالَأبِصــار والأفئــدة) فالَنعمة تَقتضيُّ الشكر وليس مجرد الإيمان ومسألة الشَـكَر والإيمـان مناسب لجـوّ السورة فِقد جاء في سيورة الإنسان قوله تعيالي (**إنَّمَا نُطْعِمُكُمْ** لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً {9}) وقولِه تعالى (إِنَّ هَـذَا كَـانَ َلَكُمْ جَـزَاء وَكَـانَ سَـعْيُكُم مَّشْـكُوراً {22})) فــُـذكر الشــكر مناسب من جهة الســياق ومن ناحية جو الســورة الكلي . وهناك أمر آخر حسّن اختيار الشكر (إنا هـديناه السبيل) والسبيل ُهي الطريق المسلوكة الميسِّرة السَّهلَة وهناك فرق بينها وبين النجد (وهديناه النجدين) فربنا هدانا السبيل الميسـرة للهداية وكونها ميسرة يستدعي الشكر ولما قال (وهـديناه النجـدين) أتبعها بِقُولُهْ تعـالي (ثُ**مَّ كَـانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُـوا وَ<u>تَوَاصَـوْا بِالصَّـبْر</u>** وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ {17}) التواصي بالصبر لأن سلوك النجدينَ يحتاج لمجاَّهدة وصبر أما هداية السبيل الميسرة فتحتاج إلى شكر. إضافة إلى ما سبق من أين ما نظرنا فالسياق يستدعي الشكر. وقد يرد السؤال: لماذا قدّم الشاكر على الكفور؟ قدّم الشـكر لأنه قَـدُّمْ مَا يستَدعَي الشكر (النعم الـتي ذكرهـا) ثَم أنه في السـورة أَهْإِضْ في ذِكر جزاء الشياكرين في سبع عَشرة آية مِن الآية (**إَنَّ** الْأَبْرَارَ يِيشْرَبُونَ مِنٍ كَـأَسُ كَـاْنَ مِزَاجُهَا كَـافُورِاً ۚ {5}) إِلَٰى قوله (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً {22}) في نهايّة الآية بينما إختصر في عقاب الكافرين ولم يذكرهم إلا في آية<u>َ</u> واُحدة هي (**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً** [4}]) إذن الإَفاصَة في ذكر جــزاء الجنة وذكر الشَـاكرين اقتضى تقديم الشاكرين على الكِافرين، وهناكٍ أمرٍ آخر أنه تعالى قـدم الرحمة على العَـذَايِّ في آخِر السِّورة أيضِـاً (**يُـدِّخِلُ مَن** ي**َشَـاءُ** فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاْبِاً أَلِيماً {31}}) لِذا بدأ بِالشِّاكَرِينِ (**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً** {3}) فــأول الســورة وآخرها على نفسَ النســق. ثم اًن هــذا التقــديم (الشاكر على الكفور) هو نظير ما تقـدم في القـراِّن فحيثِما اِجتمع الشكر والكفر قـدمُ الشـكر علَى الكفر (ليبلّـوني أأشـكر أم أكفـر) (ومن يشــكر فإنما يشــكر لنفسه ومن كفــر) (واشــكروا لي ولَا تكُفِرُونٍ) إلا في آية واحدة فقط في سورة الزمر (إِن تَ**كُفُ ِرُوا** فَإِنَّ اللَّهَ غَبِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادٍهِ ۖ الْكُفَّرَ ۚ وَإِن ِ تَشْكُرُوا يَرْ ضَــهُ لَكُمْ وَلَا تَـــزِّرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أَخْـــرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم

مَّرْحِعُكُمْ فَيُنَبِّنُّكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُ وَنَ إِنَّهُ عَلِيمُ بِسَدَاتِ الصَّدُورِ {7}) والسبب في ذلك أنه تقدم ذكر الكفر والكافرين في سورة الزمر (ألَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ النَّخَذُوا مِن لَوْنِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْقَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَحْتَلِفُ وَنَ إِنَّ اللَّهَ لَا لَهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَحْتَلِفُ وَنَ إِنَّ اللَّهَ لَا اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَحْتَلِفُ وَنَ إِنَّ اللَّهَ لَا اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي وَا هُمْ فِي إِلَى جَهَنَّمَ زُمَ مِلَا الله ورة تقديم الكفر على الشكر وكذلك في آخر السورة ذكر عقاب الكافرين أولاً ووقال لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلُ خَاوُوهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلُ مَنْكُمْ يَنْلُونَ عَلَيْكُمْ أَيْبَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَـوْمِكُمْ أَيْكُمْ رُسُلُ مَقَادُ الله ورَ عَلَى الْكَافِرِينَ {7} مَّ مَنْ اللّه ورَا عَلَى الْكَافِرِينَ {7} مَّ مَنْكُمْ يَنْلُونَ اللّهَ الْمَلْ يَلْكُمْ أَيْكُمْ أَيْكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَـوْمِكُمْ أَلْكُونَ النَّعَالُ لَهُمْ الْكَافِرِينَ {7} عَلَى الْكَافِرِينَ {رُوسَيْقَ الْبَذِينَ التَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْمَالُولِ اللهِ الله ورَا القرآن كله كالسورة الواحدة بل كالآية الواحدة بل كالآية الواحدة بل الكامة الواحدة بل كالآية الواحدة بل الكامة الواحدة الله الماحدة الماحد

الكُلُمة الوَاحدة. - قوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِـلَا وَأَغْلَالاً وَسَـعِيراً) { 4}

وَأَعَدُ لَهُ عَذَاباً عَطِيماً {93}) هـؤلاء لا يزالـون أحياء وليسـوا أُمواتاً فجاءت أعد بمعنى هيّأ. ومما سبق نقـول أنه في آية سـورة الإنسان بما أن جزاء أهل الجنة بالحضور بصـيغة الوقـوع لا بصـيغة المستقبل كذلك يقتضي أن يكون عقاب الكـافرين حاضـراً كما أن جـزاء المؤمـنين حاضر فقـال تعـالى في أهل الجنة (يشـربون من كأس، ولقّاهم نضـرة وسـرورا، وجـزاهم بما صـبروا) وجـاء عقـاب الكافرين حاضراً بصيغة الوقوع فقـال تعـالى (إنا أعتـدنا للكـافرين سلاسل وأغلالاً وسعيرا) ـ

أما في آخر السورة فجاءت الآية (يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِـهِ وَالظّالِمِينَ أَعَدّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً {31}) باستخدام (أعـد) لأن

الَّكلام في الَّآية عن أهلَ الدنيا وليس عن الآخرة.

إضافة إلى ذلك لم يرد في القرآن الكريم كلمة أعـددنا مطلقـاً أي أعدّ واستعمال الضمير (نا) وإنما يستعمل أعتدنا وهي خصيصة من

خصائص التعِبير.

تكلّمنا سابقاً عن الفرق بين أعتد وأعد والآية التي قبل هذه الآية (إما شاكراً وإما كفورا) وفي هذه الآية قال تعالى (للكافرين) وهي ليست جمع كفور وإنما هي جمع كافر وكان المضمون أن يجعل الإعتاد لجمع الكفر وهي (كُفُر) على وزن فعول فُعُل مثل صدوق صُدُق ورسول رُسُل وهذا هو القياس. إذن لماذا قال (إما شاكراً وإنا كفورا) ثم قال (إنا أعتدنا للكافرين) ولم يقل (أعتدنا للكُفُر)؟ لو قال أعتدنا للكُفُر لكان يذهب الظنّ أن العذاب يتناول المبالغ في الكفر وليس لغير المبالغ أي كأن الكافر لا يناله العذاب، لكن لما لكفر عقاب الكافرين عماب أولى أن يكون عقاب الكفرين عماب الكفر أكبر بمعنى أن هذا عذاب من دونه وهو الكافرين

فكيفُ يكونُ عَذابِ الكُفُورِ؟ لا بد أنه أَكْبر وَأَشدَّ.

سلاسل وَأَغُلَالاً وسعيرا: هنا العذاب؟ السلاسل والأغلال والسعير فلماذا ذكر هذا النوع من العذاب؟ السعير هي جهنم للكافر عموماً لماذا ذكر السلاسل والأغلال؟ ذكر تعالى أنه اطلق الحرية للإنسان (إما شاكراً وإما كفورا) والإختيار في الدنيا وهداه السبيل فلم يسلكها ولهذا قيّده الله تعالى في الآخرة لأنه ليس له أن يختار في الآخرة فكما أساء الإختيار في الدنيا قيّده بالسلاسل (والحريى عكس القيسد) والسلاسل تُقيّد حركة الأرجل والأغلال تقيّد حركة الأعناق والأينون كما في قوله تعالى في سورة المائدة آية 64 (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُولَةٌ غُلَّكُ أَيْكِ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ) قيّد

حركته على كل حــال بمقابل الحرية المطلقة الــتي كــانت له في الدنيا.

- قُولُه (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً {5} عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تِقْجِيراً){6}

يدل على الكثرة (بررة).

ثُمُ قَالَ تَعَالَى (يَشَرَبُونَ مِن كَأْسُ كَانَ مِزاجِها كَافُورا) والكأس هي الزجاجة التي فيها شراب فإذا كانت فارغة تُسمَّى زجاجة. وفي الآية ذكر تعالى صنفين من هؤلاء (الأبرار) الذين يشربون من كأس ممزوجة بالكافور وقسم آخر هم (عباد الله) في قوله تعالى (عيناً يشرب بها عباد الله) والمقصود بعباد الله هنا المقرِّبون حسب بعض المفسرين وكلمة عبد الله هي أرفع وسام يصف الله تعالى بعض المفسرين وكلمة عبد الله هي أرفع وسام يصف الله تعالى النها عبده فلمّا وصف تعالى رسوله افي أعلى مقام قال (سُبْحَانَ النّذِي أَسْرَى يِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْكَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْدِدِ الْمَالِي فَي الْمَعْرَاءِ وَاللّهُ مَن الْمَسْرِاء وَهُ السَّمِي أَنْ مَنْ حَمَلْنَا مَاكَ عبودية إِنَّهُ كَانَ عَبْدِية قَسْدِية وَلِي الْمَكْرِبُونَ الْمَالِي فِي الْمِينِ مِن المكلّفين وهم أولهم الأبرار وهم يشربون من المكلّفين من المقرّبون المقرّبون الذين يشربون من العين خالصة.

في قوله تعالى (يشربون من) عدى الفعل بـ (من) وفي المقـربين عدى الفعل بالباء (عيناً يشـرب يها عباد اللـه) وهـذا يـدل على أن جزاء المقربين أعلى من جزاء الأبرار ويقولون أن حسـنات الأبـرار سيئات المقرّبين، فكيف دل على ذلك؟ هناك جملة أمور تدل على ما ذكرنـا: أولاً بالنسـبة للأبـرار يُـؤتى بكـأس يشـربون منها أما المقرّبون يشـربون بها وهي تفيد الإلصـاق بمعـنى أقـام بـالعين وشري بها فإذن صار التلذذ بالنظر وبالشراب، ثانياً الأبرار يشربون من كـأس ممزوجة بالكـافور وليست خالصة (يشـربون من كـأس

كان مزاجها كافورا) وهي تُمازج بقدر أعمالهم في الدنيا أما المقرّبون فيشربون من العين صرفة خالصة ليست ممتزجة، ثالثاً عدّى الفعل بالباء تدل على تضمين معنى روي به (يشرب به) بمعنى يرتوي به على خلاف الشرب الذي لا يدل على الإرتواء فالتعدية بالباء تدل على نزول في المكان والشرب الخالص والإرتواء منها، ورابعاً قال تعالى في عباد الله يفجرونها تفجيرا بمعنى يُجرونها حيث شاءوا ويقال في الآية أنه معهم قضبان من ذهب في أيديهم يجرونها حيث شاءوا وهذا يدل على أنه ليس فيها عناء ولكنها تتم بسهولة، وهناك فرق بين جزاء الأبرار وجزاء المقرّبين.

- قوله (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً {7} وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً) ِ{8}

بدأ تعالى الآية بذكر الوفاء بالنذر لأن الوفاء بالنذر واجب ثم جاء بعده ذكر الوفاء بالواجب فكأنه ذكر النية المقابلة لعموم العمل فكل عمل تقترن به النية الخالصة لله فكأن قوله تعالى (يوفون بالنذر) هو العمل ز(يخافون يوماً) هو النية ، وينبغي أن تكون النية مقابلة للعمل. وقوله تعالى (كان شرّه مستطيرا) بمعنى فاشيا منتشراً ويقال عن يوم القيامة كان شره مستطيرا بمعنى انتشر شرّه حتى ملأ السموات والأرض فلا يبقى ملك مقرّب ولا نبي مُرسل إلا جثا على ركبتيه. وفي اللغة استطار الشيئ أي تفشّى الشيئ وبلغ أقصى مدى.

وبعدها قال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا). وهنا يأتي السؤال على ماذا يعود الضمير في كلمة (حبّه) كا ذكر فيه أكثر من حالة وإن كان أظهرها على حبه يعني على حب الطعام مع حاجتهم إليه وهذا من باب الإيثار يطعمون الطعام مع أنهم محتاجون إليه مصداقاً لقوله تعالى (لَن تَنَالُوا الْيَرَ حَتّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ {92} آل عمران)، ويحتمل أيضاً أن يعود على حب الإطعام فيعود على المصدر (الإطعام) كقوله تعالى (اعْدِلُوا هُـوَ الْعُدِلُوا هُـوَ الْعُدِلُوا هُـوَ الْعُدِلُوا هُـوَ الْعُدِلُوا هُـوَ الْعُمُون الطعام بطيب نفس وبدون مَنّة ولا تكدير، ويحتمل أيضاً أن يكون يعود الضمير على حب الله بمعنى ابتغاء وجهه كما تذكر أن يكون يعود الضمير على حب الله بمعنى ابتغاء وجهه كما تذكر

الآية في نفس السورة (إنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً {9}). فالضمير إذن يعود على الطعام من باب الإيشار وعلى حب الله وهو من الإيشار وعلى الإطعام من باب الإحسان وعلى حب الله وهو من الإحتمالات أن يكون من باب الإيشار، وهو في الحقيقة يجمع المعاني كلها. ويأتي سؤال هنا لماذا ذكر الله تعالى كلمة الطعام (ويطعمون)؟ ذكر الطعام حتى يصح عودة الضمير عليه ولو حذف الطعام لما عاد الضمير عليه وهو أعلى الأوجه كما قلنا سابقاً وهو الإيشار، فذكر كلمة الطعام أفاد أعلى الأوجه كما قلنا سابقاً وهو الإيشار، فذكر كلمة الطعام أفاد أطعام وهو الإيثار (ويطعمون الطعام على حبه).

ثك ذكر ثلاثةً أصناًف من البشر بالترتيب التالي (مسكيناً ويتيماً وأسيراً وأسيراً وأسيراً وأسير يفيد

جملة أمور:

1. التقديم بحسب الرتبة وحسب الحاجة: وتقديم المسكين لأن المسكين محتاج على الدوام وهو من المذكورين في باب الزكاة واليتيم قد لا يكون محتاجاً وقد يكون غين لكن المسكين يكون إطعامه على الوجوب والتطوع ، أما الأسير قد يكون كافراً والكافر لا يدخل في باب الوجوب على أفراد المسلمين إنما يدخل في باب الوجوب على الحاكم أو ولي الأمير. وبدأ في باب الوجوب على الحاكم أو ولي الأمير. وبدأ بالواجب (الوفاء بالنذر) وكذلك بدأ بمن هو أولى وهو المسكين أولاً ثم اليتيم ثم الأسير.

1. التقديم بحسب الكثرة: فالمساكين هم أكثر من اليتامي لأن اليتم يـزول بـالبلوغ أما المسـكين فيبقى مسـكيناً كـذلك اليتامى أكثر من الأسـرى لأن هـؤلاء الأسـرى لا يكونـون إلا في وقت الحـرب وهم أقل من اليتامى والمساكين وهـذا ملحظ آخر للتقديم وهو تقديم

الأكثر ثم الأقل.

3. وقد يكنون للتقديم مسوع آخر وهو بحسب القدرة على التصرف : فالمسكين له الأهلية الكاملة على التصرف أما اليتيم فأهليته ناقصة حتى يبلغ أما الأسير فلا يمكن أن يتصرف حتى يأمر فيه صاحب الأمر.

وهناك عدة أمور تسوّغ التقديم بهذه الصورة وعنـدما ذكر الأسـري كــان مناســباً لما ذكــره في عــذاب الكــافرين (سلاسل وأغلالاً وسعيرا) لأن الأسرى يقيّدون بالأغلال والسلاسل.

وناتي لسوال آخر لماذا استعمل كلمة (ويطعمون) ولم يستعمل (ويتصدقون)؟ والجواب حتى لا يخُص ذلك الصدقات أو يخص من تجب عليهم الصدقات أو تجب لهم الصدقات وليس كل المسلمين تجب عليهم الصدقة أو تجب لهم الصدقة لكن أراد عموم فعل الخير سواء كان الفاعل غنيا أو فقيراً وساء كان المُطعَم تجب عليه أو لا ويشمل المتصدق عليهم وغير المتصدة عليهم . وكلمة تطعمون تدل على فعل الخير العام وهذا المعنى لم تكن لتدل عليه كلمة يتصدقون.

- قُوله إِ إِنمَا يُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيـدُ مِنكُمْ جَـزَاء وَلَا

شُكُوراً ﴾ {9}

تتناول الآية الكريمة أمرين في إطعامهم الطعام وقد مـرٌ في الآية السابقة أنهم يطعمـون الطعـام مع حـاجتهم إليه (على حبّـه) وهـذا أشــهر الأوجه وأعلاها كما ذكرنا سـابقاً، وأنهم مخلصـون لله في إطعامهم في هذه الآية. وقوله تعـالى (على حبّـه) تـدل على الإيثـار وهنا في هذه الآية تـدل على الإخلاص في قوله تعـالى (لوجه اللـه) وهذا أعلى أنواع الإطعام أن يجتمع فيه الإيثار والإخلاص.

قال تعالى (إنما) ولم يقل مثلاً نحن نطعمكم فلماذا؟ إنما تفيد القصر والحصر في اللغة يعني تخصيص الإطعام لهذا الأمر (الغاية هي لوجه الله ولا يطعمون إلا لوجه الله) أي لا يبتغون شيئاً آخر وهذا هو أعلى أنواع الإخلاص. ولو قال نحن نطعمكم سيؤدي هذا إلى أمرين ويفيد أنهم يطعمون لوجه الله ولا ينفي إطعامهم لغير وجه الله بخلاف المعنى المقصود من الآية والتي هو قصر الإطعام لوجه الله تعالى فقط وهذا يفيد أن الأعمال كلها حصراً يجب أن تكون ابتغاء وجه الله تعالى.

ويقـــول بعض أهل اللغة أن القــول (نحن نطعمكم) هي حصر بالتقـديم (تقـديم نحن على نطعمكم) نقـول نعم ولكن هـذا حصر بالفاعل وهذا يُغيّر المعنى المقصود (يعني نحن لا غيرنا نطعمكم) وهـذا معـنى غـير مطلـوب في الآية ولا يصح لأن هنـاك غـيرهم من يُطعم إما اسـتخدام (إنمـا) في الآية فهي تفيد التخصيص الفعل (لا الفاعل) لوجه الله تعالى.

ثم قال تعالى في الآية (**لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَـزَاء وَلَا شُـكُوراً**) أي لا نريد مكافـأة على الإطعـام بالعمل (لأن الجـزاء هو المكافـأة على

العمل) ولا نريد شكراً باللسان. نلاحظ قوله تعـالي (إنما نطعمكم) ولم يقل بعـدها (قـالوا لا نريد منكم جـزاء ولا شـكورا) أو يقولـون، لكنه لم يذكر فعل القول حتى يشمل لسـان الحـال فهم لم يقولـوا ذلك بلسـانهم ولكن قـِالوه بلسـان حـالهم وقد يكـون أبلـُغ. ومن المفسـرين من يقـول أنهم لم ينطقـوا بهـذا القـولِ ليشِـمل لسـان الحال ولسان النطـق. وهـذا من بـاب الإخلاص أيضـاً أنهم قـالوه بلسان حالهم.

ثم أن الآية بقوله تعـالي (لا نريد منكم) ولم يسـتخدم مثلاً (لا نريد جزاء ولا شكورا) وهذا لتدلّ على أنهم يريدون الجـزاء والِشـكر من رب العالمين فهم لم ينفـوا إرادة الجـزاء والشـكر وإنما أرادوه من رب العالمين فقط لا من النـاس الـذين يطعمـونهم، ولا يصح أصـلاً

أن نقول لا نريد جزاء ولا شكورا بشكل مطلق.

ثم نلاحظ أنه قدّم الجزاء على الشكر وهذا لأن الجـزاء بالفعل أهم من الشكر باللسان فالناس في الدنيا يهمهم الجـزاء وليس الشـِكر باللسـان فقط فـالمطلوب الأول في العمل هو الجـزاء لـذا بـدأ به

سبحانه أما الشكر فهو ثناء باللسان ولا يُعدّ جزاء العمل.

وكذلك نلاحظ تكـرار (لا) في قوله (<u>لا</u> نريد منكم جـزاء <u>ولا</u> شـِكورا) ولم يقل (لا نريد منكم جــزاءِ وشــكورا) وهــذا دليل على أنهم لا يريدون أي واحد من الجـزاء أو الشـكر على وجه الإجتمـاع أو على وجِّه الإفتراقَ حِتى لا يُفهم أنهم قد يريدون أحدهم.

ثم نلاحظ أيضـاً أنه قـال لا نريد ولم يقل لا نطلب لأن الإنسـان قد يريد ولا يطلب فنفي الإرادة أبلغ وأعمّ من نفي الطلب فهو إذن

ينفي الطلب وزيادة (الإرادة).

ثم نلاحظ استعمال كلمة (شـكورا) وليس (شـكرا) الشـكور تحتمل الجمع والإفراد في اللغة وهي تعني تعدد السِّكر والشكر في اللغة يُجمع على الشكور ويحتمل أن يكون مفرداً مثل القعود والجلوس، وقد استعمل القرآن كلمتي الفسق والفسـوق لكن لكل منها دلالته فجــاءت كلمة الفسق مع الأطعمة والـــذبائح أما كلمة الفســوق فجاءت عامة لتـدل على الخـروج عن الطاعـة. والجمع يـدل على الكثرة أي لا نريد الشكر وإن تعدد وتكـرر الإطعـام باعتبـار الجمـع. وقد استعمل الِقـرآن ِالكـريم كلمة الشـكور في الحـالتين وإذا أردنا الشكور مصدراً فهو أبلغ من الشكر واستعمال المصادر في القرآن عجيب والذي يُقوي هذه الوجهة استعمال الشـكور لما هو أكـثر من الشكر. ولقد استعملت كلمة الشكور في القـرآن ميرتين في هـذه الآية وفي آية سورة الفرقان (**وَهُوَ الَّذِي جَعَـلَ اللَّيْـٰلَ وَالْنَّهَـارَ**

خِلْفَ ـهً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَ ـ ذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُـ كُوراً {62}) فقط واستعمل الشكر مرة واحدة في قصة آل داوود (يَغْمَلُونَ لَـهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُـدُورٍ يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُـدُورٍ وَالسِياتِ اعْمَلُـوا آلَ دَاوُودَ شُـكُراً وَقَلِيلُ مِّنْ عِبَادِي الشَّكُورُ {13} سبأ) ومن ملاحظة الآيات التي وردت فيها كلمتي الشكور والشكر نرى أن استعمال الشكر جاء في الآية التي المخاطبين في سورة الفرقان أو في هذه السورة التي فيها المخاطبين في سورة الفرقان أو في هذه السورة التي فيها القيامة والشكر أيضاً سيمتد إلى يوم القيامة والشكر أيضاً سيمتد إلى يوم القيامة والشكر أيضاً سيمتد إلى يوم القيامة والشكر أون هو متعلقات الشكر في قصة آل داوود. وفي سورة الفرقان قال تعالى (لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكورا) وكلمة (يذكّر) فيها تضعيفين فالذي يبالغ في التذكر هو مبالغ في وكلمة (يذكّر) فيها تضعيفين فالذي يبالغ في التذكر هو مبالغ في الشكر في آية سورة الإنسان.

- قوله (إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً) {10} هـذه جملة مسـتأنفة تفيد التعليـل. وهي تعطي السـبب لمـاذا يطعمون الطعام ولا يريدون الجـزاء ولا الشـكور لأنهم يخـافون من ربهم يوماً عبوساً قمطريرا. وقد وصف اليوم بالعبوس على المجاز لأن اليوم لا يوصف بالعبوس مثل العرب تصف الليل بالقاتم (مجـاز عقلي) ومحتمل لإرادة الشمول والعموم فهو عبوس هو وأهله ومن فيه وما فيه هو وأهله لليـوم ومن فيـه. وعبـوس صـيغة مبالغة وقمطرير أي شديد العبوس وهي صيغة مبالغة تدلّ على الشّدة.

قال إنا نخاف من ربنًا ومن قبل قال لوجه الله ولا فرق بين استعمال لفظي الرب والله (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَة سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا يَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضَنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مَّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلُّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ {64}) فالله هو الرب سبحانه. وإذا استعرضنا الآيات السابقة نجد أنه تعالى قد ذكر عبادتين ظاهرتين هما الوفاء بالنذر والإطعام، وعبادتين قلبيتين هما الخوف من اليوم الآخر والإخلاص لوجه الله، ونفى عنهم شيئين هما الجزاء والشكور، وذكر صنفين ممن يطعَمون هما صنف مسالم (اليتيم والمسكين) وصنف محارب (الأسير)، وذكر صنفين من المسالمين والمسكين واليتيم، وأحدهما بالغ والآخر قاصر.

- قوله (فَوَقَــاهُمُ اللَّهُ شَــرَّ ذَلِــكَ الْيَــوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْــرَةً وَسُرُورٍاً {11} وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً) {12} لما ذكر أنهم يخـافون ذلك اليَـوم قـال ربنا وقـاهمَ شر ذلك اليـوم ولقناهم بندل العبنوس النضيرة وكلاهما في الوجه وبندل الخنوف والسـرور ومحلهما القلب، قابل العبـوس بالنضـرة وهما في الوجه وقابل الخوف بالسرور وهما في القلب. مقابل الخوف الأمن ولكّنه قابل بين الخوف والسـرور والعبـوس والنضـرة. السـرور هو الأمِن وِزيـاِدة وقد يكـون الإنسـان في أمن لكنه بلا سـرور ثم نلاحظ أنه أيضاً مقابل الخوف قال السرور وليس الأمن ومقابل العبوس قــال النضرة ولا تقابل العبوس لأن الوجه قد يكون غير عـابس لكنه غـير نضر. وهذا زيادة لأنه تعالَى قال (من جاء بالحسنة فله خير منها) ولم يقابلها بمثلها بل بخـير منهـا. فالسـرور مقابل الحـزن وليس مقابل الخوف، فالخوف عادة يكون قبل أن يقع الشيء فإذا وقع حِزن الإنسان كما في قوله تعالى (لا خوف عليهم ولا هم بِحزنـون) فأصبح في حزن لذِا ذكر العاقبة السرور. وقال أيضاً في الآية السابقة (يخافون يوماً) وقال في هـذه الآية (فوقـاهم الله شر ذلكِ اِليوم) ولم يقل يخافون شر اليوم وإنما جاءت الآية (يخافون يومــاً) أِما في هذه الآية فذكر تعالى (فوقاهم شر ذلك اليـوم) وهـذا يعـني أنهم هم خافوا اليوم بما فيه مِن شرور ومصاعب وحساب وهو يوم عسير ومن شرور ذلك اليوم أنه (يجعل الولـدان شـيبا) لكنه تعـالي وقاهم شر ذلك اليوم فقط ولم يقيهم اليوم ومشهد ذلك اليوم وفي هذا إنذار وتخويف كبيران فكل إنسان سيشاهد ذلك اليـوم بما فيه وحســبه أن يقيه الله تعــالي شر ذلك اليــوم. إذن الله تعــالي يقيهم شِر اليــوم ولا يقيهم مشد ذلك اليــوم الــذي سيشــهده كل الناس أجمعين.

والفاء في قوله (فوقاهم) تفيد السببية في أغلب معانيها ولو كانت عاطفة أو يُنصب بعدها الفعل وهي تعني بسبب ما فعلوه في الدنيا

وقاهم الله شر ذلك اليوم.

- قوله (وجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً) {12} في الآية السابقة قال تعالى (ولقّاهم) وفي هذه الآية قال (وجزاهم) لأن اللقاء يكون قبل الجزاء أي قبل أن يدخلوا الجنة وبعد اللقاء أدخلهم الجنة فصار الجزاء. (اللقاء أولاً ثم يأتي الجزاء بعده) جزاهم الله تعالى بعد اللقاء جنة وحريرا وقال تعالى (بما صبروا) و(ما) هنا تحتمل معنيين : إما أن تكون ما مصدرية بمعنى جزاهم بصبرهم وتحتمل أن تكون إسم موصول والعائد محذوف

بمعنى جزاهم بالذي صبروا عليه، من الطاعات والإيثار، وحذف العائد ليشمل المعنيين ولو ذكر العائد لتخصص بمعنى واحد وهذا من باب التوسع في المعنى، إذن جزاهم للصبر ولما صبروا عليه. وجمع أمرين وهما الجنة والحرير والجنّة كما في اللغة هي البستان وفي الآخرة هي إسم لدار السعادة وفيها جنتان كما قلنا في لقاء سابق عن قوله تعالى في سورة الرحمن (ولمن خاف مقام ربه جنتان) (راجع لمسات بيانية في آي القرآن الكريم) وقلنا أنه قد يكون للمتقي أكثؤ من جنّة ولهذا يجمع القرآن جنة على جنات كما ورد في الآيات (جنات عدن) و(جنات الفردوس) وهذه الجنات كلها في الجنة. وجزاهم جنة والجنة للأكل وجزاهم الحرير وهو للبس وهم أطعموا الطعام فقط لوجه الله فجزاهم الله تعالى أكثر مما فعلوا مصداقاً لقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها) وفي فعلوا مصداقاً لقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها) وفي هذه الآية زاد الحرير على الجنة وهذا يدل على كرم الله تعالى.

- قوله (مُتَّكِئِينَ ۖ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَــرَوْنَ ٰفِيهَا شَمْســاً وَلَا زَمْهَرِيراً) {13}

قد يساًل البعض عن تكرار فيها في الآية (متكئين فيها) ثم (لا يرون فيها) ألا يكفي أن تُذكر مرة واحدة؟ فنقول لو حذف (لا) الثانية ولو قال مِثل ما ذهب الظنّ إليه باستخدام (لا) مـرة واحـدة لوقع لبس ولكا أوهم أنه فقط عند الإتكاء لا يـرون شمسـاً ولا زمهريـرا وأنهم لو غادروا المكان لرأوا الشمس والزمهرير ولكن هـذا المعـني غـير مطلوب لأن المقصود بإلآية أنه سواء عند الإتكاء أو عنـدما يغـادروا المكان لا يـرون شمسـاً لـولا زمهريـرا في كلتا الحـالتين. فـالتكرار إذن أفاد معنى آخر ولذا اقتضى تكرار (فيها). والشمس هي دليل النــور والزمهِرير في اللغة : هو الــبرد الشــديد وقد قيل في لغة العـرب أيضـاً أنه هو القمر فـإذا أخـذنا في الإعتبـار المعـني الأول للزمهرير تكـون الآية بمعـني لا يـرون فيها لا شـمس ولا قمر وإذا أخذنا المعنى الآخر للزمِهريرِ وهو الْبِرَد الشَّديد تكون الآيَّة بمعنَّى ۖ لا يرون فيها دفءً ولا برداً والدفء يـأتي من الشـمس والزمهرير من البرد فنفي البرد والحرّ ونفي القمر في آن واحد، ولهذا اختار كلمة الزمهرير لأِنها تجمع بين هـِذين المعنـيين. ولو اسـتعمل القمر بـدل الزُمهَرِيرَ لأفاد معنى وآحداً فقّطٍ.

َ ـُونِهُ ﴿ وَدَانِيَــةً عَلَيْهِمْ طِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَــذْلِيلاً ﴾{ 14}

جمع تعالى لهم بين دنو الظلال وتـذليل القطـوف الـتي تفيد الـدنو أيضـاً وهـذه القطـوف لا يردها بُعد ولا شد وبهـذا جمع إضـافة إلى

الدنو أنها ميسرة وليس هناك ما يمنع من رد اليد عنها. فلماذا قال دانية باستخدام الصيغة الإسمية وذللت بالصيغة الفعلية؟ الظلال ثابتة مستقرة فجاء بالصيغة الإسمية التي تدلّ على الثبوت أما القطوف فهي متجددة سواء كانت في جنّة أهرى أو في نفس الجنة وهي تتجدد كلما أكلوا منها أو قطفوا منها ولذا جاء بالصيغة الفعلية التي تدلّ على التجدد وقد قيل فيها معنى آخر فقد جاء الفعلية التي تدلّ على التجدد وقد قيل فيها معنى آخر فقد جاء في الآية (وجزاهم جنة وحريرا) قسم من المفسرين ذهب إلى أن المعنى وجنّة دانية عليهم ظلالها بمعنى لهم جنتان كما قلنا سابقاً (ولمن خاف مقام ربه جنتان) الأولى فيها جنة وحرير والثانية دانية عليهم ظلالها.

- قوله (وَيُطَـافُ عَلَيْهِم بِآنِيَـةٍ مِّن فِضَّـةٍ وَأَكْـوَابٍ كَـانَتْ قَوَارِيرَا {15} قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً){16}

بعدَّماً ذكر الفاكهة ذكر الشراب بعدها وأنه يُطاف عليهم بها وذِكر المشروب بعد الطعام هو الجاري عليه في القران كله فحيث اجتمع الطعام والشراب في الدنيا أو الآخرة قدّم الطعام على الشراب (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) (وهو الذي يطعمني ويسقين) وغيرها. وذكر الطعام قبل الشراب لأن الطعام أهمّ.

ثم قال تعالى (قوارير من فضة) والمعلوم أن القوارير تكون من زجاج فكيف جمع بين القوارير التي هي من زجاج وبين الفضة؟ ونقول أن الفضة هي فضة في صفاء القوارير وشفافيتها وهذه هي فضة الجنّة العجيبة. وقوله تعالى (وقدّروها تقديرا) فيها معنيين الأول على مقدار حاجتهم لا أكثر ولا أقل والثاني على ما تشتهيه أنفسهم كيف تكون هيئة القوارير وشكلها أي قدّروها على ما يرغبه الشخص من هيئة وشكل. يأتون بما هو أحبّ لنفسهم والشراب نفسه مقدّر في شكل الإناء وترتيبه وفيما يُقدّم فيه.

وذكر في الآية فضة وأكواب من فضة وفي آية سورة الزخرف قال تعالى (يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن <u>ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا</u> تَعْلَى (يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن <u>ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا</u> تَشْتَهِيمِ الْأَنفُسُ وَتَلَـذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِـدُونَ {71}) باستعمال ذهب وليس فضة فلماذا الإختلاف بين الإستعمال للفضة في آية سمية الذخيف ع

في آية سورة الإنسان والذهب في آية سورة الزخرف؟ أنتُمْ إذا استعرضنا الآيات في سورة الزخرف (ادْخُلُوا الْجَنَّة أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ {70} يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ {70} يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَدُونَ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {71} وَتِلْكَ الْجَنَّةُ النَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ {72} لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ {73}) لو لاحطنا الآيات في سورة الإنسان والزخرف نلاحظ أنه ي

1.في سـورة الزخـرف ذكر أيهم المتقـون (**الْأخِلَّاء يَوْمَئِذِ** بَعْضُهُمْ لِبَعْضُ عَ**دُوٌ إِلَّا الْأُمُتَّقِينَ** {67}}) ثَمَ أَضــاًفهُمّ إلى نفسه تِعـِالًى وهــذاً أشــر ِف فَخــاطبهم (يَ**بَا عِبَــادٍ ْ لَأ** َ خَـوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَـوْمَ وَلَا ِأَنتُمْ تَحْزَنُـوْنَ {68}) ثم طمأنِهم مِن الخـوف ِمخاطبـاً إيـاهم مباشـرة (**لَا خَوْفُ**ُ عَلَيْكُمُ الْيَـوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُـونَ) وهـذه مرتبة أعلى مما جاء في آيات في سورة الإنسان جيث جاء فيها (فَوَقَـاهُمُ اللَّهُ شَـرَّ ذَلِـكَ الْيَـوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْـرَةً

وَسُرُوراً {11})

2.وَجِاءَ فَي الزخـرفِ أنهم جمعـوا بين الإيمـان والإسـلام (ٱلَّذِينَ <u>ٱمَنُـــُوا بِٱيَاتِنَا</u> وَكَـــانُوا <u>مُسْــلِمِينَ</u> {69}) والإيمان هو التصديق بالقلب والإسلام هو الإنقياد في العمل كما تذكر الآياِت في القرآن (الـذين آمنـوا وعملـوا الصالحات) وأحياناً يُقصد بالمؤمن المسلم. أما ما ورد في آيات سـورة الإنسـان فهي جـزء مِن صـفات المتقين الــــتي جــــاًءت في الزخـــرفَ لأنَ فيها العمل فقطً (**وَيُطْعِمُــونَ الطَّعَــامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْـكِيناً وَيَتِيمــاً** وَأُسِيراً {8}) والإيمان يدخل فيه عموم العمل الصالح .

3.في الزخرف نـاداهم الله تعـالي مخاطبـاً إيـاهم مباشـرة (ادخلــوا الجنــة) أما في الإنســان فجــاء قوله تعـِـالي (وجــزاهَم بما صـبروا) وما جـاء في الزخــرف هو أعلى مكانة ولم يكتف بهذا بل إنه تعالى في الزخـرف أدخلهم هم وأزواجهم (أنتم وأزواجكم) وهـذا لم يـرد في سـورة الإنسان وهذا يدل على زيادة الإكرام في سوراة الزخرف.

4.وقـال في الزخـرف (تُحـبرون) وفي الإنسـان (نضـرة وسـرورا) والحبـور أعمّ وهو يشـمل السـعادة والسـرور والبهاء والجمال والنعمة والإكرام المبالغ فيه وسعة العيش أما ما في سـورة الإنسـان فهو جـزء مما ذُكر في سـورة الزخـرف. ففي الزخـرف إذن شـمل ما جـاء في سورة الإنسان وزيادة.

5.وقال تعالى أيضاً في سـورة الزخـرف (وفيها ما تشـتهيه الأنفس) ولم يذكر ذلك في سورة الإنسان ثم قال (فيها

خالـدون) ولم تـرد في سـورة الإنسـان وكلها تـدل على الزيادات في النعيم.

6.ثم ذكر في سيورة الزخيرف (فيها فاكهة كثيرة) ولم يذكرها في سورة الإنسان لذا ناسب أن يأتي بصحاف من ذهب في الأولى وقوارير من فضة في الثانية .

7. والأمر الآخر أنه في سورة الزخرف لم يذكر الفضة أبداً وجو السورة شاع فيها ذكر الذهب والتنعم والزخرف ففيها جاء قوله تعالى (وَلَـوْلَا أَن يَكُـونَ النَّاسُ أُمَّةً فَارِحَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكُفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُغُفاً مِّن فَضَةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظَهَرُونَ {33} فَإذا كان هذا للذين كفروا بالرحمن في الدنيا فكيف يكون جزاء المتقين في الآخرة أقل مما كان للكافر في الدنيا والمعارج هي أكثر من قوارير من فضة فكأنها تدل على والمعارج هي أكثر من قوارير من فضة فكأنها تدل على الزخرف باستخدام قوارير من فضة فيها لأنه لا يناسب أن الجنة جزاؤها أقل من الدنيا فلا يسمح جو السورة في الزخرف باستخدام قوارير من فضة فيها لأنه لا يناسب أن يعطي الله تعالى الكافر في الدنيا أكثر مما يعطي المتقين في الجنية. إذن ينبغي أن يكيون للمتقين في الآخرة جزاء أعظم لذا جاء بصحاف الذهب جزاء المتقين في سورة الزخرف.

8.وفي سورة الزخرف ذكر تعالى أيضاً أن فرعون استكبر في نفسه وثم استخفّ بموسى كما في قوله تعالى على لسان فرعون مخاطباً قومه (فَلَوْلاَ أَلْقِيَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ الْمُلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ { أَسُورَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ { أَسُورَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ { أَسُورَةٌ مِّن يَنَاسِب ذكر الفضة في السورة إذا كان فرعون المتكبر العالي في الأرض يستعمل كان فرعون المتكبر العالي في الأرض يستعمل الذهب؟ فالأفضل أن جاء تعالى بالفضة والذهب كل في مكانها الذي ناسب جو السورة ووضع كل تعبير في مكانه

يناسب سياق الآيات في كلتا السورتين.

- قوله (وَيُسْفَوْنَ فِيهَا كَأَسَّا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (17) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) (18) قيل هذه الآية قال تعالى (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَةٍ وَأَكُوَابٍ كَانَتْ قَوارِيرَ (15)) فلمّا ذكر تعالى أنه يُطاف عليهم بالآنية والأكواب ناسب أن يقول يُسقون وليس يشربون أما في الآية الأولى فلم يذكر الآنية أو الطائفين لذا جاء قوله تعالى (إنّ

الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسِ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5)) وذكر الطائفين فيما بعد. ولفظ السلسبيل يوحي بالسلاسة وسهولة المسار هذا ما يقابل طعام الكفار الذي قال فيه تعالى (وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (13) المرّمل) والذي يظهر أن الشراب المذكور في قوله تعالى (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا) أعلى من الذي ورد في الآية السابقة ومن تسلسل الآيات فإن الشراب الشراب يُحمل إليهم ويُسقونه ثم أنه تعالى وصف آنية الشراب الذي يطاف عليهم بها (من فضة) ووصف الطائفين (لؤلؤاً منثورا) وهذه الأمور لم تُذكر في الآية الأولى. إذن فقد استوفى عناصر الطواف كلها: الطائفين (ولـدان) والمطوف عليهم (الأبرار) والمطوف به (الشراب والآنية) ولم يبق شيء لم يُذكر منها.

والمطُوف به (الشراب والآنية) ولم يبق شيء لَم يُذكر منها. - قوله (وَيَطُــوفُ عَلَيْهِمْ ولْــدَانُ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِيِبْتَهُمْ لُؤْلُــوًا مَنْتُــورًا (19) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا

وَمُلْكًا كَبِيرًا) (20)

ونلاحظ أنَّه تعالى قال بعدها هذه الآية وولدان جمع ولد وهم صـغار الَّسِّن. فبعد وصف الآنية من الفضة ووصف السقاة وصفهم باللؤلؤ المنثور لأنهم سراع في الخدمة ومنثورين في كل مكان فِي حين لَمْ أَخِبَرِنَا تَعِيالَى عَنِ الْحِورِ الْعَيْنِ (**وَخُورٌ عِينٌ (22) كَأَمْثَالِ اِللَّوْلُوَ الْمَكْنُونِ** (2ُ3) الواُقَعة) وصفهم بأَنهُم لؤلَّوْ مكنـون أي فيَ أماكنهم مستورين مُصانين غير منثورين في كل مكان. وفي سـورة الطور وصف تعالِي الغلِمِانِ باللوَّلُوْ المكْنُونِ (**وَيَطُوفُ عَلَيْهُمْ** غِلْمَـٰانُۚ لَهُمْ كَـٰأَنَّهُمْ لُؤْلُـؤٌ مَكْنُـونُ (24)) ـ فما السبب في ذلك؟ أولاً الوصف باللؤلؤ المكنون له جانبان: جانب الصون والحفظ باعتباره مجفوظ في الصدف، وجانب آخر جانب الصفاء لأَن اللؤلؤ أصفى وأنقى وأبيض ما يكون وهو في الصدف فإذا خرج من الصدف تغير لونه وقد يصبح أسود اللون خارج الصدف. فعندماً يُقَالِ مكنونِ يكُونَ المُقصود هذانُ الجانبانِ. لَكُن يبقى السؤال لماذا جاء في سُورة الطور لؤلؤ مكنون للغلمان؟ إلفرق بينِ الآيــتينِ أنه في آية ســورة إلإنســان قــال تعـالي (**وَيَطُــوفُ** عَلِّيْهِمْ وِلْدَانُ مُخَلَّدُونَ إِذًا رَأَيْتَهُمْ خَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مِّنْثُـورًا (19]) لم يَـذكر (لهم) وإنما ِّذكر الولَـدان الـذينَ يـأتونَ بَالأشـياء ۖ كَما يـأمر الله تعـالي أما فَي آية سَـورة الطـور (وَيَطُـوفُ عَلَيْهِمْ غِلْيُهِمْ غِلْيُهِمْ غِلْيُهِمْ غِلْيُهِمْ غِلْيُهُمْ لُؤْلُـؤُ مَكْنُـونُ (24)) ذكر (لهمِ) بمعـنى خاصّين بهم وليسوا عامّين كالذين ورد ذكرهم في آية سورة الإنسـان، فأصـبحوا مكنـونين لأنهم أصـبحوا في الأسـرة والعائلة

متخصصـين في خـدمتهاـ أي عائلـة؟ إذا نظرنا إلى الإٓيـات ِالـتي سبقت الآية المذكورة في الطور نجد قوله تعالى (وَالَّذِينِ آمَنُـوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَـيْءٍ كُـلُّ امْـبِرِئٍ بِمَا كَسَـبَ رَهِينُ (21)) فَالْكُلَامِ عَن الْأُسْرِةِ وهـذه الأسرةِ أُصِّبِحُ لها خصائِص كَـذلك قوله تعالى (ويطوف عليهم غلمان لهم) أي خاص بهم كأنهم لؤلؤ مكنون وسياق الآيات في سورة الطور فيه خصوصية شديدة للمؤمنين. وقال تعالى (إذا رأيتهم) وإذا كما نعلم في اللغة تــدل على التحقيق والـتيقّن وهي ليست من بـاب الإفـتراض ولهـِذا لم يـأت بــ (إن) أو (لُو) لأن إذا كُما قلنا تستخدم لتيقّن الْحـدثُ أو للدلّالة على الحـدثُ الكثير الوقوع ولهذا جاءت كلُّ الآيات التي تتحدَّث عن أحـداث يـوم القيامة باستخدام (إذٍإ) لأنها محققِة الحصول وكـذلك قوله تعـالي في آية الوضوء (يَا لَيُّهَا الِّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِـلُوا وُجُـوِهَكُمْ وَأَيْهِدِيَكُمْ إِلَى اَلْمِرَافِـقِ وَامْسِـِحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۖ وَإِنْ كُنْتُمْ جُِنُبًا ۖ فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدُ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ جَاءَ أَحَدُ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَامَّاتُهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَج وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ يَعْمَنَـهُ عَلَيْكُمْ **لِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ۚ (6)) فَجاءً بــ (إذا) فِي أَلقيَـام أِلى الصـلاة وهـذأ أمر متكرر الوقوع أما في حالة الجنب أو المـرض جـاء بــ (إن) لأنه أَقِلِ الحبدوث، وكهذلك استخدام إذا في قوله تعبالي (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالِ مِنْكُمُ الْحُلَمَ فِلْيَسِّ تَإْذِنُوا كُمَا إِسْ تَأْذَنَ الَّْذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَــذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِـَـهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (59) إِلنورَ ﴾ لأن الأطفال لا بد وأن يبلغوا الحلمَ فَهذا أمر متيقن الحصول. أما (إن) فهي تسـتخدم للأمر الإفتراضي كما في قوله تعـالي (فـان استطّعتِ أَنْ تبتغي نفقاً في الأرضُ) (وإن يروا كُسِفاً من السّماء ساقطاً) و (إن كـّان للـرحمن ولـد) ليس موجـوداً أصـلاً وإنما هو افتراض وبعيد الحصول. أما (لو) فتستخدم للتمني ولما هو أبعد (لو أِنفقت ما في اِلأرضِ جميعا) وتـأني في الأشـياء المسـتحيلة وما هو أبعد من (إن) أصلاً.

وقوله تعالى (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا) تدل على تحقق الرؤية. وكذلك قوله (وإذا رأيت ثم رأيت) بمعنى إذا رأيت حيث وقفت هناك رؤية. ورأيت هنا وإن كان فعلاً متعدياً لكنه ليس بالضرورة ذكر المفعولين للفعل المتعدي وإنما يؤتى بالذي يناسب

قصد المتكلم فأحيانـاً يسـتعمل الفعل المتعدي اسـتعمال اللازم أو يتعدى الفعل بمفعول به واحد وقد لإيؤتي بالمفعولين والأمثلة في القـرآن كثـيرة منهاً قوله تعـالي (فأما من أعطي واتقَّي) لم يـذكرُ لمن أعطى وما أعطى، أو يـــــأتي بمفعول به واحد كما في قوله تعالى (حـتى يُعطـوا الجزية عن يـد) لم يـذكر لمن يعطوها ، وقوله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) لم يـذكر مـاذا يعطيـه، وقد يُـذكر المفعولين كما في قوله تعالى (إنا أعطينـاك الكـوثر). وهذ الإطلاق كم في قوله (لم تِعبدِ ما لا يسِمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) وذكر المفعـولين أو أحـدهما أو عـدم ذكرهما يكـون بحسب ما يريد

وقوله تعالى (وإذا رأيت) بمعنى مطلق الرؤية ليس هناك شيء محـدد أو مكـان محـدد أينما وقعت الرؤية وهـذا من دلالة القـدرة

والنعيم الذي في الجنة لعباد الله المؤمنين ـ

وقوله تعالى (إذا رأيتِهم حسبتهم) قد يتساءل البعض أن كلمة حسبتهم بمعنى ظنّ وأن هناك تشـابه في المعـني أو يحتملان دلالة قريبة كما في كلمتي النظر والرؤيـة. فنقـولِ أنِ النظر قد لا يكـون معه رؤية بمعنى تنظر إلى المكـان سـواء رأيته أم لم تـره. والرؤية تفيد تحقق المـرئي (وتـراهم ينظـرون إليك وهم لا يبصـرون) لـذا استخدم تُعالى الُفعَل رَأَى هنا في الأَيَّة لتَفيد تُحقيق الرؤية.

ِ قوله (عَـالِيَهُمْ ثِيَـابُ سُـنَّدُس خُضْـرٌ وَإِسْـتَبْرَقُ وَحُلُوا أَسَاورَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ ۖ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (21)

يقول َ المِفسرون أن عاليهم تعني فوقهم لكنها في الحقيقة لا تعـني فوقهم لأن الفوقية لا تقتضي الملامسة فقد يكون اِلشـيء ملامسـاً وقد لا يكون إذا كان فيوقهم كما في قوله تعالى (**أَوَلَمْ يَـرَوْا إِلَى** الِطَيْرِ <u>فَوْقَهُمْ</u> صَافّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِـكُهُنَّ إِلَّا ٱلـَـرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُـلِّ شَيْـيْءٍ بَصِـيرٌ (19) الْملِـك) وكَبِذَلْكَ قُوله (وَرُفَعْنَا <u>فَوْقَاهُمُ</u> الطَّورَ بِمِيْثَـاقِهَمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُـوا الْبَـابَ سُـجَّدًٍا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا ٓ تَعْدُوا فِي ۖ السَّبْتِ وَأَخَذْنَا ۭ مِنْهُمْ مِيثَاقًا عَلِيطًا (154 النُسَاء)) وقُوله تعالى (أَفَلَمْ يَنْظُـرُواْ إِلَى السَّـمَاءِ <u>فَـوْقَهُمْ</u> كَيْـفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُـرُوحِ (6) ق) فوقهم هنا تُعـرف بـالظرف المُبهم الـذي ليس له حـدود مَّثل كلمة يمين لا حدود لها كل ما على يميني يمين. وعليه فـإن كلمة عـاليهم تفيد الملامسة وتعنى يلبسونها.

وقوله تعالى (وحُلَّوا فيها أساور من فضة) هي مقابل ما ذكره للَكَافرين (سلاسَل وَأغلالاً وسعيَرًا) وهنا نسـأل لمـاذا ذكر تعـالَى

أساور من فضة هنا في سورة الإنسان بينما ذكر في مواضع أخرى في القرآن أساور من ذهب (أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيبًا أَخُضَّرًا مِنْ سُئْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقِ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتُ مُرْتَفَقًا (31) الكهف) ومرة أساور من ذهب ولؤلؤ (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤلُوا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرُ (33) فاطر) قسم من المفسرين قال أنها تدل على المعاقبة أو الجمع أي مرة يلبسون ذهب ومرة فضة ومرة يجمعون بينها.

فلماذا جاءت ذكر أساور فضة في سورة الإنسان بينما جاءت من ذهب ولؤلؤا في سورة فاطر؟ يجب أن يكون هناك سبب لاختيار كل منها في السورة المناسبة وإذا نظرنا في سياق الآيات في سورة في السورة المناسبة وإذا نظرنا في سياق الآيات في سورة في الطر من قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللّهِ وَأَفْقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوفِّيهُمْ أَجُورَهُمْ وَبَرِيدَهُمْ مِنْ فَصْلِهِ إِنَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ (30) وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ اللهِ مَلَّادِهِ لَخَبِيرٌ اللهِ مَلَّادِهِ لَكِيَا الْكِيَا الْكِيَا الْكِيَا الْكِينَا الْكِينَا الْكِينَا الْكَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَصْلُ الْكَبِيرُ (32) حَبَّاتُ الْكِينَا الْكَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللّهِ ذَلِكَ هُو الْفَصْلُ الْكَبِيرُ (32) حَبَّاتُ فَمِنْ الْكَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللّهِ ذَلِكَ هُو الْفَصْلُ الْكَبِيرُ (32) حَبَّاتُ عَلَا الْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللّهِ ذَلِكَ هُو الْفَصْلُ الْكَبِيرُ (32) حَبَّاتُ عَلَا الْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللّهِ ذَلِكَ هُو الْفَصْلُ الْكَبِيرُ (32) حَبَّاتُ عَلَا الْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللّهِ ذَلِكَ هُو الْفَصْلُ الْكَبِيرُ (32) حَبَّاتُ عَلَا الْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ إِلَّهُ الْخُولُ (34) الْذِي أَخْلُونَ إِلَّهُ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَ بُ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَ بُ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لَوْرَادِ))

وَأَفَى سورة فاطر قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (29)) وفي سورة الإنسان قال (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً {7} وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأُسِيراً {8}) والأكيد أن الإنفاق سراً وعلانية هو أعم وأشمل من إطعام الطعام على حبه المسكين واليتيم والأسير.

ثم إن يتلون الكتاب ويقيمون الصلاّة هي أرفع وأعلى من الوفاء بالنذر لأن النذر أصلاً مكروه شرعاً وفي الحديث: "النذر صدقة البخيل" فالأمور التي ورد ذكرها في فاطر هي أعم وأرفع

وأعلى مما ورد في ســورة الإنســان فتلاوة القــرآن أوسع من إقامة الصلاة ولهذا قدّم التلاوة على الصلاة والإنفـاق لأن الصـلاة لا تصح إلا بتلاوة القــرآن والتلاوة تكــون في الصــلاة وفي غــير الصلاة.

م إن التلاوة والصلاة جاءت بصيغة المضارع بينما جاء الإنفاق بصيغة الماضي لتكرر التلاوة والصلاة أكثر من الإنفاق. فالوصف في سورة فاطر أعلى مما جاء في سورة الإنسان هذا أمر

• والأمر الآخر أنه تعالى في سورة فاطر ذكر (يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) بينما قال في سورة الإنسان (إن هـذا كـان لكم جزاء) ففي سورة فاطر توفية وزيادة وهما أعلى من الجزاء لذا ذكر اللؤلؤ وهو الزيادة ، وكـذلك في فـاطر قـال تعـالى (إنه غفـور شـكور) وفي الإنسـان (وكـان سـعيكم مشـكورا) فـزاد المغفرة على الشكر في سورة فاطر.

ثم ذكر في سورة فاطر (ثم أورثنا الكتاب الـذين اصـطفينا)
 بإسناد الفعلين إلى نفسه تعالى وهذا في مقـام التكـريم ثم ذكر
 الإصـطفاء بالـذات وهو من بـاب التكـريم أيضـاً. اصـطفاهم هـذا
 تكريم والتكريم الآخر هو الإسناد في قوله (أورثناهم).

أ قسل معلى المصلطفين إلى قسمين (مقتصد) و(سابق بالخيرات) ذكر السابقين وهم أعلى المكلفين فلا يناسب معهم أن يذكر الأساور من فضة لأنها قد تدل على أن الفضة للسابقين مع أنه يجب أن يتميزوا لأنهم أعلة المكلفين ولهذا جاء بأساور من ذهب لؤلؤا ليتناسب مع المذكورين.

 قوله تعالى في فاطر (ويزيدهم من فضله) (وذلك هو الفضل الكبير) يناسب الزيادة أيضاً لأن هذا الفضل يقتضي الزيادة

ذكر المغفرة والشكر مرتين (إنه غفور شكور) و(إن ربنا لغفور شكور). من الناحية البلاغية، لمّا ذكر تعالى (يتلون كتاب الله) قال (إنه غفور شكور) بجون اللام ولمّا ذكر الظالم لنفسه والمقتصد ذكر أنهم يخلون الجنّات ذكر اللام في قوله (إن ربنا لغفور شكور) لأنه هؤلاء محتاجون للمغفرة أكثر ولولا المغفرة لما دخلوا الجنة وهؤلاء أحوج إلى المغفرة من الأولين لذا أكد باللام (إن ربنا لغفور شكور) فالتأكيد جاء بحسب الحاجة إلى المغفرة.

قال تعالى في سورة الإنسان (حُلّوا أساور من فضة) وفي
 فاطر (يحلون فيها من أساور من ذهب) فيها تكريم لأن (من)

تفترض الكثرة لأنهم أعلى من المذكورين في سورة الإنسان لأنه عندما نقول لأحد مثلاً إلبس هذه الثياب أو البس من هذه الثياب بالتأكيد الثانية أوسع لأن له أن يختار من بين الثياب ما يشاء. ثم قال تعالى (حُلوا) بصيغة الماضي وفي سورة فاطر (يحلون) بصيغة المضارع وفي الآيتين الفعل مبني للمجهول لكن في سورة الإنسان الإخبار بما هو حاصل أما في سورة فاطر فالإخبار بشيء لم يحدث بعد وفيه إخبارهم أنهم سيدخلون الجنة (يدخلون الجنة) لذا جاءت يُحلون.

يبقى السؤال لماذا قال في سورة الإنسان (يُطاف عليهم ويُسقون ويطوف عليهم) بصيغة المضارع مع أنه قال (جزاهم وحّلوا) بصيغة الماضي وهذا للدلالة على تجدد الطواف والإستمرار فيه فهو لا ينقطع ولا يناسب أن يقول تعالى (طيف عليهم) لذا جاء بصيغة المضارع في الطواف والسقيا. وكذلك يلبسون ويحلون لأن التحلية هي من الحلي والتزيّن.

- قوله (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) .

<u>طهور</u> هي صيغة مبالغة على وزن فعـول بمعـنى الطـاهر والمطهِّر والمبالغة فيهما والعـرب اسـتعملت كلمة طهـور للشـيئين وطهـور مشتقة بالأصل من الفعل الثلاثي طهُر.

الطاهر ليس بالضرورة مطهّر فكثير من السوائل طاهرة لكنها ليست بالضرورة مطهّرة. واستعمال طهور هنا مناسب لسياق الآيات وتشتمل المعاني كلها الطاهر والمطهر والمبالغة فيهما. والصيغ لها فروق بيانية فيما بينها مثل غفّار وغفور كلتاهما صيغة مبالغة وكذلك همّاز وهُمزة كلتاهما صيغة مبالغة لكنها ليست متساوية في الدلالة. والعرب كانت تتحدث هذه اللغة فاللسان عربي أصلاً لكن الناس يختلفون فيه فيكون بعضهم أبلغ من بعض ويختلفون في اختيار الكلمات والسياق والبلاغة وتنتهي قمة الإعجاز في القرآن الكريم.

فِلْمَاذِاً استخدم كلمة (طهور) في الآية ذكر تعالى في الآيات السابقة من السورة (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَاسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5)) و (وَيُسْفَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانً مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (17)) و(وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) ذكر لنا تعالى ثلاثة أنواع من الشراب كل منها أعلى من الذي سبقها أولاً ذكر أنهم يشربون من كأس (كافورا) ثم في الثانية ذكر أنهم

يُسـقون كأسـاً (زنجـبيلا) هنا الفعل مبـني للمجهـول وذكر السـاقي (ولـدان مخلـدون) والآنية الـتي يُسـقون فيها (آنية من فضـة) ثم الثالثة ذكر تعـالى أنه سـقاهم ربهم وهـذه أعلى الـدرجات لم يقل يُسـقون ولا يشـربون وإنما سـقاهم ربهم فهـذا الشـراب هو أفضل من السابقين لأنه أسـنده تعـالى إلى الـربّ سـبحانه وتعـالى وهـذه الآيات ِدلّت على أن الشراب أنواع مختلفة.

شراباً طهورا كلمة موجزة تحوي معاني كثيرة بينما وصف في الآيات السابقة ما يشربون فيه من آنية وصفاً دقيقاً ولم يذكر في هذا الوصف إلا (شراباً طهورا) وهذا يدل على أن الشيء عندما يكون فوق الوصف لا يذكر شيئاً ولا تستطيع اللغة ولا الوصف أن يعبروا عن هذا الأمر العظيم، كما ورد في سورة الرحمن (مُثّكِئِينَ عَلَى فُرُسُ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقِ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54)) وصف البطائن ولم يصف الظاهر ونقول إذا كانت البطائن من السبرق فكيف يكون الظاهر ونقول إذا كانت البطائن من لأنه ما من لغة أو وصف يمكن أن يعبر عما يوجد هناك من نعيم وسعادة مصداقاً لقوله تعالى (فَلا تَعْلَمُ نَفْسُ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ فُوسُ عَلَى السَجِدة) وكذلك مِنْ فُرَّةِ أَعْيُنِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17) السجدة) وكذلك عن عندما يصف لنا تعالى شـجرة الزقـوم (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ عنين أن يعام ولم تارد على ذهن الشّيناطين (65) الصافات) لم يراها أحد ولم تارد على ذهن الإنسان وكما أن في الجنة أمور لا يعلمها أحد كذلك في النار.

- قوله (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْـكُورًا) (22)

لماذا تقديم (لكم) على جزاء في الآية؟ قبل التقديم لما ذكر تعالى أن هؤلاء لا يريدون جزاء ولا شكورا (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)) جزاهم ربنا أحسن الجزاء وشكر لهم لذا قدم (لكم) على جزاء فصار جزاء النماء من كالله النماء على الله النماء على الله النماء على على جزاء فصار جزاء النماء من كالله النماء على الله النماء على الماء على الله النماء على الماء على الماء

بالفعل وشكر باللسان.

كان يمكن القول (هذا كان جزاء لكم) لكن التقديم أفاد أن الجزاء مختص لكم لأن الجزاء في الآخرة مختص لكل واحد وإذا لاحظنا في القرآن كله قدّم الجار والمجرور للإختصاص لأنه اختصاص به وتعريض للآخرين من أهل النار (قُـلُ أَذَلِكَ خَيْـرُ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ النّبِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (15) الفرقان) و (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالنّبِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلّا وَلَيْكَ لَهُمْ جَزَاءً لَهُمْ جَزَاءً الضّعْفِ بِمَا مَنْ آمَنَ وَعَمِـلَ صَالِحًا فَأُولِئِكَ لَهُمْ جَـزَاءُ الضّعْفِ بِمَا

<u>لمسات بيانية في نصوص من التنزيل</u>

عَمِلُـوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَـاتِ أَمِنُـونَ (37) سياً) و (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ لَا نُرِيكُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)) إنما في الدنيا فليس بالضرورة التقديم وقد جاء في سورة القمر مثلاً (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْـوَاحٍ وَدُسُـرِ (13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (14)) لمن يأتي التقديم هنا لأن الآية ليس فيها اختصاص والذي كُفر هو نوح [لكن السفينة لم تحمله وحده وإنما كان معه من أمن معه والجزاء لهم أيضاً لذا أطلق ولم يُخصص فِكُما كانِ الجزاء ليوح [كإن للمؤمنين .

ِ قولَه ۚ (إِنَّا نَحْنُ نَرَّلْيَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ تَنَّزِيلًا ﴾ (23)

<u>لمـاًذا جِـاء في الْآية ثلاثة توكيـدات ًبينما جـاء في أول</u> السـورة توكيد واحد في قولِه تعـالي (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَـانَ مِنْ نُطَّفَةِ أَمْشَاجَ نَبْتَلِيمِ فَجَعَلْنِاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2))؟ في اِلَآية (**إِنَّا نَحْنُ نَرَّلُنَا عَلَيْكَ الْقُرْأَنَ تَنْزِيلًا** (23)) ذَكُر تَعَالَى ثلاثةً أمور ذكر المنزِّل (الله تعالى) وذكر المنزِّل (القرآن) والمنزِّل عليه (الرسول) وأكَّد ثلاثة توكيدات (إنَّا، نحن، والضمير المتصل في نرِّلنا (نــا) والســببِ أن في الآية أول الســورة أمر الخلق لِم يُختلف فيه ذلك الإِختلاف أي كـون الله تعـالي هو الِخـالق فهـذا أمر لم ينكِـره كَفَـارِ تُــرِيشَ يَــدليلُ قوله تعــالَى (**ُوَلَئِنْ سَــأُلْتَهُمْ مَن**ْ خَلَــقَ اِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ <u>اللَّه</u>ُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُ وَنَ (إِ2َ) لَقِمِانَ و (وَلَئِنْ سَالْتَهُمْ مَنْ خَلَّقَ السَّمَاوَاتِ _يَوَالْأَرْضِ لَيَقُـولَيَّ <u>َاللَّهُ</u> قُـلْ أَفَـرَأَيْتُمْ مَا تَـدْعُونَ مٍنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَيِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُــرٍّّهِ أَوْ اَرَادَنِي بِرَجْ َمَةٍ هَـلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُـلْ حَسْبِيَ **اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** (3ٜ8) الزمـر) لكن مسـألة التنزيل هي الــتي اختلَّفــوا فيها وأنكَّروها أشد الإنكــار فالتوكيد إذن يعتمد على شدة إنكار الشّخصّ للأمر ولهذا يحتاج للتوكيد أكثر في حالة الإنكار الشديد لأن قـريشٍ لم يكونوا يُقـرّون بـأن الله تعـالي نـرّل القرآن وهذا يختلف تماماً عن قضية الخلق التي لم يكونوا ينكرونها أصـــلاً. والأمر الآخر أن التنزيل هو أهم من الخلق لأن الغاية من الخلق العبادة والغاية من التنزيل هو تنزيل كتاب العبادة التي يردها الله تُعالى فالتِّنزيل هو القصد الأول في الخلق فهو أولى بالتوكيد. والتوكيد جــاء كما يقتضــيه الســياق والمقــام من جهة الأهمية والإختلاف والتنازع فيه.

وَهَـٰذَا التِأْكَيْدِ يـذَكُرِنَا بسـورة يس (قَـالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لِمُرْسَـلُونَ (16)) وقد أكّد في هـذه الآية مـرتين مع أنه في الآية

التي سبقت (إذْ أَرْسَلْنَا إِلَبْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14)) أكد مرة واحدة لأن الله تعالى أرسل لهم في البداية رسولين فكذبوهما ثم عزز بثالث فأنكروا إنكاراً أكبر لذا جاء التوكيد في الآية الثانية واقتضى أن يؤكد أكثر فصار التوكيد بالقسم لأن (ربنا يعلم) قسم في لغة العرب فلما ازداد الإنكار ازداد التوكيد.

(إِنَّا ٰنَحْنُ نَرَّلْنَا عَ<u>لَيْـك</u>َ الْقُـرْآنَ تَنْـزِيلًا) في هـذه الآية ذكر تعالى (عليك) وفي آية سورة الحجر قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَرَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـافِظُونَ (9)) فما دلالة (عليـك) في

آية سورة الإنَسان؟

لو نلاحظ ما جاء بعد هذه الآية لوجدنا أن الكلام موجه إلى الرسول الله بالأوامر والنواهي (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاِ ثُطِعْ مِنْهُمْ آَثِمًا لَوْ كَفُورًا (24) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (25) وَمِنَ اللّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (26)) وهناك أمور تتعلق بالرسول المخاطب لذا استخدم (عليك). أما في آية سورة الحجر فلم يرد في الآيات التي سبقت أو تلت ما يتعلق بالرسول الكن الكلام متعلق بالقرآن (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (12)) وكل الكلام عن الذكر وليس عن الرسول.

<u>لُمـاذا جـاء ذَكر كلَمَة (القـرآنَ) في آية سـورة الإنسـان</u> <u>وكلمة (الذكر) في آية سورة الحجر؟</u>

إسم الكتاب المنزل على الرسول الهو (القرآن) ولم يرد في سورة الإنسان له ذكر إلا في هذا الموضع وهذه الآية (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا)، أما في سورة الججر فقد ورد ذكر القرآن والذكر والآية في سورة الحجر (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي القرآن والذكر والآية في سورة الحجر (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلْنَا عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونُ (6)) ثم قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزُلْنَا الذَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)) فلمّا سماه كفار قريش ذكراً ردّ عليهم الله تعالى بكلمة (الذكر) ولهذا فهي أنسب للآية التي قبلها من استعمال كلمة القرآن رغم أنها وردت في سورة الحجر كثيراً.

- قوله (قُاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ أَثِمًا أَوْ كَفُـورًا) (24)

الآية التي قبلها قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ تَنْزِيلًا) ثم أمره بالصبر بعد ذكر تنزيل القرآن لأن التنزيل يستدعي الصبر لما فيه من قول ثقيل وأمور وتكاليف تستدعي الصبر (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5) المزمّل) و (وَأُمُرْ أَهْلَكَ

بِالصَّلَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْمَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) طه) ويحتاج أيضاً لصبر على الأذى لأنه سيؤذى بسببه لذا كان من المناسب بعدما ذكر تنزيل القرآن أن يذكر الصبر لأنه أمر يستدعي الصبر فقال تعالى (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ لِحُكْمِ رَبِّكُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الله

دلالة كلمة (حكم): في اللغة قد يكون الحكم بمعنى الحكمة (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي خُكُمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) الشعراء) وقوله تعالى (يَا يَحْيَى خُدِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) الشعراء) وقوله تعالى (يَا يَحْيَى خُدِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) مريم) أي الحكمة. وقد تأتي بمعنى القضاء أو الفصل (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلُّ قَتْ بَيْنَ الْعِبَادِ (48) غافر) وهنا أمره بالصبر فيها إنَّ الله قدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (48) غافر) وهنا أمره بالصبر لهما معا أي أن يصبر لحكمة أرادها الله تعالى ولحكم الله وقضائه لحكمة أرادها الله تعالى وهذا ما يُسِمى التوسِع في المعنى.

إِوَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَأَفُ وَرًا) ما دلالة استخدام كلمة

<u>اثم وكفور؟</u>

الآثم : هو الذي يرتكب الإثم والإثم قد يكون ظاهراً وباطناً بدليل قوله تعالى (وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (120) الأنعام) أو من أعمال القلب أو أفعال الجوارح.

أما <u>الكفور</u>: فهو المبالغ في الكفر وفيه دلالتان: الأولى نقيض الإيمان والثانية نقيض الشكر لذا قال تعالى في أول السورة (إنّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمّا كَفُورًا (3)) والكفور المبالغ في الكفر بمعنى نقيض الإيمان هو الذي استعمل في القرآن (وَهُوَ الّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورُ (6) الّذِي أَحْيَاكُمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورُ (66) الحج) و (وَجَعَلُوا لَـهُ مِنْ عِبَادِهِ جُـزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورُ (لَكُورُ لَكُورُ مُبِينٌ (15) الزخرف) والمبالغ في جحد النعمة وألكفر قد لكون باطناً أو جحود باللسان. وكل كفور آثم وليس كل آثم كفور. ولو قال كافر لنهى عن صنف واحد وليس عن الصنفين النين تدلان علهما كلمة كفور.

ما دلالة استعمال (أو) ولم يأتي بواو العطف مثلاً؟

لو جاء بالواو لجاز له أن يُطبع أحدهما إنما استعمال (أو) دلّت على الأمر بأن لا يطبع واحداً منهما على سبيل الجمع أو الإفراد. والآثم هو اسم فاعل والأثيم صفة مبالغة وفي هذه الآية أراد تعالى أن لا يطبع الآثم سواء بالغ في الإثم أو لم يبالغ فلو قال أثيم مثلاً لكان

فُهِم أن النهي فقط عن إطاعة الأثيم ويحق له أن يطيع الآثم وأماً استخدام كلمة أثيم فهي تـدل على النهي عن إطاعة الآثم وهو أقل التحديد المناط المناط الأناء الأثناء الأثناء الآثم وهو أقل

الدرجات فمن باب أولَّى أن لا نطيعِ الأُثْيمِّ.

في سـورة القلم قـال تعـالى (مَنَّاعِ لِلْخَيْـرِ مُعْتَـدٍ أَثِيمٍ (12)) باسـتخدام الأثيم لأنه لو لاحظنا ما ورد في السـورة لوحـدنا أن الله تعـالى ذكر فيها كل صـفات المبالغة (حلاف، همّـاز، مشّـاء، مهين، منّـاع للخـير) (وَلَا تُطِعْ كُـلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشّـاءٍ منّميم (11) مَنَّاعٍ لِلْحَيْـرِ مُعْتَـد أَثِيمٍ (12) عُتُـلُّ بَعْـد ذَلِـك رَنِيمٍ (13)) فجو السـورة جو مبالغة والأمر الآخر أن الـذي يفعل كل هذه الأمور الذي سبقت ألا يكون أثيماً؟ بالطبع هو أثيم وليس آثمـاً أثم بل إن فعل كل واحدة من هذه الأفعال يجعله أثيماً وليس آثمـاً فكيف لو اجتمعت كل هـذه الصـفات في المعتـدي فلا بد أن يكـون أثماً.

- قوله (وَاذْكُـرِ اسْـمَ رَبِّكَ بُكْـرَةً وَأَصِـيلًا (25) وَمِنَ اللَّيْـلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا) (26)

علاقة الآية بما قبلها: أمر الله تعالى الرسول ا بالذكر والتسبيح بعد الأمر بالصبر (فاصبر لِحُكْم رَبِّك) والنهي عن طاعة الآثم والكفور (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ أَثِمًا أَوْ كَفُورًا) أمره بالإكثار من الَّذكرِ. وَفَي القرآنَ تَلَاحَظُ أَنَّ الَّلهِ تعالَى يأمَر بالإكثـارِ من التسَـِبيحَ والذكّر ِفِي المـواطن الـتي تحتـاج إلى صـبر وفي الأرمـات (**وَلَقَدْ** نَعْلَمُ أُنَّكَ يَضِـيْقُ صَـدْرُكَ بِمَا يَقُولَـونَ (97) فَسَـبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّكَ وَكَنْ مِنَ السَّــاجِدِينَ (98) وَاغْبُــدْ رَبَّكَ حَتَّبِي َيَأْتِيِــكَ إِلْيَقِينُ (99) الحجـر) وَأَمـرَه بالتسـبَيح في قوَلِه (يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُــوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَــاثْبُتُوا وَاذْكَــرُوا اللَّهَ كَثِــيرًا لَعَلَّكُمْ تُ**فْلِحُونَ** (45) الأنفال) ومداومة التسبيح تفيرّج الكِيروب كما جاء في قصة يــونس وهو في بطن الحـِـوت (**فَلَــَوْلَا أُنَّهُ كَــانَ مِنَ** الْمُسَبِّحِينَ (143) لِّلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمَ يُبْعَثُـونَ (144) الصافات) فالــذِي نجّي يــونس من بطنَ الحِــوَيِّ هِو مدارِومته عِلى التسبيح (وَذَا النَّوْنِ إِذْ ذِهَبِ مُغَاّضِيًا يَفظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عِلَيْهِ فَنَادَى بِفِي الطّلَمَاتِ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنْتَ سُـبَّجَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَالِمِينَ (87)) والتســـَبيح وَذكر اللِه هي أزكى الَّأعَمـــال وأرفعها عند المليك. فهو ترتيب منطقي جداً بعدما تضـيق الصـدور والقلوب نذكر اسم ربنا.

- قوله (**وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا**) (26)

لماذا قدّم الجار والمجرور على الفعل؛ لأن ِالتهجد شياق على النفسُ فقدّم اللّيل بِما يُقاّبلُ الشدة (**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْل**ُ **مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**ِ (18)) قَــدّم مَا هِو متعلِق على الفعـــــل، (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخُفِيَ لَهُمْ مِنْ قُيِّرَةٍ أُغْيُن جَـزَاءً بِمَا كَـانُوا يَعْمَلُـونَ (17) السـجَدة) (وَمِنَ اللَّيْـلِ فَتَهِّجُّدْ بِـهِ نَافِلَـةً لَـكَ عَسَـى أَنْ يَبْعَثَـكَ رَبُّكَ مَقَّامًا مَحْمُودًا (79) الْإسـراء) أمـور ثقيلة وأجرها عظيم لـذاً قـدّم (من الليـل) على الفعل (فاسـجد لـه). كما أن الـترتيب يفيد علو منزلة السجود وتقديم الجارّ والمجرور سوّغ إدخال الفياء في قوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ) ودلالة الفاء هنا أنها تفيد التأكيد على أي حال. وقد قَال النحاة أن الفَاء قد تكون إما جواب شرط مقدّر يعني مهما كـان الأمر فاسـجد له وهي دعـوة للسـجود مهما كـان الأمر وقسم آخر يقول أن الفاء زائدة للتوكيد وفي كلتًا الحالتين يكون التوكيد للسـجود والدلالة على أهميته وعظمته وجـاءت الـواو قبلها أيضـاً (ومن الليل فاسـجد لـه) ولا يصح أن نقـول (واسـجد له من الليـل) لأنها تفوت أهمية السجود (لِإِيلَافِ قُرَيْشِ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَـةَ النَّبِيَاءِ وَالصَّيْفِ (2) قَـريش) الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (3) قَـريش) وقُوله تَعالَى (وربَّكَ فَكَبِّر) قَلا يصح التَّقديم بدون الفاَء. أفاد التَّقديم الدلالة على أهمية الســـجود ومنزلته ويفيد الإهتمـــام لأن أصل التقديم يفيد الإهتمام وهو الذي يُسوّع إدخـال الفـاء في كل أحوالها تدل على عظم منزلة السجود.

هذا الأمر في سـورة المزمل جـاء في أوائل الرسـالة ثم لمّا اشـتد الأمر أصـبح فيه مشـقة ويحتـاج إلى صـبر كما في سـورة الإنسـان وهـذا في مرحلة متقدمة من الرسـالة، والقـرآن يبـدأ شـيئاً فشـيئاً وكلمة تبتّل يفيد التدرج في العبادة وتبتّل تبتيلا، وتبتيل مصدر الفعل بتّل وهو دلالة على التكثير مثل جرّح تجريح وتجرّع فأمر الله تعـالى رسوله □ أن يبدأ بالتدرج وينتهى بالكثرة.

رسولَه ۗ أَنِ يبدأ بالتدرج وينتهي بالَكثرة. - قوله (إِنَّ هَــؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَــةَ وَيَــذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا تَقِيلًا) (27)

ماً هي العاجلة؟ ولم قـال ويـذرون وراءهم مع أن اليـوم أمامهم؟

العاجلة هي الدنيا كما هو معروف يعيشون فيها ويتعجّلون أمرها. ويذرون وراءهم لأنهم نبذوه وراءهم لو عناه أمرهم لجعلوه أمامهم لكنهم تركوه وراءهم هكذا يقول قسم. وفي استعمال العرب لكلمة وراءهم يذكرون أنها تأتي بمعنى أمامهم كما في قوله تعالى (من ورائه جهنم) بمعنى أمامهم، وقوله تعالى (وكان وراءهم ملك) الخرق كان بعد أن ركبوا في السفينة ولو تركوه وراءهم لكانوا نجوا منه. وراءهم تستعمل لمن كان طالباً لك وهو أمامك كما نقول باللغة العامية (وراءك امتحان) ليست بمعنى خلفك لكنه يطلبك. إذن العرب تستعمل وراءك بمعنى أمامك إذا كان يطلبه.

فقوله تعالى (ويذرون وراءهم) بمعنى تركوه وهو يطلبهم وليسوا بفارّين منه. واللمسة البيانية في التعبير بــ " وراء " بمعنى أمام لأن كلمة " وراء " فيها معنى الطلب كما يطلب الغريم غريمه (لا

مفر منه طالباً له).

في سورة القيامة قال تعالى (كَلّا بَكْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَخْرُونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَخْرُونَ الْعَاجِلة وذكر (وتخرون الآخرة) فلماذا قال في سورة الإنسان يوماً ثقيلاً وفي القيامة قال

الآخرة؟

أُولاً العاجلة هي نفسها في الآيتين بمعنى الدنيا. أما بالنسبة لاستعمال (يوماً ثقيلا) في سورة الإنسان فلأنه تكرر ذكر اليوم من بداية السورة (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَـرُهُ مُسْتَطِيرًا (7)) و(إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيـرًا (10)) و(فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَـرَّ ذَلِكَ الْيَـوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضَـرَةً وَسُـرُورًا (11)) فالكلام في السورة عن اليوم الذي هو يوم القيامة وهو إليوم الثقيل ثم عندما ينصرف أهل الجنة إلى الجنة لا

يكون ثقيلاً،. أما الآخرة فهي أعمّ من اليوم.

في سـورة القيامة جاءت الآيات بالخطاب المباشر (كلًا بَـلْ في سـورة القيامة جاءت الآيات بالخطاب المباشر (كلًا بَـلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَـذَرُونَ الْآخِرَةَ (21) القيامة) أما في سورة الإنسان فجاءت الآيات باستعمال ضمير الغائب (ويـذرون وراءهم) لأن المقام في سورة الإنسان لا يناسب الخطاب المباشر ولا يصح لأنه ذكر أن قسـما ممن ذُكـروا في السـورة لم يـذروا الآخرة (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (7)) و (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأُسِيرًا (8)) وقد وقاهم الله شر ذلك اليـوم (فَوقَاهُمُ اللَّهُ شَـرَّ ذَلِكَ اليـوم (فَوقَاهُمُ اللَّهُ شَـرَ ذَلِكَ اليـوم (فَوقَاهُمُ اللَّهُ شَـرَةً وَسُـرُورًا (11)) فلا يصح إذن الخطاب

فكيف يخـاطبهم أجمعين وقسم منهم يفعل الخـير حـتى يقيهم الله شر ذلك اليوم فالخِطاب لا يناسب.

- قُوله (نَخْنُ خَلَقْنَـاهُمْ وَشَـدَٰدْنَا أُسْـرَهُمْ وَإِذَا شِـئْنَا بَـدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا) (28)

علاقة هـذه الآية بما قبلها: قال تعالى في هـذه الآية (نحن خلقناهم) وفي الآية السابقة قال تعالى (إنا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلا) وهذا يدل على أن الذي خلقهم وشد أسرهم (نحن) هو الذي أنـزل عليهم القـرآن (نحن) فينبغي لهم أن يسـمعوا لكلام خالقهم ويطيعوا تنزيله فكأن الآية التي سبقت هي مقدمة لهم بأن يسـمعوا ما أنزل على الرسول □.

لمــاذا تقـديم ضـمير المتكلم (نحن) عن الفعل (خلقناهم)؟ التقديم له أكثر من سبب وإن كان يجمعها الإهتمام لكن مداراته مختلفة. وهنا تقـديم المعمـول على العامل (نحن: مبتدأ) و(خلقناهم: خبر) وفي هذه الحالة الخبر جملة فعلية وهذا يفيد القصر في الغالب بمعنى لأنه لم تكن هناك جهة أخرى خلقت أو تشاركه سبحانه في الخلق فهو وحده سبحانه متفرد بالخلق (بمعنى نحن خلقناهم حصراً) وكذلك قوله تعالى (إنا نحن نزلنا عليك القرآن حصراً هو الذي نزلنا القرآن حصراً فعليهم أن يطيعوه.

أوجه التقديم : يجمع التقـديم تحت عبـارة: كأنما يقـدمون الـذي هم سانه

وقد يقـدّم الأفضل وقد يقـدّم المفضـول حسب السـياق وقد يقـدّم كلمة على أخـرى في مكـان ويؤخرها نفسـها في مكـان آخر ولكـلٍ مقامه في البلاغة.

وشددنا أسرهم: بمعنى أحكمنا خلقهم أي أحكمنا توصيل مفاصلهم وأحكمناها وثبتناها (أي إحكام الربط). والأسر هي المفاصل والعظام وما إلى ذلك. فهو الذي أحكم خلقهم وشد أسرهم وقد قال تعالى في آية أخرى (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) وهذا من تمام النعمة على الإنسان ومن تمام النعمة أن يطيعوه، فالخلق نعمة وشد الأسر نعمة وهو القادر أن يفعل ما يشاء (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا).

<u>َسؤال: َ لمـاذا جـاء قولْه ٰ(وشـددنا أسـرهم)؟ ألا يمكن أن</u> يقال نحن خلقناهم وإذا شِئنا بدلنا أمِثالهم؟

نحن خلقناهم هذا أمر وشددنا أسرهم هذا أمر آخر بعد الخلق وهي نعمة أخـــــرى بعد الخلق ولو لم يقلها لأغفلت نعمة من نعم الله

تعالى. فهو تعالى جعلهم أقوياء وهـذه نعمة وليس فقط الخلق هو النعمـة. مثل قوله تعـالى (هو الـذي أنشـأكم وجعل لكم السـمع والأبصار والأفئدة) فهنـاك عـدة أمـور بعد الخلق ومن إتمـام النعمة أن يشد أسرهم فيكونوا أقوياء وخِلفاء في الأرض.

<u>اســتطراد: القــراَن كثــيراً ما يســتعملُ الفعل (شــدّ)</u> <u>ومضـاعفاته مثــال قوله تعــالى (واشــدد به أزري) فهل</u> للفعل شدّ دلالة خاصة في اللغة؟

شــدٌ في اللغة بمعــنى ربط وأحكم وأوثق وشــدٌ. وشــدٌ مضــعٌف والتضعيف في الغـالب فيه قـوة وشــدٌ فعل ثلاثي ليس مزيـداً لكن من الناحية الصوتية تجعل حرف في حرف فتعطيه قوة.

سُؤال: في أُول السورة قال تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاح) وفي هذه الآية قال تعالى (نحن خلقناهم) فلماذا التوكيد بـ (إن) في الأولى؟

في أول الســورة أكَّد بـــ(إنِ) وهنا لم يؤكَّد ِ لأنه في أول الســورة تحدث عن خلق الإنسان بعد أن لم يكن شيئاً مـذكورا وهي أصـعب من الخلق من أب وأم ثم يضع فيه القابلية على التوالد (وهـِذه هي البدايـة) وهي أصـعبِ مما بعـِدها (نحِن خلقنـاهم) فهـذه تـِأتي من سلسلة الآباء من الأبناء. هذا أمر والأمر الآخر كونه خِلْقهم أمر غير منازع فيه عند كُفار قريش وكثير من الكفار لُو سَــألتهم من خُلقهم لِيقولون الله. لكنهم ينازعون في أن الخلق لم يكن ثم كـان بمعـني أنه ليس له بداية كما يقول الفلاسفة والـدهريون وينسـبون الخلق إلى سلسلة الوجود ليس له بداية فينكرون (وقـالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر). فالذي ينازع فيه الفلاسفة إذن هو كـون هنـاك بداية للمخلوقـات والخلق (سـؤالهم هل هنـاك بدايــة؟) وعليه احتــاج الأمر إلى توكيد في الْآية أولَ الســورة (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج). وهناك أمر آخِر قوله تعالى (نبتليه) ذكر تعالى أن الخلق الأولُّ للإبتَّلاء وهذا أيِّضاً أُمر منازع فيه وكفّار قريش كانوا ينكرون هذا ويقولون هل خيلق الله الإنسان ليبتليه أنم يَحاسِبه؟ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يَدُلَكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلِّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَِفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (7) إِسْإِلَ وكثير منَّ الناسُ ينكِّرونِ هذا الْأُمرِّ أيضـاً جِـتَى لوًّاعتقِـدُوا فعلاً أن الله هو خالقهم. ونلاحظ من كل ما ذكرنا أن الآية َ في أول َ السـورة احتاجت إلى توكيد فجاء بـ (إن) في قوله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشـــاج) وهو الخلق الأول والبداية وخُلق للإبتلاء وكلها تقتضي التوكيد بخلاف الآية الثانية (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم).

- قوله **(وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالُهُمْ تَبْدِيلًا**) .

جاء هنا بـ (إذا دون (إن) وكما سبق وذكرنا في حلقات سابقة أن استعمال (إذا) يكون للقطع لكثير الوقوع وللمتيقن وقوعه بخلاف (إن) التي تستعمل إذا كان هناك احتمال للوقوع أو المشكوك في وقوعه. واستعمال (إذا) هنا يدل على أن الله تعالى سيبدل أمثالهم ويأتي بأناس مؤمنين مكانهم فالمشيئة حاصلة وقد تمّت.

- قولَّه (هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا) (29) باختصار هـذه الآية هي نظير قوله تعالى (إنا هـديناه السبيل) فالتخيير هنا كالتخيير هناك. فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا مكان شاكراً ممن له يفعل ذلك ركون كفورا

شاكراً ومن لم يفعل ذلك يكون كفورا. - قوله (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَـاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَـانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) (30)

إن مشيئتكم واختياركم كان بمشيئة الله تعالى ولو لم يرد الله تعالى ولو لم يرد الله تعالى ذلك لما أعطى هذا الإختيار.

- قوله (يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَـدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (31)

<u>ما دلالة هذه الآية وربما يكون هناك من لا يسـتحق رحمة</u> الله تعالى؟

ذكر تعالى أمرين يرفعان هذا الإحتمال:

الأمر الأول : أنه قال الله تعالى قبل هذه الآية (إن الله كان عليماً حكيماً حكيماً وحكمة ولا يفعل سبحانه إلا لحكمة. ومعناها أنه لا يُدخل في رحمته إلا من علم سبحانه أنه يستحق.

والأمر الآخر: قال بعدها (والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليما) استثنى سبحانه من دخول رحمته الظالمين. فقوله تعالى يُدخل من يشاء في رحمته استثنى الظالمون ولا يُدخل سبحانه إلا من يستحق واقتضاه العلم والحِكمة.

سؤال: لماذا جاءت كلمة الظالمين منصوبة؟ هذا يسموه الإشتغال في باب النحو، وكلمة الظالمين مفعول به مقدم لفعل إما أن يكون بمعناه كأن نقول مثلاً زيداً سلمت عليه بمعنى حييت زيداً سلمت عليه لأن فعل سلم لا ينصب مفعولاً به. وكذلك قوله تعالى السماء رفعها بمعنى رفع السماء رفعها. فإذا كان الفعل يصح أن يتسلط على الأول يُقدر نفسه وإذا كان لا يصح يقدر ما هو قريب منه. فالنصب هنا من باب الإشتغال وله أغراض عديدة وربما نُفرد له حلقة خاصة لاحقاً.

<u>ســؤال: يقــول تعــالى في أول الســورة (إنا أعتــدِناً للكافرين سلاسل وأغلالاً وسـعيرا) وفي هـذه الآية قـال</u> تعالى (والظالمين أعدّ لهم عـذاباً أليمـا) فهل هـذا يـدل على أن العذاب الأول أشد من الثاني؟

في الآية الأولى قال تعالى (للكافرين) وهنا قال (للظالمين) وليس بالضرورة أن يكون الظالم كافراً، فكل كافر ظالم وليس بالضرورة أن يكون الظالم كافراً، فكل كافر ظالم وليس بالضرورة أن يكون الظالم كافراً. قال الله تعالى (والكافرون هم الظالمون) إذن قطعاً لا بد أن يكون العذاب الأول أشد لأنه ذكر الكافر فيشمله صراحة وهنا عمّم صراحة فقال الظالمين فمنهم الكافر فيشمله الأول ومنهم من هو غير الكافر فيشمله العذاب الخاص به. والظلم في القيران جاء في موضع الشيرك (إن الشيرك لظلم عظيم) والظلم في القرآن قد يكون حتى في الأشياء الخفيفة كما قال الله تعالى (ربنا ظلمنا أنفسنا) و (رب إني ظلمت نفسي) فالظلم يأتي من أشياء قليلة وقد يصل إلى الشرك الأكبر. وكل مشرك ظالم لكن ليس كل ظالم كافر ولهذا اختلف العذاب حسب الدرجة.

ارتباط خاتمة السورة ببدايتها:

بدأت السورة بالإنسان وهو لم يكن شيئاً مذكورا وانتهت بخاتمة هذا الإنسان ومصيره فبدأت ببدئه وخُتمت بخاتمته ومصيره فكأنها رحلة الإنسان ولهذا سُميّت سورة الإنسان. ويذكر الله تعالى في السورة كل ما يتعلق بالإنسان وهو في الحياة وهو يخاف من ربه ويخاف من اليوم الآخر وهذه هي رحلة الإنسان. إذن سورة الإنسان بدأ بالإنسان وقبل بدئه وانتهت بخاتمته ومصيره وكأنها تمثّل عمر الإنسان.

وأمر آخر هو أنه تعالى في أول السورة ذكر الشاكر والكفور وفي خاتمتها ذكر المرحوم (يُـدخل من يشـاء في رحمتـه) والمعــذُب (والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليما).

<u>الخطوط التعبيرية في السورة:</u>

الواضح في هذه السورة أنها بُنيت على التثنية ووردت الأشـياء فيها صنفين على سبيل المثال:

- ذكر صنفين من الناس: الشاكر والكفور، وفي آخرها ذكر المرحوم والمعذّب.
 - ذكر صنفين من العذاب: القيود والسعير.
 - وذكر صنفين من القيود: السلاسل والأغلال.
- وذكر صنفين من أصحاب الجنة: الأبرار وعباد الله السابقين.

- وذكر نـوعين من الشـراب الممـزوج: الممـزوج بالكـافور والممزوج بالكـافور والممزوج بالزنجبيل.
- وذكر نـوعين من العبادات الظاهرة: الوفاء بالنـذر والإطعام.
- رُوذكرُ نوعين من العبادات القلبية: الخوف (نخاف من ربنا) والإخلاص (إنما نطعمكم لوجه الله).
- أنفى المُطعمون عن أنفسهم أمرين: الجزاء (وهو المكافأة بالفعل) والشكور (الثناء باللسان).
- لقّاهم شيئين : النضرة (وتكون في الوجه) والسرور (في القلب).
- جزاهم الله تعالى بصبرهم شيئين: الجنة (للأكـل) والحرير (للبس)۔
 - ونفى عنهم رؤية شيئين: الشمس والزمهرير.
 - وذكر دنو شيئين منهم: الظلال والقطوف.
 - ﴿ ذَكُرُ الطُّوافُ بِشَيْئِينِ: الْآنِيةِ وَالْإِكُوابِ.
 - ذكر الشرب بصورتين: من الكأس ومن العين.
- وذكر نـوعين من الشـرب من الكـأس: شـرب بسـاقي
 وشرب بدون ساقي.
 - ذكر نوعين من الثياب: سندس واستبرق.
 - ذكر نوعين من الزينة: لباس وأساور.
 - ذکر لهم شیئین: جزاء وسعیکم مشکورا.
 - نهى عن إطاعة صنفين من الناس: الآثم والكفور.
 - ◄ طلب من الرسول ☐ الصلاة والتسبيح في النهار والليل.
 - ذكر وقتين: بكرة وأصيلا.
 - ذكر عبادتين في الليل: السجود والتسبيحـ
 - ذكر حياتين: الدنيا (العاجلة) والآخرة -
 - وذكر الحبّ والترك (يحبون ويذرون).
 - ذكر أمرين من أمر الإنسان: الخلق وشد الأسر.
- ذكر مشيئتين: مشيئة الله تعالى ومشيئة الإنسان (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله، ويخل من يشاء في رحمته).
- ختم بصنفین من الناس: المرحوم (یُدخل من یشاء في رحمته) والمعذّب (والظالمین أعدّ لهم عذاباً ألیما).
- والسورة فيها خط آخر: أنه يذكر الأحداث المستقبلية بالفعل الماضي: (إنا أعتدنا للكافرين) (كان مزاجها) (كان شره مستطيرا)

(فوقّاهم) (ولقّاهم) (وجزاهم) و(ذُللت) (كـانت قـواريرا) (قـدّروها) (حُلُّوا) (سقاهم) (كان لكم جزاء) (كان سعيكم) (أعدّ لهم).

<u>هل للتعبير عن المستقبل بالفعل الماضي دلالة بيانية</u> محددة في اللغة؟

العرب والقرآن يُعبَّرون عن الأحداث الماضية بفعل مضارع وعن الأحداث المستقبلية الأحداث المستقبلية الأحداث المستقبلية بالفعل الماضي دلالة على أن هذا الأمر واقع وهو بمنزلة ما مضى الأفعال. فلا شك في وقوع حدث ماضي لأن الفعل الماضي لا شك في حدوثه فهذه الأحداث المستقبلية وإن كانت مستقبلة فهي بمنزلة ما مضى من الأفعل الفعل الماضي حصل ووقع فهذه بدلالة ما وقع وحصل. كما في قوله الماضي حصل ووقع فهذه بدلالة ما وقع وحصل. كما في قوله تعالى (وسيق الذين كفروا) وكذلك قوله (ونادى أصحاب الأعراف). فهذه الأحداث المستقبلية هي من التحقق بمنزلة ما مضى من الأفعال.

وبالمقابل له أكثر من غرض متى يستعمل الفعل الماضي في المضارع؟ قال تعالى (قد نرى تقلب وجهك في السماء) حكاية الحال الفعل الماضي تضفي عليه الحركة والحيوية وتجعله كأنه معاصر خاصة في الأمور المهمة. وقال تعالى (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل) لم يقل قتلتم وهذا من باب التشنيع على الفعل فعندما تكون الأمور مهمة التي تحتاج إلى جعلها صورة معاصرة لأن الإنسان يتفاعل مع الصور الحيّة معه القريبة منه وهي ليست كالأحداث الماضية البعيدة عنه، فقد نسمع أحداث ماضية ولا نتفاعل معها لكننا بالتأكيد نتفاعل مع حادثة قتل أمامنا مثلاً فالعرب عموما إذا أرادوا حكاية الحال ليعبّروا عن الأحداث الماضية يجعلونها حيّة. ويقول النحاة إما ينقلك إلى الحدث أو ينقل المضارع الحدث إليك. وكلاهما تعبير عن الأفعال الماضية بالفعل المضارع ويدخل في زمن الفعل. وللفعل أزمان متعددة وللفعل الماضي وحده 16 زمن وما يُدرس في المدارس والجامعات هو زمن واحد أي الماضي فقط.

فاَّلتضاد منَّ الخطوط التعبيرية في السـورة فما فائـدة التضـادّ في اللغة؟ التضاد يُبرز المعنى ويوضحه. والشيء يُظهر حسنه الضدّ. لمسات بيانية في سورة الليل

قوله : (والليل إذا يُغشَى ` والنهار إذا تُجلى ` وما خلق الذكر والأنثى ` إن سعيكم لشتى `)

ما الحكم البياني في استخدام بالفعل المضارع (يغشي) مع الليل والفعل الماضي (تجلي) مع النهار؟

سورة الليل تبدأ بقوله تعالى (والليل إذا يغشى) هو سـبحانه أقسم بالليل وقت غشيانه ونلاحظ أن المفعول لفعل يغشى محذوف فلم يقل سبحانه مـاذا يغشى الليـل، هل يغشى النهـار أو الشـمس لأنه سبحانه أراد أن يطلق المعنى ويجعله يحتوي كل المعاني المحتملة. (والنهار إذا تجلى) أي كشف وظهر.

واستعمال صيغة المصارع مع فعل يغشى هو لأن الليل يغشى شيئاً فشيئاً بالتدريج وهو ليس كالنهار الذي يتجلى دفعة واحدة بمجرد طلوع الشمس. أي أن عملية الغشيان تمتد ولذا احتاج الفعل لصيغة المضارع، أما النهار فيتجلى دفعة واحدة لذا وجب استخدام صيغة الماضي مع الفعل تجلى. والآيات هنا مشابهة لآيات سورة الشمس في قوله تعالى: (والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها) فصيغة الأفعال متعلقة بالتجلى والغشيان.

- قوله (**وما خلق الذكر والأنثى)** ما حكم (ما) في هذه الآية؟

هناك احتمالان لمعنى (ما): الأول أن (ما) اسم موصول بمعنى الذي. ويعتقد الكثيرون أن (ما) تستخدم لغير العاقل فيقولون (ما) لغير العاقل و(من) للعاقل ولكن الحقيقة أن ما تستعمل لذات غير العاقل كما في قوله: (يأكل مما تأكلون منه ويشر مما تشربون) ولصفات العقلاء كما في قوله: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) (ونفس وما سواها) ويوتى بها في التفخيم والتعظيم في صفات العقلاء، ولذلك قال تعالى (وما خلق الـذكر والأنثى) ويعني به ذاته العلية.

ويحتمل أن تكون مصدرية بمعنى (وخلق الذكر والأنثى) أي أنه سبحانه يقسم بخلق الذكر والأنثى وليس بالخالق ، وعليه فإن (ما) تحتمل أمرين إما أن الله عز وجل يقسم بذاته أو أنه يقسم بفعله الدي هو خلق الذكر والأنثى. فلو أراد تعالى أن ينص على أحد المعنيين لجاء بذلك ولقال سبحانه (والذي خلق الذكر والأنثى) وتأتي ما بمعنى اسم موصول كما سبق أو قال سبحانه (وخلق الذكر والأنثى) لتعطي معنى القسم بالفعل الذي هو خلق الذكر والأنثى، ولكن الصورة التي جاءت عليها الآية تفيد التوسع في المعنى فهي تفيد المعنيين السابقين معاً وكلاهما صحيح.

فيبقى مجال الترجيح في المجيء هنا بـ (ما) والاحتمال هو مقصود لإرادة أن يحتمل التعبير المعنيين الخلق والخالق، كلاهما مما يصح أن يقسم به خلقه والخالق وربنا سبحانه يقسم بخلقه ويقسم بذاته. و لو أردنا أن نرجح لقلنا أن القسم هنا القسم بالخالق والله أعلم . (وما خلق الـذكر والأنثى) لم يقسم بالمخلوق وإنما اقسم بالمصدر (أي خالق الذكر والأنثى) أما الليل والنهار فهما مخلوقان فإذا أردنا المخلوق نؤل المصدر بالمفعول أحياناً فيصبح تأويل بعد تأويل أحياناً يطلق على المصدر ويطلق على الذات مثال: (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) أحياناً يراد بالمصدر الذات. والخلق ليسٍ مثل الليل والنهار.

مثال: زرعت زرعاً في اللغة العربية زرعاً هي المصدر وأحياناً يضع العـرب المصـدر موضع الـذات كقوله (نخـرج به زرعـاً تأكل منه

أنعامهم) فالزرع هنا أصبح الذات وليس المصدر.

سـؤال: يقـول السـيد مصـطفى ناصف في السـياق اللغـوي أن السـياق هو الحقيقة الأولى والكلمة خـارج السـياق لا تفي بشـيء وفائدة السياق اللغوي انه يحول معنى الكلمة من التعدد والاحتمال إلى التحديد والتعيين. فلماذا لم يحدد ربنا في هذه الآية معنى (مـا) ولم يترك المعنى هكذا بدون تحديد؟

جواب: هناك مبدأ عـام في اللغـة العربيـة: الجمـل في اللغـة على نوعين:

أُذاتُ دلالة محددة معينة قطعية (أحل الله البيع وحرم الربا) ذات دلالة احتمالية (اشتريت قدح ماء) هنا تدل الجملة على احد أمرين:

إما أن أكون اشتريت القدح وإما أن أكون اشتريت ماء بقدر قدح. فإذا قلنا (اشتريت قدحاً ماءً) دلت الجملة على معنى واحد قطعي أني اشتريت الماء قطعاً ولا يحتمل أن تكون اشتريت

القدح بتاتاً

ومثــال ذلك أيضــاً لا النافية للجنس فهي قطعية كقولنــا: لا رجل حاضـر، فـإذا قلنـا: لا رجلاً حاضـراً تحتمل الجملة إما نفي الجنس (الرجال) أو نفي الوحدة (ولا حتى رجل واحد حاضر)

وفي تحديدنا لهذه المعاني للجمل يجب مراعاة ما يريد المتكلم البليغ هل يريد الاحتمال أو القطع فالذي يريد الاحتمال له غرض من إرادة الاحتمال والذي يريد القطع من إرادة القطع وهنا تتفاوت البلاغة فالمتكلم البليغ يختار الجملة التي تؤدي المعنى الذي يريده. فالسياق لا يمكن أن يؤدي إلى بيان المقصود لأن المقصود قد يكون هو الاحتمال بحد ذاته في القرآن يحذف حرف الجر وقد يكون هناك أربع احتمالات ومع هذا حذف الحرف لأن هذا أراده الله تعالى .

قوله (وما خلق الذكر والأنثى `) ما المراد بالذكر والأنثى هنا؟

قسم من المفسرين قالوا إن الذكر هنا هو الجنس البشـري وقسم آخر قال انه كل ذكر أو أنثى من المخلوقات جميعـاً بلا تحديد وهـذا الذي يبدو على الأرجح لأن سياق الآيات كلها في هـذه السـورة في العموم والله اعلم.

قوله: (إن سعيكم لشتي `)

ما علاقة القسم (والليل إذا يغشى...) بهذا الجواب؟ منذ بداية السورة أقسم الله تعالى بأشياء متضادة: يغشى ، يتجلى، الذكر، الأنثى، الليل، النهار فجواب القسم شتى يعني متباين لأن سعينا متباين ومتضاد فمنا من يعمل للجنة ومنا من يعمل للنار فكما أن الأشياء متضادة فان أعمالنا مختلفة ومتباينة ومن هذا نلاحظ أنه سبحانه أقسم بهذه الأشياء على اختلاف السعي (إن سعيكم لشتى) واختلاف الأوقات (الليل والنهار) واختلاف الساعين (الساعين (فأما من أعطى ... وإما من بخل واستغنى)

قوله : (والليل إذا يغشى ﴿ والنّهــار إِذا تجلى ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴿)

لماذاً هذا الترتيب؟ نلاحظ أن الله تعالى بدأ بالليل قبل النهار للهار للهار للهار للهار للهار وجوداً وخلقاً لأن النهار جاء بعد خلق

الأجرام وقبلها كانت الـدنيا ظلام دامس والليل والنهـار معـاً اسـبق من خلق الذكر والأنثى وخلق الذكر اسبق من خلق الأنــثى (خلقكم من نفس واحــدة وخلق منها زوجهـا) فجـاء تـرتيب الآيـات بنفس ترتيب الخلق: الليل أولاً ثم النهـار ثم الـذكر ثم الأنـثى وعلى نفس التسلسل.

ما الحكم في عـدم اسـتخدام كلمة الـزوجين في الآية (وما خلق الزوجين الذكر والأنثى)؟

كما يأتي في معظم الآيات الـتي فيها الـذكر والأنـثى كقوله تعـالى: (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) (سـورة القيامـة) وقولـه: (وأنه خلق الزوجين الـذكر والأنـثى)(سـورة النجم) وإنما قـال: (وما خلق الذكر والأنثى) بحذف الزوجين؟

إذا استعرضنا الآيات في سورةِ القيامة نرى أن الله سبحانه وتعالى فسر تطور الجنين من بداية (ألم يك نطفة) إلى قوله (فجعل منه الزوجين الـذكر والأنـثي) فالآيـات جـاءت إذن مفصـلة وكـذلك في سورة النجم (وأنه هو اضحك وأبكي - إلى قوله - انه خلق الزوجين الذكر والأنثى). لقد فصل سبحانه مراحل تطـورِ الجـنين في سـورة القيامة وفصل القِدرة الإلهية في سورة النجم أما في ســورةِ الليل فإن الله تعالى أقسم بلا تفصيل هذا من ناحية ومن ناحية أخـري قوله تعالى (إن سعيكم لشـتي) يقتضي عـدم التفصـيل وعـدم ذكر الـزوجين. لمـاذا؟ لأن كلمة الـزوج في القـرآن تعـني المثيل كقوله تعـالي (وآخر من شـكله أزواج) وكلمة شـتي تعـني مفـترق لـذا لا يتناسب التماثل مع الافـتراق فـالزوج هو المثيل والنظـير وفي الآية (إن سعيكم لشتى) تفيد التباعد فلا يصح ذكر الزوجين معها. الـزوج قريب من زوجته مؤتلف معها (لتسكنوا إليها) وكلمة شتى في الآية هنا في سـورة الليل تفيد الافـتراق. فخلاصة القـول إذن إن كلمة الــزوجين لا تتناسب مع الآية (وما خلق الــذكر والأنــثي)من الناحية اللغوية ومن ناحية الـزوج والزوجة لـذا كـان من الأنسب عـدم ذكر كلمة الزوجين في الآية.

<u>هل يســـتوجب القسم في الســورة هـــ</u>ذا <u>الجــوا</u>ب (إن سعيكم لشتى)؟

المقصود في السورة ليس القسم على أمر ظاهر أو مشاهد مما يعلمه الناس ولكن القسم هو على أمر غير مشاهد ومتنازع فيه والله تعالى أوضح القسم (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) هذا الأمر متنازع فيه وأكثر الخلق ينكرونه (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) عموم الخلق لا يعلمون (فأما من

أعطى...) ويتنازعون فيه. والسعي هنا لا يدل على السعي في أمور الدنيا من التجارة والزراعة والصناعة وغيرها وأن السعي للآخرة. وكذلك قال تعالى (سعيكم) وكأنه يخاطب المكلفين فقط وليس عامة الناس ولذا أكد باللام أيضاً في (لشتى) ولم يقل إن السعى لشتى.

- قوله : (**فأما من أعطى واتقى ` وصـــدق بالحســـنى** `

فسنيسره لليسري `)

<u>لماذا لم يذكر المُفعولين لفعل أعطى؟</u>

إذا تدارسنا سورتي الليل والشمس لوجدنا أن القسم في سورة الليل وجواب القسم مطلق (والليل إذا يغشى ` والنهار إذا تجلى ` وما خلق الذكر والأنثى `) كلها مطلقة فلم يقل ماذا يغشى الليل ولم يحدد الذكر والأنثى من البشر وكذلك جواب القسم في سورة الليل (إن سعيكم لشتى) مطلق أيضاً وكذلك (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) أطلق العطاء والاتقاء والحسنى.

أما في سـورة الشـمس (والشـمس وضـحاها ` والقمر إذا تلاها ` والنهـار إذا جلاها ` والليل إذا يغشـاها ` والسـماء وما بناها ` والأرض وما طحاها ` ونفس وما ســـواها ` فألهمها فجورها وتقواها ` قد افلح من زكاها ` وقد خاب من دساها ` كذبت ثمـود بطغواها `..) في هـذه الآيـات تحديد واضح فقد قال تعالى يغشـاها وجلاها وكـذلك حـدد في (ونفس وما سواها) خصص بنفوس المكلفين من بني البشر وكذلك في (كذبت ثمود بطغواها) محددة ومخصصة لقوم ثمود.

فكأنما سورة الليل مبنية كلها على العموم والإطلاق في كل آياتها. وقد أقسم الله تعالى بثلاثة أشياء (الليل والنهار وخلق الذكر والأنيث) وذكر ثلاث صيفات في المعطي (أما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) وثلاث صفات فيمن بخل (وأما من بخل واستغنى

وكذب بالحسني)

في الآية (فأما من أعطى واتقى وصــدق بالحســنى) لم يــذكر المفعولين المعطى والعطية والمراد بهذا إطلاق العطاء فلم يـذكر المعطى أو العطية لأنه أراد المعطي والمقصــود إطلاق العطـاء سـواء يعطي العطـاء من ماله أو نفسه فقد يعطي الطاعة والمـال ونفسه كما نقــول يعطي ويمنع لا نخصصه بنــوع من العطـاء ولا بصـنف من العطـاء ولا بصنف من العطـاء ولا من العطـاء.

تعالى (ولسـوف يعطيك ربك فترضـى) و (إنا أعطينـاك الكـوثر) أما في سورة الليل فحذف المفعولين دليل على العموم والإطلاق. فعل أعطى هو فعل متعـدي ولازم فهل نقـول على هـذا الفعل أن السـلوك الخـاّص به في الْجملة سـلوك لازّم أي فعل متعــدي أم حذف مفعول؟ قسم يقول أنه هذا حـذف وقسم يقـول عـدم ذكّـر . حذف عندما يقتضي التعبير الذكر، مثل جملة الصفة لا بد أن يكون فيها ضمير يعود على الموصوف (يخافون يوماً تتقلب **فيه** القلـوب والأبصـار) ويمكن أن نحــذف كما في قوله تعــالي: (واتقــوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا) هـذا حـذفَ. العائد للـذكرَ فـإذَا حـَـذف نقول محذوف كقولـه: (ذرني ومن خلقت وحيـدا) حـذف الهـاء في (خلقته). فيما عدى الذكر تنزيل المتعدي منزلة اللازم: لا يحتاج إلى مفعـول (إن في ذلك لآيـات لقـوم يعلمـون) أو لقـوم يفقهـون، يسـمعون، لا يحتـاج هنا إلى مفعـول ولا يريد أن يقيد العلم بشـيء. وفي قولـه: (لم تعبد ما لا يسـمع ولا يبصر ولا يغـنِي عنك من الله شيئاً) أراد أصل المسألة فلم يـرد أن يقيد السـمع أو البصر بشـيء معين أما في (ولا يغني عنك مِن الله ِشـيئاً) فِيها ذكر وإطلاق، وهل المعـنى لا يغـني عنك إغنـاءً أو شـيئاً من الأشـياء؟ كُلُّ واحـدة لها معنى وليست الأولى كالثانية.

كذلك الَفعل (اتقى). معنى اتقى هو احترز وحــذر. والفعل اتقى هنا يراد به الإطلاق أيضاً ولم يقيـده سـبحانه بشـيء فقد يقـول (اتقـوا النـار أو اتقـوا يومـاً) ولكن هنا جـاء الفعل مطلقـاً. فأما من أعطى واتقى تدل على أنه اتقى البخل.

الحسنى: اسم تفضيل وهو بمعنى تأنيث الأحسن كما نقول (العليا الأعلى، الدنيا - الأدنى) والحسنى هو وصف مطلق لم يذكر له موصوف معين. وصدق بالحسنى معناها أنه صدق بكل ما ينبغي التصديق به قسم يقول إنها الجنة وقسم يقول الحياة الحسنى وآخر الكلمة الحسنى (لا إله إلا الله) أو العاقبة الحسنى في الآخرة وقسم يقول إنها العقيدة الحسنى ولكنها في الحقيقية تشمل كل هذه المعاني عامة، فكما حذف مفعولي أعطى واتقى للإطلاق أطلق الحسنى بكل معانيها بحذف المفعول وحذف الموصوف. ولو أراد سبحانه أن يعين الموصوف لـذكره وحدد الفعل كما في قوله (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) ولكنه أطلق لتناسب مع بـاقي الآيات في السورة، فإذا أراد أن يطلق حذف.

<u>لماذا الترتيبُ على النحو التالي: (فأما من أعطى واتقى</u> <u>وصدق بالحسنى فسنيسره للحسنى)؟</u>

هناك أكثر من سبب لذلك فقد قال قسم من المفسرين أن التقديم في سبب النزول لأن هذه الآيات نزلت في شخص فعل هذه الأفعال بهذا التسلسل وقالت جماعة أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأخرى قالت إنها نزلت في علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

وترتيب العطاء ثم الاتقاء لأنه سبحانه بدأ بالأخص ثم ما هو أعم ثم ما هو أعم ثم ما هو أعم. كل متق ما هو أعم. كل متق معطي في سيبيل الله متقي ولكن ليس كل متق معطي في سيلة المتقي. وكل متق مصيدق بالحسنى لكن ليس كل مصدق بالحسنى متق لذا فالمتقي أخص من المصدق بالحسنى وعلى هذا كان الترقي من الأخص إلى الأعمد

إن سعيكم لشتى والسعي هو العمل وأقـرب شـيء للسعي هو العطاء. أما الإتقاء ففيه جانب سعي وجانب ترك كـترك المحرمـات وعلى هــذا نلاحظ أن الآيــات رتبت بحيث قربها من السـعي أي بتسلسل العطـاء ثم الاتقـاء ثم التصـديق وهو الأقل والأبعد عن السعى.

- قوله (وما خلق الذكر والأنثى `إن سعيكم لشتى `) المجتمع يتكون من الذكر والأنثى وأهم شيء يقدمه الإنسان للمجتمع هو العطاء ؛ فهو إذن الدعامة الأولى لبناء المجتمع فعلى الإنسان أن يكون معطياً لا أخذاً وهذا يعني التآزر والتكافل ثم يلي ذلك الإتقاء وهو أن يحذر من الإساءة إلى الآخرين كما يحذر أن يضع نفسه في موضع الإسلاءة (أي يقي نفسه ويحفظ مجتمعه الذي هو فيه) لذا يأتي الإتقاء بعد العطاء. أما التصديق بالحسنى فهي من صفات المجتمع المؤمن وهي من الصفات الفردية فالمصدق بالحسنى لا يفرط في حقوق الآخرين . وعلى هذا الأساس قدم الله تعالى ما هو أنسب للمجتمع عامة: العطاء ثم الإتقاء ثم التصديق بالحسنى.

- قُوله (**فأما من أعطى واتقى ` وصدق بالحسنى `** فسنيسره لليسرى `)

ما معنى (فسنيسرم لليسري)؟

اليســرى في اللغة : هي تــأنيثُ الأيسر مضــاد الأعسر أو الأشق ، يقـال الأمر اليسـير والأمر العسـير، فاليسـرى هو اسم تفضـيل من الدرجة الثالثة أي أعلى درجات التفضيلـ

الحكّم النحوي للّيسرى: إذّا كان اسم التفضـيل مجـرداً من (أل) أو الإضافة أو مضاف إلى نكرة يصح التذكير (استخدام صيغة المـذكر)

1/17

فيقال أفضل رجل وأفضل امرأة ، أما إذا أضيف الاسم إلى معرفة جاز فيه المطابقة وعدم المطابقة، فإذا عرف بـ(أل) وجبت المطابقة إلا إذا لم يسمع أو لم يرد عند العرب. يقال: النار الكبرى. استخدام كلمة اليسرى جاء بالدرجة العليا من التفضيل من ناحية ونلاحظ انه ذكر الصفة ولم يذكر الموصوف ولو أراد أن يقيد أو يحدد أمراً محدداً لذكر وقال مثلاً الخلة اليسرى أو العاقبة اليسرى أو عيره تماما كما جاء في الاستخدام المطلق لكلمة الحسنى في الآية السابقة كما ورد ذكرها آنفاً.

والّيسـرى يطلق علّى كلّ ما هو الأيسر سـواء من أعمـال الـدنيا أو الآخرة ، واليسرى تدور حول ثلاث محاور:

الأول: أن ييسر على غيره أمورهم ويسعى في حاجتهم ويعينهم ويغيثهم ويعطيهم بمعنى يسر الله لخير غيره. والمحور الثاني أنه تتيسر أموره كلها فتكون سهلة وميسرة عليه فيما يريد من أي ضيق وحالة تصيبه مصداقاً لقوله تعالى: (يجعل له من أمره يسرا)، والمحور الثالث هو الآخرة بمعنى أن الله تعالى ييسره لدخول الجنة بيسر وسهولة وهذه عاقبة المحورين الأولين. إذن هي ثلاثة محاور تندرج تحت (فسنيسره لليسرى) وهذا مفهوم الآية.

ورد في الُقُرآن (ونيسـرك لليسـرَى) وهناً جـاءًت الآية (فسنيسـرك لليسرى) لماذا هذا الاختلاف؟

السين في اللغة تفيد الاستقبال عند النحاة بالإجماع ، وكثير منهم يخهب إلى أن السين تفيد التوكيد (يعني الاستقبال مع التوكيد) السين وسوف يفيدان التوكيد والاختلاف بينهما هو أيهما ابعد زمنا لكن الاثنين يفيدان الاستقبال مع التوكيد وقد بدأ بهذا الرأي الزمخشري ، فالسين إذن هي للاستقبال المؤكد.

في الآية الكريمة (ونيسرك لليسرى) هي خطاب للرسول الكريم الوالرسول أموره كلها ميسرة دائماً في الحال وفي المستقبل لذا قال تعالى: ونيسرك لليسرى. أما في الآية (فسنيسرك لليسرى) فهي جاءت بعد الآية (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) بمعنى أن التيسير لليسرى في هذه الآية مرتبط بالعطاء والإتقاء والتصديق بالحسنى، فإذا أعطينا واتقينا وصدقنا بالحسنى عندها سييسرنا الله لليسرى.

ما ارتباط (فِسنيسرك لليسري) بما قبلها؟

كما قلنا سابقاً التيسير لليسرى جاء على ثلاث محاور وقد قال تعالى: (فإما من أعطى) مرتبط بالمعنى الأول لأن الذي يعطي ييسر على الآخرين فأعانهم، الإعطاء هنا ينطبق على القسم

المحور الأول من محاور التيسير. (واتقى) قال تعالى: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال تعالى: (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) اتقى هنا تأتي مرتبطة بالمحور الثاني من محاور التيسير أي أن الله تعالى ييسر له أموره كلها. (وصدق بالحسنى) مرتبط بالمحور الثالث لليسرى لأن الله تعالى يجعل له العاقبة الحسنى ويدخله الدار الحسنى (للذين استجابوا لربهم الحسنى) فمن يصدق بالحسنى سيدخل الجنة بيسر وسهولة، فالآية مرتبطة بكل متعلقات (فسنيسره لليسرى).

- قوله (**فأما من بخل واســتغنی ` وکــذب بالحســنی** فسنیسره للعسری `) .

تقابل هذه الصفات ما قبلها في الآية التي سبقت. وقد أورد الله تعالى أمرين: الشيء ونقيضه فقال سبحانه: فأما من أعطى مقابلها فأما من بخل، واتقى مقابلها واستغنى، وكذب بالحسنى مقابلها وصدق بالحسنى. والسورة كلها قائمة على التقابل: الليل والنهار، يغشى و تجلى، الهذكر والأنثى.. استغنى مقابل اتقى لأن المستغني لا يحذر شيئاً ولا يحترس والاستغناء مدعاة للطغيان كما في قوله تعالى: (إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى) والذي يطغى لا يحذر لأنه لو كان يحذر لما طغى أصلاً والمتقي يحذر ويحترس أما الطاغية فلا يحذر والطغيان مدعاة التعسير على الآخرين. كذب بالحسنى جاءت مقابل صدق بالحسنى، وكذلك جاءت (فسنيسره لليسرى) ولم يقل نعسره للعسرى لأنها تفيد الثناء على عكس المقصود بالآية أنه يعسر الأمور على غيره وعلى نفسه وفي الآخرة يعسر عليه دخول الحنة.

وفي العسرى كما في اليسرى لم يذكر سبحانه وتعالى موصوفاً فتركها مطلقة وأعسر العسرى هي النار أعاذنا الله منها جميعا. والسورة بكاملها تفيد الإطلاق (يغشى ولم يحدد ماذا يغشى، تجلى ولم يحدد ماذا تجلى، الذكر والأنثى ولم يحدد أهما للبشر فقط أو لسائر المخلوقات، سعيكم لشتى ولم يحدد من عمل صالحاً مثلاً إنما السيعي على إطلاقيه) فخط السيورة إذن هو خط الإطلاق والعموم من أولها إلى آخرها. كما أنه لم يحدد الحسنى كذلك لم يحدد اليسرى ولم يحدد العطاء والاتقاء.

- قوله (**وما يغني عنه ماله إذا تردى** `)

لماذا جاءت هذه الآية عقب الآية السابقة: (فإما من بخلَ واســتغنى وكــذب بالحســنى) ولم تــأت آية مثلها عقب الآية: (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى)؟

في الآية ذكر الله تعالى أن الذي بخل، بخل بماله واستغنى من الغنى فلما بخل ذكر (ما يغني عنه ماله) و(ما يغني عنه ماله) وضع المفسـرون لها احتمـالين: الأول أن تكـون نافية والثـاني أن تكـون استفهامية ومن بـاب التقريع والتـوبيخ. ويسـمي هـذا في اللغة من بـاب الاتسـاع في المعـني، فلو أراد تعـالي بالآية معـني الاسـتفهام لقالُ تعالى: (ماذاً يغني عنه ماله) ولو أراد النفي لقال تعالى: (لم يغني عنه ماله) وإنما جاء سبحانه وتعالى بلفظ يتسع للمعنيين وهو يريدهما معا فكأنما يريد القول ماذا يغنى عنه ماله ولم يغني عنه ماله، أي يريد الاستفهام للتـوبيخ والتقريع والنفي أيضـاً ولهـذا يضع سبحانه وتعالى جملة فيها اتساع في المعنى وهذا الأسـلوب يتكـرر في القرآن فقِد يستعمل سبحانه وتعالى ألفاظاً تحتمل معاني عـدة قد تصل إلى أربع أو خمس معــاني للفظ الواحد وهــذا من البلاغة التامة حتى لا تتكرر الآية بمعنى مختلف في كُل مرَة وإنما يُؤتى ِبها بلفظ معين يتسع لكل المعاني المقصودة. وهذا لا يعـني تناقضـاً أو عدم تحديد في القرآن كما قد يتبادر إلى أذهـانِ المستشـرقين لأن الله تعالى عندما يريد التقييد يأتي بحرف أو كلمة محددة تفيد المعنى المراد كما في قوله سبحانه: (اذكروا الله ذكـراً كثِـيرا) فقد حدد هنا الذكر الكثير وفي موضع آخر (واذكـروا الله كثـيراً) لم يـرد التقييد ولم يحدد إنما أطلق المعني.

فالقاعدة أن ننظر ماذا يريد المتكلم البليغ، هل يريد التحديد فهو يحدد. في الآية الكريمة: (ولا تشركوا به شيئا) سورة النساء، آية 36، فيها إطلاق والآية: (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فيها تخصيص. في الآية الأولى لا ندري ما المقصود بـ (شيئا) هل شيئا من الأشياء التي يشرك بها كالأصنام أو الأشخاص أو غيره أو المقصود شيئا من الشرك (شرك أعلى أو شرك أصغر) ولو أراد أن يخصص لقال كما في الآية (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) سورة الكهف، آية 110، أحدا هنا لا تحتمل غير معناها لأنها محددة ـ لذا فيان الآية (ولا تشركوا به شيئا) تحتمل المعنيين والمراد منها أن لا نشرك بالله شيئا من الشرك أو شيئا من الأشياء كالأصنام والبشر وهذا يسمى الساع في المعنى. مثال آخر في الآية: (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) وسورة النساء، آية 160، هل المعنى خلقا كثيرا أو صدا كثيرا أو سورة النساء، آية 160، هل المعنى خلقا كثيرا أو صدا كثيرا أو

زمنا كثـيرا؟ إنها كل هـذه المعـاني الصد الكثـير والخلق الكثـير والوقت الكثير ولو أراد سبحانه أحد هذه المعـاني فقط لجـاء بلفظ يدل على المعنى المطلوب ولحدد وخصص.

ما الحكم البياني في استخدام (إذا) بـدلا عن (إن): (وما يغـني عنه ماله إن تـردی) بـدل (وما يغـني عنه ماله إذا تردی)؟

إذا في كلام العرب تستعمل:

للمقطّوع بحصوله كما في الآية: (إذا حضر أحدكم الموت) ولا بد أن يحضر الموت، (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) ولا بد للأشهر الحرم من أن تنسلخ، وقوله تعالى: (وترى الشمس إذا طلعت) ولا بد للشمس من أن تطلع وكقوله: (فإذا قضيت الصلاة) ولا بد للصلاة أن تنقضي.

وللكثير الحصول كما في قوله تعالى: (إذا قمتم إلى الصلاة..) و (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها)

تفيد الحدوث الكثيرـ

وإذا جاءت (إذا) و(إن) في نفس الآية تدل (إذا) على الكثير و(إن) على الأقل كما في قوله تعالى: (وإن تعجب فعجب قولهم عإذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد.) سورة الرعد، آية 5، والآية: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا) سورة المائدة، آية 6، فإقامة الصلاة أكثر حدوثا من الجنابة لنا استعملت (إذا) مع إقامة الصلاة و(إن) مع الجنب والآية: (فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن ما على المحصنات من العذاب) سورة النساء، آية 25. فالمحصنات أكثر من اللواتي بأتين بفاحشة مسنة.

(إذا) وردت في القرآن الكريم في 362 موقعاً ولم تأت في موقع غير محتمل البتة فإما أن تأتي بأمر مجزوم بوقوعه كما في الآيات الستي تصف الآخرة كقوله: (إذا الشمس كورت، وإذا النجوم انكدرت...) وقوله: (إذا السماء انفطرت، وإذا الكواكب انتثرت..) لأن كل آيات الآخرة مقطوع بحصولها، او كثير الحصول كما ورد

ساىقاً.

السماء ساقطا..) لم يقع ولكنه احتمال. وقوله تعالى: (انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه..) افتراضي واحتمال وقوعه.

والتردي في قبره، أو في نار جهنم فماذا يغني عنه ماله عندها؟وهذه تردى في قبره، أو في نار جهنم فماذا يغني عنه ماله عندها؟وهذه ليست افتراضاً وإنما حصولها مؤكد وهي أمر حاصل في كل لحظة ولهذا السبب جاء بلفظ (إذا) بدل (إن) لأن (إذا) مؤكد حصولها) و(إن) مشكوك فيها أو محتمل حدوثها. وهذه إهابة بالشخص أن لا يبخل أو يطغى أو يكذب بالحسنى ، إذن لا مفر منه فلماذا يبخل ويعسر على الآخرين وبطغى ويكذب بالحسنى؟

ويعسر على الآخرين ويطغى ويكذب بالحسنى؟ - قوله (إن علينا للهدى ` وإن لنا للآخرة والأولى `) . ما هو المعنى العام للآيات وارتباطها بما سبقها وما تلاها من الآيات؟

قوله : (إن علينا للهدي `) .

هذا التعبير (إن علينا للهدى) يحتمل معنيين: الأول علينا أن نبين طريق الهدى بمعنى أن الله تعالى يتكفل ببيان طريق الهدى، والثاني أن الهدى يوصل صاحبه إلى الله. طريق الهدى في النتيجة يوصل إلى الله عز وجل (إن ربي على صراط مستقيم) (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) من أراد أن يبتغي مرضاة ربه يسلك هذا الطريق ومثلها قوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل) والقصد هو استقامة الطريق. فمعنى الآية علينا أن نبين الطريق المستقيم والطريق المستقيم والطريق المستقيم

<u>ما الحكم البيــاني في التقــديم والتــأخير في الآية (إن</u> علينا للهدى) بدل القول إن الهدى علينا؟</u>

التقديم في هذه الآية يفيد القصر. إن معرفة وتقديم الخبر يفيد القصر. طريق الهدى يبينه الله تعالى فقط وليس هناك معه جهة أخرى، أي أن الهدى يعود إلينا (أي الله تعالى) حصراً وأي هدى من غير طريق الله فهو غير مقبول ومرفوض ولا يوصل إلى الله عز وجل. فالجهة التي تبين طريق الهدى هو الله تعالى حصراً.

وَقول: إن الهدى علينا يتضمن المعنى السابق لكنه لا ينفي كون جهة أخرى توصل إلى الهدى ولكن الله تعالى حصر الهدى به جل وعلا.

مًا الحكم البياني في استخدام التوكيد بـ(إن) وبـ(اللام)؟

التوكيد يكون بحسب الحاجة وبحسب إنكار المخاطب للأمر إذا كـان المخـاطب يقبل الأمر لا يوجد داعي للتوكيد لكن أكـثر النـاس يرفضـون هـذا الأمر لقوله تعـالِّي: (وماَّ أكـثُر النـاسُ ولو حرصتُ بمُؤمنينً) (وإن تطع أكـثرُ من في الأرضَ يضـلُوك عن سُـبيِّل اللـه) وهذا الشيء ينازع فيه كثير من الناس في زمن الرسول أو الآن ويرفضون الفكرة وينسبون الهدى لأنفسهم وأنهم هم الـذين يبينونه وينازعون فيه لـذا وجب التوكيد، لـذا المسـألة تحتـاج إلى توكيد بـالمعنيين: الهـدي علينا حصـراً والمعـني الآخـر: طريق الهـدي هو الطريق الـذي يوصل إلى اللـه. ولو جـاءت الآية (إن الهـدي لعلينـا) هذا يؤكد المعنى الثاني ويؤدي إلى فوات معنى الحصر الأول.

في عموم القرآن هناكُ ارتباطُ بين الآيَات وما يسبقها أو يليُها، (إن عَلَيْنَا لِلهَـٰدَى)مَرِتبطة بما قبلها (إن سـعيكم لشـتي) لأنه لو ابتغي الناس الهدي عند الله لما تشـتت سـعيهم ومرتبطة بالآية (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسـني) لأنها من الهـدي الـذي ييسـره الله

تعالى..

- قوله (**وإن لنا للإّخرةِ والأولى** ` ٍ) .

وهـذه الآية مرتبطة أيضـاً بما قبلها (فأما من أعطى واتقى وصـدق بالحسـني) (وأما من بخل واسـتغني وكـذب بالحسـني) لأن الـذي يعطى ويتقى يُريد الْآخرة فقَـال الله تعـالي (إن لنا للآخـرة) والـذيّ يبخل يريد الدنيا فقال تعالى (والأولى) فالآخرة والأولى لله وحده فيجب أن نتبع هدى الله تعالى في الأولى والآخرة. ومرتبطة كــذلك بالآية (فسنيســره لليســري) (فسنيســره للعســري) لأن التيســير والتعسير إما أن يكونا في الدنيا أو في الآخرة ولله الآخرة والأولى. إذن علينا أن نتيع ما أراد الله منا.

ما الحكم البياني في تقديم الآخرة على الأولى؟

التقديم والتأخير في القرآن عمومـاً مرتبط بِسـياق الْآيـات فأحيانـاً يقدم المفضول على الأفضل وقد يقدم المتـأخر على المتقـدم. ولو نظرنا في سياق الآيات في هذهِ السورة لوجدنا أن الله تعالى قـِدم الآخرة لتقدم طالبها (فِأما من أعطى واتقى وصدق الحسني) وأخّر الأولى لتأخر طالبها (فأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى).

<u>في سورة القصص وردت الآية: (فله الحمد في الأولى </u> <u>والآخرة) أي تقـدم ذكر الأولى على الآخـرة وفي سـورة</u>

<u>الليل تقــدِم ذكر الآخــرة على الأولى فما الفــرق بين</u> الآبتين<u>؟</u>

وي سورة القصص سياق الآيات (70 – 73) هو في نعم الدنيا من الآيـــة: (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخــرة وله الحكم واليه ترجعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يـوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرعداً إلى يـوم القيامة من إله على الليل والنهار لتسكنون فيه أفلا تبصرون، ومن رحمته جعل في الليل والنهار لتسكنوا فيع ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) فلذا ناسب تقديم الأولى على الآخرة في سورة القصص. وقال تعالى: (وله الحمد) أيضاً الذي يـدل على أن النعم يجب أن تقابل بالحمد والشكر والاختيار ناسب السياق للآيات وهو تـذكير للإنسان بنعم الله تعالى في الدنيا ، أما في سورة الليل فقال تعالى (إن لنا والتوكيد بــ(اللام) في كلمة (للآخرة كما سبق وفصلنا. والتوكيد بي والتوكيد بي والتوكيد في هـذا التوكيد في سورة الليل عا التوكيد في سورة الليل عا السياق الآحات، السياق الآبات،

والتوكيد بـــ(اللام) في كلمة (للآخــرة) فيه اختلاف مع اية ســورة النجم (فلله الآخرة والأولى) فما الحكم البياني في هـذا التوكيد في سورة الليل؟ التوكيد في سورة الليل جـاء مناسباً لسياق الآيـات، فسياق الآيـات في سـورة الليل جـاء كله في الأمــوال وامتلاكها والتصرف فيها (فأما من أعطى) والمعطي لا بد أن يكون مالكاً لما يعطيه، (وأما من بخل واستغنى) والبخيل هو أيضاً مالك للمـال لأنه لو لن يكن يملكه فبم يبخل؟ وكذلك الـذي اسـتغنى وهو من الغنى ثم ذكر المـال (وما يغـني عنه ماله إذا تـردى) و (الـذي يـؤتي ماله يتزكى) فالسورة كلها في ذكر الأموال وتملكها والتصرف فيها فلـذا ناسب التوكيد بـاللام هنا لأن الآخـرة والأولى من الملك لله حصـراً. أما في سورة النجم فسياق الآيـات ليس في المـال ولا في التملك أما فلم يؤكد باللام.

في الآية جـاءت كلمة (الأولى) مقابل (الآخـرة) ولم تـرد مثلاً كلمة (الــــدنيا) مقابل (الآخــــرة) <u>ما الحكم في</u> <u>استخدام الأولى بدل الدنيا؟</u>

الحقيقة أولاً وَللعلم لم يرد في القرآن الكريم كله ولا مرة واحدة لفظ الدنيا مع الآخرة إنما ورد دائماً كلمـتي الأولى والآخـرةـ ولهـذا أسبابه البيانية:

1. الأولى أعم من الدنيا في الاستعمال القرآني وفي اللغة أيضاً. القرآن يستعمل الدنيا لما يحيا فيه الإنسان ويعيش كقوله تعالى: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة) و (اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) و (متاع الدنيا قليل)، أما الأولى فتستعمل عامة لما يعلمه الإنسان وما لا يعلمه من أمر السموات والأرض فكلها الأولى. فالأولى إذن أوسع من الدنيا. ولما أراد الله تعالى أن يدكر سعة الملك في سورة الليل ناسب أن يأتي بكلمة الأولى التي هي أعم وأوسع.

2.الثـاني أن كلّمة الـدنيا نفسـها هي مـؤنث الأدنى ومن معانيها الأقــرب والأخس والــدون والأقل كما في قوله تعالى (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) فلما أراد الله تعالى أن يذكر في سـورة الليل سـعة ملكه وعظمته لم يناسب ذكر كلمة الــدنيا الــتي قد تحتمل في معانيها (الدون أو الأقل). إذن كلمة الـدنيا لا تناسب هنا من حيث الدلالة اللغوية واشتقاقها ومن حيث السياق أيضاً.

- قوله (فأنـذرتكم ُنَـارًا تلظیْ ` لاّ یصـلاها ٓ إلّا الْأشــقی ` الذی كذب وتولی `) .

هذه الآيات مرتبطة بقوله تعالى (إن علينا للهدى* وإن لنا للآخرة والأولى) لأن هذا من الهدى ، أنذرنا هو من الهدى الذي ينبه الله تعالى منه (إن علينا للهدى) وهذا في الآخرة فهي مرتبطة بـ (وإنا لنا للآخرة). وفي سـورة الليل ذكر الله تعالى الإنـذار ولم يـذكر التبشير ولـذلك اقتصر على ذكر النـار ولم يـذكر الجنة لأن ذكرها تبشير وليس هنا مقام التبشير. كما ذكر للأشقى صـفتين: التكـذيب والتولي، (الـذي كـذب وتـولى) كـذب: بمعـنى كـذب بكل مفـردات الإيمـان، وتـولى بمعـنى أدبر عن الطاعـات واشـتغل بالمعاصـي. فجـاءت كـذب مقابل (وصـدق بالحسـنى) وتـولى وقابل (أعطى واتقى) لأن عـدم العطـاء من التـولي. وهـذه الآية (لا يصـلاها إلا الأشـقى الـذي كـذب وتـولى) توكيد للآية السـابقة (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى) وهي أعم منها أيضاً لأن التولي أعم من البخل والاستغناء إنما هو البخل والاستغناء إنما هو تولي عن كل الطاعات وإدبار عنها عمومـاً. وكـدّب أعم من (كـدّب بالحسنى) لأنه كدّب بالحسني وبغير الحسنى.

إذن لما عم السوء وانتشر أصبحت العاقبة أشد من الأولى و لما كان هذا أعم كانت العاقبة أسوأ لأن الأول بخل واستغنى وكذب بالحسنى وهذا كذب عموما وتولي عام لذا كان يجب أن تكون

155

العقوبة أسوأ، أولاً وصفه بالأشقى وذكر أن له ناراً تلظى أما في الآيات السابقة اكتفى بـ (فسنيسره للعسرى) وهذه العاقبة أخف. ما الحكمة في الإتيان بفعل (فأنذرتكم) بصيغة الماضي وقد ورد هذا الفعل بصيغة المضارع في آيات أخرى في القرآن؟: جاء الفعل بصيغة المضارع لأن الله تعالى أنذرهم هنا بشيء واحد ألا وهو ناراً تلظى بمعنى شيء واحد وانتهى، كما في قوله أيضاً (فقل أنذرتكم صاعقة عاد وثمود) و(إنا أنذرناكم عذاباً قريبا). أما في قوله تعالى (إنما أنذركم بالوحي) فالإنذار هنا مستمر طالما الـوحي مستمر بالنزول ولا ينتهى لذا جاءت صيغة الفعل المضارع.

ما الحكم البلاغي في مجيء الآية (فأندرتكم ناراً تلظي) بدون توكيد على خلاف ما جاء في سورة النبأ (إنا أنذرناكم عذاباً قريبا). سورة النبأ فيها توكيد لأن الإنذار في سورة النبأ متسع ومتكرر من أول السيورة إلى أوسيطها إلى آخرها (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) (إن جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآبا،...جاء وفاقا..فذوقوا ..) (إنا أنذرناكم عذاباً قريبا) فهو إنذار متسع طويل وفيه بسط ومتصل ومكرر فهو أدعى للتوكيد من سورة الليل. أما في سورة الليل فلم يرد الإنذار إلا في آية واحدة لذا لا تحتاج إلى توكيد.

- قوله (وسيجنبها الأتقى ` الذي يؤتي ماله يتزكى `) . لماذا لم ترد الآية على نفس سياق ما قبلها (ولا يجنبها إلا الأتقى) لا تصح لأن في هـــذا جلالة على أنه لن يجنبها إلا الأتقى بمعــنى أن المتقـون لن يجنبوها وفي هـذا ظلم للمتقين وحاشا لله أن يكـون هذا. وهذا من رحمة الله تعالى بعباده لأن معنى الآية أن الله تعالى يجنب الأتقى وغير الأتقى أيضاً فرحمته سبقت غضبه. في العـذاب حصر (لا يصلاها إلا الأشقى الذي كـذب وتـولى) وفي الرحمة أطلق سبحانه هو الرحيم.

إجمالاً في هذه الآية والتي قبلها ذكر مقابل الأشقى الأتقى الذي يؤتي ماله (الوصف يؤتي ماله (الوصف الأعلى للإنفاق ولم يقل من ماله إنما قال ماله ولم يقل المال)

والتزكي (أعلى درجات التصديق)ـ

في السيئة بدأ من الخاص إلى العموم (أما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) وفي الحسنة ترقى من الأفضل إلى الأفضل (الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) أعطى مقابل يؤتي ماله، واتقى مقابل الأتقى وصدق بالحسنى مقابل يتزكى لأن صدق بالحسنى هي أعلى الدرجات لأن فيها الإخلاص.

156

سيجنبها: استخدم الفعل بصيغة المبني للمجهول فلماذا لم يستخدم الفعل (سيتجنبها)؟

الآية فيه تحذير وإنذار عظيم إلى الناس لأن الأتقى لا يتجنبها بنفسه وإنما الأمر يعود إلى خالق الخلق وخالق النار ، فالله تعالى هو النذي يجنب عباده النار ولا أحد يستطيع أن يتجنبها بنفسه أبداً. ونظير هذه الآية ما جاء في قوله تعالى (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) سورة مريم. لا يستطيع الناس أن ينجوا بأنفسهم من النار ولو كان أحدهم الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى إنما ألمر يعود لخالق الناس وخالق النار سبحانه.

جاءً في كثير من الآيات في القرآن الكريم قوله تعالى (ينجي الله) (ننجي الـذين اتقـوا) فما الحكمة في الآية هنا (سـيجنبها الأتقى)؟ هناك فرق بين التجنيب والتنجية. التنجية قد تكـون بعد الوقـوع في الشــي، ومعاناته كما في قوله (وإذ نجينــاكم من آل فرعــون يسومونكم سوء العذاب) بمعنى أنهم ذاقوا العـذاب ثم نجـاهم الله تعالى فكانت النجاة بعد الوقـوع في المكـروه. وكـذلك قوله تعـالى (ثم ننجي الذين اتقوا ونـذر الظـالمين فيها جثيـا) بعـدما وقعـوا في النار ينجي الله تعالى الذين اتقوا. وكذلك في قصة سيدنا يـونس الغراب نتجي المؤمـنين) سـورة الأنبياء، آية 88، كان قد وقع في الكرب ثم نجـاه الله تعـالى منه . إذن النجاة تقع بعد الوقـوع (ننجي الـذين اتقـوا). أما التجـنيب فهي التنحية بمعـنى أنه لا يقع في المكـروه أصـلاً (سـيجنبها الأتقى) والأتقى في المرتبة الأعلى فهو لا يقع في التجربة أصــلاً. إذن مع القـوا يســتعمل القـرآن لفظ (التنجيــة) ومع الأتقى يســتعمل القـرآن لفظ (التنجيــة) ومع الأتقى يســتعمل (التحنيب).

- قوله (**وما لأحد عنــده من نعمة تجــزى ` إلاّ ابتغــاء وجه** رب**ه الأعلى ` ولسوف يرضى `**) .

عندما يـؤتي ماله ليس لأحد فضل عليه يؤديه له وإنما يفعله لوجه الله تعالى وعمله غير مشوب بشائبة فهو لا يرد معروفاً لأحد وإنما ابتغاء وجه الله من غـير توقع رد جميل وإنما هو خـالص لوحه الله وهذا هو منتهى الإخلاص. ليس لأحد فضل فيجازيه عليه وإنما يفعله خالصاً لوجه الله تعالى.

ولسوف يرضى: فيها احتمالين أن تكون للشخص الذي يرضى بثوابه في الآخرة (الأتقى الذي أعطى ماله) أو هو الذي يبتغي وجه ربه الأعلى إذن سيرضى الله عنه، وهي الحالتين معاً سيرضى بثوابه فيما أعج الله تعالى له من كرامة ورضوان الله أعلى شيء (ورضوان من الله أكبر) أكبر من الجنات. وقالوا في الأثر: تحتاجون لعلمائكم في الجنة كما كنتم تحتاجون إليهم في الدنيا قالوا كيف يا رسول الله قال يطلع الله على أهل الجنة فيقول سلوني سلوني ولا يعرفون ما يسألونه فيذهبون إلى علمائهم فيقولون ماذا نسأل ربنا فقالوا اسألوه رضوانه وهو أعلى شيء.

الخطـوط التعبيرية في السـورة: خط العمـوم، خط المقابلـة، خط التفضيل.

خط العموم: السورة كلها في العموم من قوله تعالى (والليل إذا يغشى) لم يذكر تعالى ناذا يغشى و(النهار إذا تجلى) (وما خلق السذكر والأنثى)، (إن سعيكم لشتى) (فأما من أعطى) أطلق العطاء وأطلق جهة العطاء وأطلق اتقى ماذا اتقى. النار، غير النار، (صدق بالحسنى) ما هي الحسنى؟ (فسنيسره لليسرى) ما هي اليسرى؟

لمسات بيانية في سورة البلد

- قوله (**لا أقسم بهذا البلد ` وأنت حلّ بهذا البلد ` ووالد** وماً ولد ` لقد خلقنا الإنسان في كبد `) .

إُ**طَلَالَة عامة على السـُورة**: لو نظّرنا في السـورة وعلاقتها بما قبلها أي (سورة الفجر)، قال تعالى في سورة الفجر (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقـول ربي أكـرمن) ذكر الإنسـان الغني والفقير، الذي قدر عليه رزقه والذي أغناه. وفي سـورة البلد ذكر الذي أهلك المال والفقير. ثم إن ربنا تعالى وصف الإنسان في سـورة الفجر بقولـه: (كلا بل لا تكرمـون اليـتيم ولا تحاضـون على طعام المسكين) وفي سورة البلد وصّانا تعالى بالرِحمة بهذين الضعيفين بقوله: (أو إطعام في يـوم ذي مسـغبة يتيمـاً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة).

والأمر الآخر أن هناك ترابط بين السورتين بـدليل: قـال تعـالي في سورة الفجر: (وتأكلون التراث أكلاً لمّاً)، وقال في سورة البلد: (أو

إطعام في يوم ذي مسغبة) فكما تأكل يجب أن تطّعم.

في سورة البلد على العموم استوفت كل عناصر البلاغ والإرسال: مـوطن الرسـالة (لا أقسم بهـذا البلـد) والرسـول (وأنت حل بهـذا البلد) والمرسل إليه وهو الإنسان (ووالد وما ولـد) والرسالة وهي الإيمان والعمل الصالح ِ(ثم كـان من الـذين آمنـوا وتواصـوا بالصـبر وتواصوا بالمرحمة) وأصناف الخلق بالنسبة للإستجابة للرسالة (أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة).

- قوله (**لا أقسم بهذا البلد**)

ما دلالة (لا) في القسِم؟

أُولاً لم يرد في القرآن كلَّه (أقسم بـ) أبـداً، كل القسم في القـرآن ورد باســتخدام (لا) كقوله تعــالي: (لا أقسم بمواقع النجــوم) (ولا أُقَسم بالخنّس) (فلا وربّلُ لا يؤمنون) وهكذا في القرآن كله. فما هي (لا)؟ اختلف النحاة في دلالة (لا): كلام عام من (لا أقسم عمومـاً) يقولـون (لا) زائـدة لتوكيد القسم بمعـني (أقسـم) مثـال قولنَّا: والله لا أفعل معناها لا أفعل، ولو قلنا: لا والله لا أفعل معناها لا أفعــل، لا يختلف المعــني والقسم دلالة واحــدةـ وقسم

يقولون هي للنفي (أي نفي القسم) والغرض منه أن الأمر لا يحتاج للقسم لوضوحه فلا داعي للقسم، وقسم قال أنها تنفي لغرض الإهتمام كأن تقول لا أوصيك بفلان (بمعنى لا أحتاج لأن أوصيك). وفي السورة (لا أقسم بهذا البلد) تدور (لا) في كل هذه الأمور على أنها توكيد للقسم بمعنى (أقسم بهذا البلد)، إذن الغرض للتوكيد لأن الأمر فيه عناية واهتمام.

- قوله (**وأنت حل بهذا البلد** `) <u>ما اللمسة البيانية في قوله تعالى (حِلّ) عوضاً عن كلمة</u>

حالّ أو مقيم؟

بداية السورة (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسيان في كبد) المعيني ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسيان في كبد) المعيني العام أنه أقسم أو لم يقسم بهذا البلد في وقت حلول الرسول في البلد أنه خلق الإنسان في الشدائد لكن يبقى السؤال (وأنت حل) ما معنى حل الرأي الأشهر أنه الحال والمقيم أي بمعنى وأنت حالٌ في البلد تبلّغ دعوة ربك وتلقى من الأذى ما تلقى. إذا كان هذا هو المعنى فلماذا لم تأتي كلمة (حالٌ) بدل (حِلٌ)؟ لأن كلمة (حل) لها أكثر من دلالة ولا تقتصر على الدلالة المتبادرة للذهن:

(حل) تأتي بمعنى اسم المفعول أي بمعنى (مُستحِل) (على صيغة وزن من أوزان أسماء المفعول مثل الطحي من طحيناً والــذبح، ما يعدّ للذبح، والحِمل أي الذي يُحمل). لأن صيغة فعل هي من جملة أوزان أسـماء المفعول الـذي له أكثر من ثمانية أوزان (فعل مثل سـلب ونهب). لا أقسم بهــذا البلد وأنت مسـتحلٌ قتلك لا تـراعى حرمتك في بلد آمن يـأمن فيه الطـير والـوحش (إذا كـانت لهـذا المعنى فلا تكون نافية).

وتـأتي (حِـل) بمعـنى حلال (حـل، حلال، حلـة) أي بمعـنى حلال أن تقتل وتأسر من تشـاء في ذلك البلد وذلك في يـوم الفتح لأن أهل البلد جاءوا بما يستحلون به حرمتهم فـرفعت الحرمة عنهم فأصـبح حِلاً فتكـون لا للنفي. وهـذه المعـاني كلها مـادة وهو ما يسـمى

بالتوسع في المعني.

لا أقسم بهـذا البلد وأنت حـالٌ في هـذا البلد تلاقي ما تلاقي وأنت مسـتحلٌ لا تُـراعى حرمتك وأنت حلال بهـذا البلد تقتل من تشـاء وتأسر من تشاء في وقت من الأوقات (هذه كلها تشير إلى معـاني كلمة حِل) ومرتبطة بمعاني (لقد خلقنا الإنسان في كبـد). ولو جـاء باسم الفاعل (حـال) لاقتصر على معـنى واحد من هـذه المعـاني

160

المتعددة لكن المطلـوب كل هـذه المعـاني فجـاءت كلمة (حِـل) لمناسبتها لمقتضى المعنى.

قـال تعـّالى في آية أخـرى في القـرآن (وهـذا البلد الأمين) فما الحكمة في أن يـرد القسم في سـورة البلد (لا أقسم بهـذا البلـد) بـدون اسـتخدام كلمة الأمين؟ هـذا لأن جو السـورة كلها فيه ذكر للمكابدة والمشقة واستحلال الحرمـات وما أصـاب الرسـول [في هذا البلد وليس في السورة مجال لذكر الأمن، فالرسول والصحابة ليسوا آمنين في هذا البلد والرسول [حلٌ يفعل ما يشاء يوم الفتح فارتفعت عن البلد صفة الأمن في هذه السورة، فجو السـورة كلها من أولها إلى آخرها ليس فيه أمن وأمان حتى في نهاية السورة لم يـذكر جـزاء المؤمـنين (أولئك أصـحاب الميمنـة) إنما اكتفى تعـالى بـذكر جـزاء الكافرين (والـذين كفـروا بآيتنا هم أصـحاب المشـئمة عليهم نـار مؤصـدة). لا يوجد أمن في البلد ولا الجو العـام في السورة فيه أمن.

ما اللمسة البيانية في تكرار كلمة (البلد)؟ فلماذا لم ترد مثلاً : وأنت حلٌ به؟

لو لاحظناً كلام العرب لوجدنا أنهم يكررون في مواطن التحسّر أو التعظيم أو التهويل لأنه أبلغ كما في قوله تعــــالى (القارعة ما القارعـة ما القارعـة) و(الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقـة) هنا تــأتي للتهويل. وكما في قوله تعالى (أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون، أو أمن أهل القـرى أن ياتيهم بأسـنا ضـحى وهم يلعبون، أفأمنوا مكر الله) هنا التكرار للتعظيم.

وفي سورة البلد تكرار كلمة (البلد) هي في مقام التعظيم. ويذكر أيضاً سبب آخر للتكرار وهو أن البلد المقصود به مكّة وهو بلد حرام لا يسفك فيه دمٌ ولا يروع فيه آمن ولكن الله تعالى أحل لرسوله [في يوم الفتح أن يفعل ما يشاء من قتل أو أسر فكأنما البلد صار غير البلد في يوم الفتح فأصبح له صفتان: حالة الحلّ وحالة الحرب وكأنه أصبح بلدين فكرّر سبحانه كلمة البلد لتكرار الوصف.

- قوله (**ووالد وما ولد** `)

لهـذًا التعبير عـدة دلالات: قسم قـال المقصـود به الإنسـان (آدم وذريتـه)، وقسم قـال أن المقصـود كـل والد وما ولد من الأناسـي والبهـائم ولـذا لم يقل ومن ولد وإنما قـال وما ولد (المقصـود به العموم وليس الخصوص ومن جملته آدم وذريتـه) وخصص بعـد. أما ارتباطه بالمقسم عليه فهو أن جـواب القسم (لقد خلقنا الإنسـان

161

في كبد) والكبد هو المشقة والشدّة، والولادة هي المكابدة والشدّة والمشـقة فـإذن ارتبطت بقوله (لقد خلقنا الإنسـان في كبـد) ثم ارتبطت بآخر السـورة (وتواصـوا بالصـبر وتواصـوا بالمرحمـة) لأن الوالد يحتـاج في تربية ولـده إلى صـبر ومرحمة سـواء كـان من الأناسيّ أو البهائم ولولاهما لما اسـتطاع تربية أبنائـه. وهي مناسـبة لجو السـورة الـذي كله يقـوم على المكابـدة والمشـقة والصـبر والمرحمة والإطار العام للسورة ، وارتبط بما كـان يلاقيه الرسـول □ من مكابدة ومشقة.

- قوله (**لقد خلقنا الإنسان في كبد** `) <u>ما هو اړتباط الجواب بالقسم وما هي دلالة كبد؟</u>

الكبد له أكثر من دلالتين فهو يعني:

1.الشدة والمشقة: يكابد مشاق الدنيا والآخرة ولم يقل خلقنا الإنسان مكابداً (في كبد) تعني أنه مغمور في الشدائد والمشقات منذ قطع سرّته والمشاق تحيط به وهو منغمر فيها إلى أن يقتحم العقبة فأما أن ينجو أو أن يكون في النار.

2.للقوة والصلابة والشدة: والكبدة هي القطعة من الأرض الصلبة يقال (أرض كبداء) لأن الذي خُلق للمشاقّ ينبغي

أن يكون متحملاً للشدائد فهي من لوازم المعنى الأول.

أما ارتباط الجواب بالقسـم: السـورة كلها مبنية على هـذا الأمر أي الكبد وكل تعبير مبني على ذلك. لا أقسم بهـذا البلد وأنت حل بهـذا البلد وقد ذكرنا عدة مِعاني لكلمة (حِل)

فإذا كُان المعنى الأول أي بمعنى (حالٌ) فهو يلقى من قومه ما يلقـاه من العنت فهو في كبد مم يلاقيه من المشــقة وهو يلقاها بقوة وثبات وتحمّل.

وإذاً كان بمعنى (مسـتحل) لا تـراعى حرمته فهو دليل على أنه في كبد يُحارب من قومه ويحاولون قتله.

وإذا كلن المقصـود المعـنى الثـالث وهو (حلال في البلـد) أي ضد الحــرام فهو ☐ يحــل له أن يقتل ويأسر إذن فالكفــار هم في كبد ومشــقة وعنت أما المسـلمون ففي قــوة، وهكــذا ارتبط الجــواب بالقسم فمن كل ناحية وفي كل معنى من المعاني.

وكذلك ارتباط (ووالد وماً ولد) فالولادة مشقة وعنت وتحتاج إلى مثابرة وقوة للتربية، كما هي مرتبطة بما بعدها من اقتحام العقبة ومشاق الجوع في يوم ذي مسغبة.

- قوله (أي<mark>حسب أن لن يقدر عليه أحد ` يقول أهلكت مالاً</mark> لبـــدا ` أيحسب أن لم يـــره أحد ` ألم نجعل له عيـــنين ` ولساناً وشفتين ` وهديناه النجدين `)

بعد قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبـد) وذكرنا أن من معـاني الكبد المشقة والشدّة والصلابة ثم قالٌ تعالى (أيحسب أن لن يقدرُ عليه أحد) هذا الحسبان موجه لمنٍ؟ قسم من المفسرين يقول هو موجّه للذي يستضعف المؤمنين (وأنت حلٌ بهذا البلد) بمعـني يحلل دمُك ويعذَّب جماعتِك، والـذي يفتن المؤمـنين ويعـذبهم. وقسم من المفسـَـرين قـال أنه الخطـاب ليس مقِصـوراً على هـذا الجنس بالـذات وإنما ِهو موجه للإنسـانِ عمومـاً فالإنسِـان الـذي خلقه الله تعالى مكابـدلًا للشِـدائد ِينبغي أِن يكـون قـادراً على تحمل الشـدائد فالذي خُلق صلباً شديداً مكابداً أيحسب أن لن يقدر عليه أحد وهذا الحسـباِن يكـون في نفـوس البشر لأن البشر يظنـون أن لن يقـدر عليهم أحد فيظِلم بعضـهم بعضا ويضــرب بعضـهم رقــاب بعض. فالبشر يرون أن لن يقدر عليهم أحد والذين يستضعفون المؤمنين يظنون أن لن يقدر عليهم أحـد. والله تعـالي سـبحانه ذكر في هـذه إلآية والآية التي بعدها أمـرين عظيمين يعتصم بهما الإنسـان ويعتقد أن لا أحد يتمكن منه وهذان الأمران هما المال والقـوة يعتصم بهما الإنسان ويرى أنهما أداتا الضغط والتسلط على الآخــرين. وقد جمع القـرآن الكـريم بين هـذين الأمـرين للدلالة على التسـلط كما في قوله تعالى: (همَّاز مشَّاء بنميم* منَّاع للخـير معتد أثيم* عتـلٌ بعد ذلك زنيم* أن كـان ذا مـال وبـنين) سـورة القلم آية 11 - 14. فالشعُوبُ المستعمِرة يجتمع لها عادة هـذين الأمـرين كما جـاء في قوله تعالى مخاطباً بني إسرائيل في سورة الإسـراء (ثم رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) آية 6. - قوله (**أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ` يقولَ أهلكت مالاً**

لبداً `) هذا الخطاب موجّه للإنسان عموماً الـذي خلقه الله تعـالي لإصـلاح

هذا الخطاب موجّه للإنسان عموماً الـذي خلقه الله تعـالى لإصـلاح الحياة.

أهلكت: تأتي بمعنى الإنفاق فما اللمسة البيانية في استخدام كلمة أهلكت بدل أنفقت؟ هذه هي الآية الوحيدة في القرآن كله التي استعمل فيها الإهلاك مع المال، عادة تأتي الإنفاق لكن اختيار كلمة أهلكت في هذه السورة مناسب لجو السورة ومناسب لما تقدمها ولما يعانيه الرسول [وأصحابه في لحظات الشدائد التي أدت إلى إهلاك بعضهم ومناسب للعقبة ومناسب ليوم ذي مسغبة لأن الـذين

لم يطعموا في ذلك اليوم أهلكوا ومناسب مع أصحاب المشئمة الدين أهلكوا ومناسب لكل إنفاق بغير وجه مناسب لأنه يعتبر إهلاكا للمال وليس إنفاقاً في الخير. إذن جو السورة هكذا في إهلاك المال بغير وجهه وكل السورة مشقة وإهلاك (الكبد، سلوك النجدين، اقتحام العقبة، المشئمة والمسغبة) فكان استخدام كلمة إهلاك أنسب وأفضل كلمة تؤدي المعنى المطلوب الذي يقتضيه جو السورة وسياق الآيات فيها.

كلمة لُـدا: لبد معناها الكثـير المُجتمِع. وفيها احتمـالان: قد تكـون مفرد صيغة مبالغة (صيغة فاعـل) مثل هُمز وخُطم أو جمع (لُبدة) مثل نقطة نقط. ليس معناها الكثير فقط لكن الكثير المجتمِع وهي مناسبة لاجتماع الكفرة على الرسول ☐ مثل قوله تعالى في سورة الجن (وأنه لما قام عبد الله يـدعوه كـادوا يكونـون عليه لُبدا) وهو مناسب للإهلاك وجو الإجتماع في أكثر من مـوطن في جو السـورة النطق، النجدين، تفسير العقبة بجملة أمور منها اجتماع الذين أمنوا على التواصي بـالحق والتواصي بالمرحمـة، واجتمـاع الكفـرة في النار وأوصـاد النار عليهم) لو قـال تعـالى (كثـيرا) لا يـؤدي المعـنى المطلوب لجو الإجتماع في السورة. الكثرة لا تنفي الإجتماع لـذلك المطلوب لجو الإجتماع في السورة. الكثرة لا تنفي الإجتماع لـذلك السورة. الكثرة الناحية البلاغية والفنية لجو السورة.

- قوله ِ (**أيحسبِ أن لم يره أحد**)

يقول أهلكت مالاً لبدا هذا الذي يـدّعي إهلاك المال أيحسب أن لم يـره أحد أنه أنفق المـال في أمـور لا يحبّ أن يطلع عليها الآخـرين وقد تكون في أمور سرّية؟ قال لم يـره أحد أي راقب الشـخص لم يقل أيحسب أن لم يعلم به أحد لكنه قــال يــره لأن الرؤية أهمّ وأخصّ من العلم وهناك فـرق بين العلم بالشـيء ورؤيته. فالرؤية هي الـتي تـدلّ على تفاصـيل الأمـور ومراقبتها لـذا فالرؤية أخصّ. ويره هنا من المراقبة لأن الله تعالى يـراقب ويعلم كل ما يقـوم به المخلوقات.

لماذا جاءت هنا (لم يره أحد) وسابقاً (لن يقدر عليه أحد): ألم يره أحد في هذا الإنفاق والمفروض أن هذا الحسبان والإدّعاء أنه فعل ماضي (ماضي فيما فعل وما ادّعى أنه فعـل) وتـأتي الآية فيما بعد (أيحسب ألن يقـــدر عليه أحـــد) بعد اســتكمال الأمــور أي في المسـتقبل بعد أن يغتّر بقوته واسـتكمال قوته أي تـأتي مسـتقبلاً

(أيحسب أن يعتصم بهذه الأمور وأيحسب أن هذه الأمور تنجيه) لذا جاء التعبير بالمضارع وهذا ما يقتضيه السِياق.

- قوله (ألم نجعل له عينين ` ولساناً وشفتين `)
أراد الله تعالى أن يدلل على قدرته وعلمه فقال تعالى: ألم يجعل
الله للإنسان عينين ليبصر بهما ، ألا يراه؟ هو سبحانه الذي أعطاه
ليبصر ألا يسراه؟! وهو سسبحانه السذي هسداه للطريق ألا يعلم ما
يفعل؟! ونلاحظ تناسب الكلمات: جاءت كلمة عينين وهما أداة
الرؤية مقابل قوله تعالى (أيحسب أن لم يسره أحد) وجاءت كلمة
لساناً وشفتين مقابل قوله تعالى (يقول أهلكت مالاً لبدا) واللسان
والشفتين هما أداة النطق. فكأنما سبحانه وتعالى جعل الدليل على

- قوله (**وهديناه النجدين** `)

النجد هو التعبير الوحيد المستعمل في القرآن فقد ورد في القـرآن كلمة السـبيل والصــراط والنجد يعــني الطريق المرتفــع. وأغلب المفسرين يقولون لا يكون إلا قفاً وصلابة في الأرض في ارتفاع مثل الجبل. وأغلب المفسرين قالوا أنه يعـنِي طريق الخـير وطريق الشـر. واختيـار كلمة النجد مناسب تمامــاً لجو الســورة فلم يقل هديناه السبيل لأن السبيل هو الطريق السهل الميسّر الواضح التي يكثر السير فيها، أما سلوك النجد ففيه مشقة وصعوبة ومناسب لجو الســـورة وما فيها من مشـــقة ومناسب للمكابـــدة في جو السورة. وسلوك النجد يحتاج إلى قوة وفيه شدّة وصعوبة ومناسب للكبد في السورة. إذن فالنجدين تتواءم مع السورة من حيث القوة والمشقة والمكابدة ومن معاني النجد: الثيري. وما عليه عامة المفسرين وعن الرسـول 🏻 (لا يكن نجد الشـرّ أحبّ إليكم من نجد الخير) وهذا الأقربـ إذا استخدمت الهداية مع النجـدين فهي تكـون بمعنى الدلالة علي الطريقين طريق الخير وطريق الشرّ (تبصرة للطريق فقـط) أي يرشـده إلى الطريـق، لأن الطريق قد تكـون مودية إلى الجحيم. إذن هي تبصـــرة للطريق فقط (كتب عله أنه من تولاه فأنه يُضله ويهديه إلى عذابِ السعير).

- قُوله (فلا اقتحم العقبة (وما أدراك ما العقبة) نظرة عامّة على هذه الآية هي بعد قوله تعالى نظرة عامّة على هذه الآيات: هذه الآية هي بعد قوله تعالى (وهديناه النجدين) والنجدين كما أسلفنا هو الطريق المرتفع في الأرض ثم قال بعدها (فلا اقتحم العقبة) والعقبة هي طريق في الجبل وعِر أو الجبل الطويل بعرض الطريق (طويل صعب شديد) هذا في العقبة أما الإقتحام فهو الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة

(والقحمة هي الشـدة والمهلكِـة) . فلو لاحظنا اختيـار العقبة مع اقتحم وبعد النجــدين لوجــدنا أن النجد وهو الطريق المرتفع يــؤدي إلى العقبة من حيث سلوك الطريق، والعقبة تقع عادة بعد النِجاد أو في المرتفعــات من الأرض إذنِ وضع العقبة بعد النجــدين ومع كلمة اقتحم هو وضع طـبيعي حـداً وهو من الناحية البلاغية البيانية الفنية ذروة البلاغة من حيث الإختيار. ثم إن الله تعالى فسّر العقبة بما يتبعها من آيات (فك رقبة، إطعام في يـوم ذي مسـغبة) فكلمة اقتحم هي من أنسب الألفاظ لهذا الوصف لأن الإقتحام يتناسب مع العقبة والشِّدة ولو قال اجتاز أو عبر مثلاً لما أعطى المعنى المطلـــوب واختيـــار كلمة اقتحم هو للدلالة على أن الأمر مخيف وشديد ومُهلك وليس سهلاً يسـيراً وليس من العقبـات الـتي تُجتـاز بسهولة ويسر وإنما تحتاج إلى اقتحام وفيها شدة وصعوبة. فلو لاحظنا (فلا اقتحم العقبة) ومن قبلها (وهـديناه النجـدين) لوجـدناها متناسِبة ومرتبطة بقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) وقد قلنا أن من معاني الكبد المشقة والقوة واقتحام العقبة فيه مشـقة وتعب ويحتاج إلى قـوة وفيها ارتباط بمعنـيي الكِبِد (المِشـقة والقــوة). (لقد خلقنا الإنســان في كبد يتناسب مع ما ســيأتي من آيات في تفصيل معنى العقبة من المشقات (فك رقبة، إطعـام في يوم ذي مسغبة).

لا: أية لا هذه وما حكمها؟ نظر المفسرون في (لا) هذه والمعروف في قواعد اللغة العربية أن (لا) إذا دخلت على الفعل الماضي ى تفيد النفي كما في الفعل المضارع. و(لا) لا تنفي الفعل الماضي إلا إذا كُررت مثل قوله تعالى (فلا صدّق ولا صلّى) ولا نقـول في اللغة لا ذهب بمعـنى لم يـذهب ولإنما يقـال ما ذهب للدلالة على نفي الفعل الماضي. الكن يبقى السـؤال هل (لا) في هـذه الآية نفي؟ قسم من للنفي. لكن يبقى السـؤال هل (لا) في هـذه الآية نفي؟ قسم من في أشعار العرب مع أنها على غير سنن العرب (وأيّ أمر سيء لا في أشعار العرب مع أنها على غير سنن العرب (وأيّ أمر سيء لا فض الله فاك أو يقال لا عافاك الله، لا ردّه الله سالماً وغيرها، وقد كون للـدعاء عليه بـأن لا يقتحم العقبة إذن اعتبروها ماله في غير وجه خـير دعا عليه بـأن لا يقتحم العقبة إذن اعتبروها قسم من المفسرين على أنها للدعاء وليس للنفي.

وقسم آخر رأوا أنها تفيد نفي الإستقبال: في العربية إذا كان الفعل الماشي يفيد الإسـتقبال يجـوز اسـتخدام (لا) ويجـوز نفيه بــ (لا)

كقولنا (والله لا فعلت ذلك أبداً) بمعنى لا افعله، فإذا كان الفعل للإستقبال يجوز أن تدخل عليه (لا) باعتبار الدلالة الزمنية (تالله لا عـذّبتهم بعـدها سـقر). فلا اقتحم العقبة تفيد إذن في هـذه الحالة نفي الإستقبال بمعنى لا يقتحم العقبة في المستقبل.

ومنهم من قــال إنها اســتفهام وقد حــذفت همــزة الإســتفهام (ألا اقتحم العقبة) وكأن هـذا الإسـتفهام للتـوبيخ على ما حصل وللحضّ على اقتحام العقبة. وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة حـذفت منها همزةِ الإستفهام (مثل قوله تعالى مرة في سورة الشِعرِاء: أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) وفي آية أخـرى (إن لنا لأجـراً)ـ وحـذف حرف الإستفهام خِاصة الهمزة كثير في الشعر والنثر عند العرب . وخُلاصة القـــُولُ أن (لا) في قوله تعـــالى (فلا اقتحم العقبـــة) قد جُمعت كل هذه المعاني التي ذكّرنا وفيها احتمـالات النفي والـدعاء والإستقبال والإستفهام وهذا ما يُسـمِّي في اللغة بـاب التُّوسُّـع في المعنى فكل المعاني مُرادة سواء كـان للصـنف أم للشـخص الـذي أهلك مالاً لُبدا لم يقتحم العقبة ولا يقتحمها في المستقبل ودعاء عليه بـأن لا يقتحمها إلا إذا أصـلِح حاله وتـوبيخ على أنِه لا يقتحمها فِقد جمعت ِ كل هذه المعاني معاً ولو جـاء بِـأي حـرف آخر مثل ٍ(ما أو لم) لما أمكن جمع كل هـذه المعـاني وأي حــرف آخر كـان أوّل إلى معنى النفي فقط ولكن (لا) جاءت بـأربع أو خمس معـاني كلها مقصودة.

<u>وما أدراك ما العقبة: لماذا التِكرار في كلمة العقبة؟</u>

التكــرار في اللغة مشــهور وله أغــراض قد يكــون منها التهويل والتعظيم والتحسّر والتفخيم والتحبيب. وفي هذه الآية جاء التكــرار للتفخيم والتعظيم لأمر العقبة وما سيفسرها فيما بعد وقد ورد التكرار كثيراً في القرآن الكـريم كما في قوله تعـالى (القارعة ما الحاقة ما الحاقة).

ما الحكمة من استخدم في القرآن صيغة الفعل الماضي في قوله (وما أدراك) وقد استخدم في القرآن صيغة الفعل المضارع كما في قوله تعالى (وما يديرك لعلّه يرّكى) وقوله (وما يدريك لعللّ الساعة). في القرآن كلّه أسلوب محدد إذا استعمل (يجريك) بصيغة المضارع لا يفصّل بعدها ولا يجيب على السؤال ويبقيه مبهما (وما يدريك لعلّه يرّكي) لم يأتي بعدها تفصيل أو إجابة وإنما بقي مبهما وإذا استعمل (أدراك) بصيغة الماضي يتبعها بالتفصيل كما في قوله تعالى (والسماء والطارق * وما أدراك ما الطارق * النجم الثاقب) وقوله (وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام النجم الثاقب) وقوله (وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام

في يوم ذي مسغبة) نلاحظ التفصيل بالجواب بعد أدراك. والقـرآن الكريم له خصوصيات في الإستعمال والتعبـير يختصّ بها عن قواعد اللغة العربية تماماً كما اختصّ كلمة العيون (لعيـون المـاء) والأعين (لأداة الإبصار) في القرآن كله وكذلك الصـوم (الإمتنـاع عن الكلام) والصيام (الإمتناع عن الطعام والشراب).

<u>لماذا تكرر لفظ العقبة في هذه السورة</u>؟ وقد ورد في سورة أخرى (فأمّه هاوية* وما أدراك ما هي* نار حاميـة) اسـتخدم

الضمير (هي) لمعنى الهاوية.

هناك قاعدة في اللغة العربية أن الإسم الظاهر أقوى من الكناية أو الضمير ولذلك فإن الضمير لا يؤكد الظاهر. معنى ذلك أن الأمر في سورة البلد أقوى من التكرار بالضمير (هي) في سورة القارعة فالسياق والموطن أقوى ولذا جاء بتكرار الإسم الظاهر وليس بالضمير. في سورة القارعة فسّر الهاوية بنار حامية وفي سورة الهمزة (كلا لينبذن في الحطمة * وما أدراك ما الحطمة * نار الله الموقدة * الـتي تطلع على الأفئدة * إنها عليهم مؤصدة * في عمد ممددة) هنا جاء بـ (نار الله) وفي القارعة (نار) فقط فوصف النار في سورة الهمزة غير الوصف في سورة القارعة لذا كرر كلمة (الحُطمة) كما في سـورة البلد كـر كلمة (العقبة) فالسـياق والموطن هو الذي يدعو إلى اختيار الظاهر على الضمير أو اختيار الضمير على الظاهر.

فك رَقَبِّة * أُو إطعام في يـوم ذي مسـغبة* يتيمـاً ذا مقربــة* أو

مسكيناً ذا متربة*

ما معنى فك رقبة؟ قال الله تعالى فيما سبق من الآيات (فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة) ثم بدأ يوضّح كيف تُقتحم العقبة فبدأ بقوله تعالى (فك رقبة) وهو تخليصها من الرِّق وغيره وليس المقصـــود بها تحرير الرقبة فقط (وقد ورد ذكرها في الكفارات بلفظ تحرير) وفي عصرنا الحالي ليس هناك رقيق ولا عتق رقاب بمعنى تحريرها من الرِّق. إذن فك رقبة تعني تخليصها من الرِّق كالغارم والمطلوب لأمر ما بمعنى التخليص من هذا الأمر، والفك لغة هو حلّ القيد والعتق يُسمى فك أيضاً. أما التحرير فهو خاص بالعتق أما الفك فهو أشمل لأي قيد وهذا مرتبط بقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) وكل هؤلاء المقيدين هم في كبد.

. وفكَّ الرقبة هي عقبة من عقبات المجتمع قديماً وحديثاً ومسـتقبلاً ويـدخل فيها مثلاً رقبة الشـعوب المستضـعفة ونصـرتهم وإغـاثتهم

وهذا يدخل في الرقبة وفي القيد، وهي دائمة مستمرة ما دامت البشرية فلا يمكن أن تأتي آية في القرآن ولا يكون لها تطبيق لكل زمان ومكان. حتى في المجتمع الواحد (الفرد للفرد والسلطة للشعب) يستذل الفرد غيره بشيء ما أو الحاكم يذل شعبه أو نحوه وهذه من العلاقات الكبيرة في المجتمعات ولذا بدأ بها وهي لا تختص بالعتق ولكنها تدخل فيها والفك مستمر لا ينقطع. أو إطعام في يوم ذي مسغبة.

<u>لَمَاذا استَخداُم كَلَمة (مسغبة) بدل سغب مثلاً أو جوع أو</u>

أُولاً هناك مسألتين لاستعمال كلمة مسغبة بـدل السـغب أو الجـوع أولهـا: أن <u>المسـغبة تعـني الجـوع العـام والجمـاعي</u> وليس للفـرد والسغب هو الجوع الفردي.

وتانياً أن المستقية هي الجوع العام مع التعب والإرهاق ولهذا خصص باستعمال (مسغبة) أما الجوع فلا يرافقه بالضرورة التعب والإرهاق، أما المخمصة فهي الجوع الذي يرافقه ضمور البطن. وهذه عقبة من عقبات المجتمع إنه في يلوم مجاعة مع التعب والإرهاق وهو اليوم الذي فيه الطعام عزيز وغير مبذول وهو دلالة على شدة الضيق والكرب كما قال بعض المفسرين، وهناك فرق بين الإنفاق في وقت الطعام فيه متوفر ويوم ذي مسغبة وهو ليس كأي يوم من الأيام. وهنا خصص القرآن في وصف العقبة واليوم واليتيم والمسكين فيما بعد.

لماذا استخدام لفظ (إطعام) وليس طعام مثلاً أو أن تطعموا؟ من الناحية اللغوية من الممكن القول: أن تطعموا، إطعام أو طعام الطعام تحتمل معنيين أولهما أن تكون بمعنى المصدر لفعل أطعم وهي تعيني عملية الأكل نفسها (فلينظر الإنسان إلى طعامه) (ولا تحاصون على طعام المسكين) وثانيها أن يكون هو الأكل نفسه. وكل آية ورد فيها لفظ (طعام) فيها احتمالين في المعنى (الطعام والإطعام) كما قال المفسرون وكلاهما مرادان في المعنى لكن في هذه السورة ومن سياق الآيات نلاحظ أن المرادة هنا معنى (إطعام) لأن اليوم ذي مسغبة والمقصود الأكل لأن الجوع مع التعب يُسبب إطعام.

أماً عدم استخدام (أن تطعمُ وا) لأن الفعل المضارع مع وجود إنّ يدل معناه على الحدوث مستقبلاً ولكن هذا المعنى لا يصح في الآية لأن المسغبة قائمة ويجب أن يكون الإطعام فوراً ولهذا

استخدمت الصيغة الإسمية.

- قوله (**يتيماً ذا مقربة * أو مسكيناً ذا متربة***)

مقربة : تعني القريب في النسب وفي الـرحم وتجتمع فيه الصـدقة وصـلة الـرحم فهو أولى وتختلف عن القرابة أو القُـربى في اللغـة. القرابة هي عامّة مثل القرابة في النسـب، أما القُـربى فقد تكـون في النسب وفي الـرحم كـالأخ والأخت والمقربة هي بينهما وهي أعمّ.

ما اللمسة البيانية في استخدام (أو) بدل حرف العطف (الواو)؟ إذا استخدم الواو فإنه يدل على أن اقتحام العقبة لا يتم إلا إذا اجتمعت كل هذه الأمور (إطعام اليتيم والمسكين وفك الرقبة) ولكن المقصود في الآيات أنه من فعل أحد هذه الأمور يقتحم العقبة وهو بحسب استطاعته فمن استطاع فك رقبة يكفيه ومن استطاع إطعام اليتيم أو المسكين يكفيه أيضاً وهذا من رحمة الله تعالى الواسعة بعباده. وهذا من باب التخيير فالإنسان يختار ما يستطيع بحسب إمكانياته وظروفه.

يتيماً مفعول به للمصدر إطعام.

<u>ما فائــدة تقــديم فك رقبة على إطعــام في يــوم ذي</u> مسغبة؟

أولاً المسكين ذو المتربة هو ليس أي مسكين أو المسكين بشكل عام. وفي الآيات: اليوم مخصص بأنه (ذو مسغبة) واليـتيم مخصص (ذو مقربة) وقد فرّق المفسرون بين الفقير والمسكين وقالوا أن الفقير هو من انكسر فقار ظهره من الحاجة وهو الذي لا يملك قوت يومه أما المسكين فهو الذي لديه عمل أو رزق لكن لا يكفي حاجته واستدلوا بـذلك على قوله تعالى في سورة الكهف في وصف أصحاب السفينة (وأما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) سمّاهم المساكين مع أنه كان لـديهم سفينة وكانوا يعلمون في البحر لكن مدخولها لا يكفيهم.

والمتربة : هو الفقر وهو من الــتراب بمعــنى التصق بــالتراب من فقره، إذن (مسكيناً ذا متربة) هو المسكين الفقير الذي لا مأوى له وهو مطروح على قارعة الطريق وهذا ليس من المساكين العاديين وإنما من خصـــوص المســاكين وهـــذا صــنف ما زلنا نــراه في المحتمعات.

أما سبب التقديم (فك رقبة) أولاً فهو إشارة إلى عظم الحرية في الإسلام إذا كان بمعنى الرِّق لأنه الأولى في الحياة التحرير بالنسبة للأفراد والشعوب في المجتمعات. وثانياً قد يكون الشخص مطلوب بدم أو بشيء آخر أو غارم فأولى شيء عنده أن تفك

170

رقبته وقد يكون هو الأحوج إلى الإطعام والفك من غِيره من الأيتام والمساكين لأنه إذا كان مطلوباً فإنه لن يكون قادراً على الخروج لطلب الطعام أو غيره فاليتيم ممكن أن يخــرج للبحث عن الطعــام وكذلك المسكين أما الغارم أو المطلوب فهو الأولى بذلك لـذا جـاءً ذكره أولاً وهو أوّل ما يُفكُ وهو أسبق من اليتيم والمسكين.

ثم اليــتيم بعد فك الرقبة لأنه في اليــوم ذي المســغبة واليــتيم هو الصغير دون سن البلوغ فإذا بلغ انتفت عنه صفة اليتم، هَذا الصغيرَ اليـتيم في مثل هـذا اليـوم ينبغي أن يُـراعى ويُتفقد فِي هـذا اليـوم العصيِب ذي مسِغبة وماذا سيأكل في هذا اليوم. ثمِ يأتي المسـكين وهو أكــبر ســنّاً من اليــتيم ويمكن أن يفعل شــيئاً للحصــول على الطعـــام بعكس اليـــتيم إذن فهي مرتبة بحسب الحاجة في ذلك الــوقت وهي مرتبة بحسب القلّة والكــثرة من القلّة إلى الكّــثرةِ (المطلوبين والغارمين قليلون في المجتمعـَـات َأما إذا كَـانوا رقيقـًاً فهم لم يعـودوا موجـودين أصـلاً) ثم الأيتـام أكـثر من الغـارمين والمطلوبين لكنهم أقل من المساكين لأن هؤلاء اليتامي سـيكبرون وتنتفي عنهم صفة اليتم، أما المساكين فهم الأكثر في المجتمعات. ما علاقة الآيات بما قبلها؟ الآيات مرتبطة بقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) فهؤلاء الغارمون والمطلوبون والمسـترَقّون واليتامي والمساكين كلهم مكابدون وكذلك مرتبطة بقوله تعالى (أهلكت مالاً لَبدا) كان ينبغي له أن يُنفق على هـؤلاء المساكين واليتامي والغارمين شـيئاً من ماله الـذي أهلكه في غـير وجه حـق، ومرتبطة بقوله (ثم كان من الذين أمنوا وتواصـوا بالصـبر وتواصـوا بالمرحمة) لأن فك الرقاب وإطعام المحتاجين من المرحمة وهؤلاء من أحوج الناس إلى الصبر أيضاً.

ثِم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتِواصـوا بالمرحمة * أولئك أصحاب الميمنة* والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشـئمة* عليهم

نار مؤصدة*

دلاًلة الآية: بعد أن ذكر تعالى الأصناف واقتحام العقبة ذكر (ثم كان من الذين آمنوا) لأِن الشرط الأساسي هو الإيمان وجاء بـ (ثم)ُ والمعِــروف في النحو أن (ثم) تفيدِ الــترتيب والــتراخي ولكن ليسُ دائماً فقد يكون من أشهر دلالاتها أنها لمجـرد تـرتيب الـذكر أحيانـاً يـؤخّر ما هو أولى مثـال قوله تعـالي (إن الـذين قـالوا ربنا الله ثم استقاموا) (فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد) قد تكون الـترتيب للأخبـار وليس للترتيب الزمـني (تـراخي رتبة الإيمـان عمّا قبلها لأنه لا ينفع شيء بدون إيمان، فالإيمان أنفع من فك رقبة وهو الأول وكل ما

ذُكر قبلاً لا تنفع في الآخــرة إلاّ إذا كــان مؤمنــاً. إذن الأســاس أن يكون من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة.

في غالبية آي القرآن الكريم يأتي ذكر الذين آمنوا مقرونا بـ (عملوا الصالحات) أما في هذه الآية لم يذكر (عملوا الصالحات) وهـذا لأنه سبحانه وتعالى قد ذكر الأعمال الصالحة فيما سـبق من الآيـات في السورة (فك رقبة، إطعام في يوم ذي مسغبة) فـذكر كل ما يتعلق بمكابدة المال وذكر العمل لذا كان معنى العمل واضح في الآيات.

ما اللمسة البيانية في تكرار فعل (تواصوا) في الآية؟ هناك ثلاثة احتمالات لهذه الجملة:

- 1.وتواصـوا بالصـبر وبالمرحمـة: بتكـرار حـرف الجر دون الفعل.
 - 2.وتواصوا بالصبر والمرحمة: بالعطف دون حرف جرّ.
- 3. تُواصواً بالصبر وتواصوا بالمرحمة: بتكرار الفعل وهي أقسوى التعبيرات لأن فيها توكيد لأهمية كل واحد من الصبر والمرحمة. فالتواصي بالصبر مهم بذاته والتواصي بالمرحمة مهم بذاته أيضاً وهذه السورة مبنية كلها على الصبر والمرحمة. والمرحمة هي ليست الرحمة فقط ولكنها عامة وهي أهم من الرحمة والسيورة كلها مبنية على الصبر والمرحمة.

الصير: (وأنت حـلُ بهـنا البلد) لما يلاقيه الرسول امن الأذى ، (ووالد وما ولد) لأن تربية الأولاد تحتاج إلى صبر طويل، وكذلك سلوك النجدين يحتاج إلى صبر واقتحام العقبة والرقبة المسترقة والغارم واليوم ذي المسغبة كله يحتاج إلى صبر طويل وكذلك البتيم والمسكين والذين آمنوا يحتاجون إلى الصبر على الطاعات

والصبر عن المعصية.

كُذلكُ المرحمة: (وأنت حلُ بهذا البلد) بمعناها (حلَّ) الأحرى أن يُعامل بالمرحمة وليس بالأذى وإذا كان بمعنى حلال فالرسول العلاقة قال يوم فتح مكة (اليوم يوم مرحمة)، (ووالد وما ولد) والعلاقة بينهما علاقة رحمة وبر، (أهلكت مالاً لبدا) الذي أهلك المال يحتاج إلى رحمة، الرقبة المسترقة واليوم ذي المستغبة واليتيم والمسكين والذين آمنوا ينبغي أن يتواصوا بالمرحمة (رحماء بينهم) فالسورة كلها مبنية على الصبر والمرحمة لذا ينبغي التواصي بالمرحمة.

ُذكر التواصي بالصبر أولاً ثم التواصي بالمرحمة لأنه تعالى قدّم في السورة ما يحتاج إلى الصبر من المكابدة والمشقة واقتحام العقبة

والنجدين وكلها يحتاج إلى صبر ثم إلى مرحمة (في إطعام اليتـامى والمساكين) هذا والله أعلم.

- ً قوله (**أُولئك أُصحاب الميمنة* والـذين كفـروا بآياتنا هم** أصحاب المشئمة * علهم نار مؤصدة*)

ما المقصود بالميمنة والمشَئمة؟ الميمنة احتمال أن تكون من اليُمن أي الخير والبركة، أو من اليمين أي الإتجاه اليمين أو من أصحاب اليمين الذين يُعطون صحائفهم بأيمانهم.

إذن <u>الميمنة لها ثلاثة دلالات:</u>

1.أصحاب جهة اليمين

2.الذين يُؤتون صحائفهم بأيمانهم

3.أصحاب اليُمن والخير والبركة لأنهم أفاضوا على أنفسهم (ليقتحموا العقبــة) وعلى غــيرهم (إطعـام اليتـامى والمساكِين وفك الرقبة).

والمشئمة أيضاً تحتمل ثلاثة دلالات هي:

1.أصحاب جهة الشمال (أصحاب النار الأشقياء)

2.الذين يُؤتون صحائفهم بشمالهم

3.من الشـَوْم وهو ضد اليُمن لأنهم كـانوا أصـحاب الشـوْم على أنفسهم (أهلكت مالاً لبـدا) وعلى غـيرهم (الـذين لا يقتحمـون العقبة ولا يطعمـون اليتـامى والمسـاكين ولا يفكون القراب ويسترقون النـاس ويسـتحلون حرمة البلد الحرام والرسول □).

إذن أصحاب الميمنة تختلف عن أصحاب اليمين لأنها أعمّ والميمنة جمعت عدة معاني وجاء في آخر الآيات ذكر اليُمن على غيرهم (فك رقبة، إطعام في يوم ذي مسغبة) فكان أولى أن يستخدم لفظ (الميمنة) بدل اليمين.

<u>ما اللمسة البيانية في اســـتخ</u>دام <u>(هم) مع أصـــ</u>حاب <u>المشــئمة دون أصــحاب الميمنة في قوله تعــالى: هم</u> أصحاب المشئ<u>مة؟</u>

قال (هم) مع الكفار أما أصحاب الميمنة لم يذكر معهم (هم) لأنه لو قال هم أصحاب الميمنة لكان أصحاب الميمنة حصراً على هؤلاء الذين ذكرهم في الآيات السابقة ولكن أصحاب الميمنة أكثر من هؤلاء . الذين يتواصون بالصبر ويتواصون بالمرحمة هؤلاء فقط أصحاب الميمنة وهذا غير صحيح لأن رأس الأمر الإيمان بالله وهؤلاء إذن من أصحاب الميمنة وليسوا أصحاب الميمنة حصراً فلا يصح القصر هنا أبداً بمعنى أن من عداهم ليسوا من أصحاب

173

الميمنة. (عدم القصر هو السبيل الصحيح الذي لا يصح غـيره هنـا). أما الــذين كفــروا هو أصــحاب المشــئمة حصــراً. هنا القصر في أصحاب المشئمة هو السبيل الصحيح الذي لا يصح غيرهـ

- قوله (**عليهم نار مؤصدة***)

مؤصدة معناها مطبقة من أوصد الباب بمعنى لا ضوء ولا مخرج ولا فرج فيها. فلماذا قدم الجار والمجرور؟ تقديم الجار والمجرور هو للقصر بمعنى أنها مؤصدة عليهم حصراً أما إذا أخّر الجار والمجرور فقد يُفهم المعنى على أن النار المؤصدة ليست محصورة بالكفار ولكنها قد تكون مؤصدة على غيرهم أيضاً إذن الآيات متفقة مع بعضها النار على هؤلاء الذين كفروا وأصحاب المشئمة النار مؤصدة عليهم حصراً فالقصر هو الذي يؤدي المعنى المطلوب.

<u>ورد في بعض القراءات لفظ (موصدة) فأيهما أصح؟</u>

كُلْتاً القراءتين متواترتين وكلتاهما من القراءات السبع الصحيحة وليس للقارئ أن يُرجِّح إنما له أن يختار فقد يختار موصدة أو مؤصدة ؛ مؤصدة وموصدة لغتان الفعل الأصلي (أصد وآصد مؤصدة) والآخر (وصد وأوصد موصدة ومنها الوصيد)، فمن كان لغته آصد اختار موصدة، وأنا شخصياً (والكلام للدكتور فاضل السامرائي) أختار لفظ (مؤصدة) بالهمزة لأنها مناسبة للحالة التي هم عليها فاليوم ثقيل وما هم فيه ثقيل حتى صوت الهمزة في (مؤصدة) وقعها ثقيل على السمع وهو أنسب مع جو المكابدة في السورة.

<u>في سـورة الهمـزة وصفَ تعـالَى بقوله (إنها عليهم مؤصـدة* في عمد ممـددة) وفي هـذه السـورة لم يعقّب على النـار يشـيء فما اللمسة البيانية في هذا؟</u>

لو لاحظنا المذكورين في سورة الهمزة نلاحظ أنه تعالى قد توسّع في ذكر صفات المعـذّب (ويل لكل همـزة لمـزة ، الـذي جمع مـالاً وعدده،...) وكما توسّع في الصـفات توسّع أيضاً في العـذاب (في عمد ممــددة) أما في ســورة البلد فلم يتوسع في ذكر صــفات المعذبين وإنما قال (والذين كفروا) هذا والله أعلم.

والأمر الآخر أنه في قوله تعالى (ويلُّ) بالرفع في أول السورة والأمر الآخر أنه في قوله تعالى (ويلُّ) بالرفع في أول السورة تدل على الهلاك التام الدائم ومناسب لقوله تعالى (في عمد ممددة) لأن ويل هي جملة إسمية (ويل: مبتدأ نكرة وخبره: لكل همزة لمزة ، وويل فيها معنى الدعاء وإذا كان فيها معنى الدعاء يصح أن تبدأ الجملة الإسمية بها مثل قوله تعالى سلام عليكم) ومن المعروف أن الجملة الإسمية تدلَّ على الثبوت فاقتضى هذا

الثبوت ثبوت الهلاك ودوامه (عليهم نار مؤصدة* في عمد ممددة) لا تفتح فيها الأبواب. ولو قال ويلاً لما ناسب سياق الآيات معنى العذاب والتوسع فيه (ويلاً: هي مفعول مطلق لفعل محذوف معناه ألزمه الله ويلاً). كما أن ويل: هو مصدر من المصادر التي أميتت أفعالها ومثلها: ويح، ويب، ويس، بمعنى أهلك. أما ويلاً: مفعول مطلق تقلديره أهلكه الله مثل قعد جلوساً أو ألزمه الله ويلاً مفعول به) والمشهور عند النحاة المعنى: أهلكه الله إهلاكاً وهو

السؤال الآن أيهما أقوى في اللغة، ويل أو ويلاً؟

لا يمكن القـول هنا أيهما أقـوى لأن البلاغة في القـرآن الكـريم هو مطابقة الكلام لمقتضى الحـال فأحياناً يقتضي الحـال اسـتخدام الجملة الإسـمية فسـتخدم للدلالة على الثبـوت وفي أحيـان أخـرى

يقتضي الحال إستخدام الجملة الفعلية فتستخدم.

الأمر الآخر في سورة الهمزة أن الله تعالى ذكر الكافر الـذي يجمع المال ويعدده ويحفظه فكما حفظ الكافر المال وجمعه وحسب أنه يُخلده ولم بنفع به الآخرين أغلق الله تعالى عليه أبـواب جَهنم (في عمد ممددة) وناسب هذا الإستيثاق في حفظ المال الإستيثاق في الخلـود في النـار. أما في سـورة البلد فلم يكن سـياق الكلام على هـذا النحو وإنما وصف الله تعـالي أن الكـافر أهلك المـال (أهلكت مالاً لُبدا). ثم إن في سورة الهمازة ذكر تعالى أن الكافر يحسب أن ماله أخلـده وهـذا الحسـبان قابله الحسـبان بحقيقة الخلـود في النار بأن أغلق عليه الأبواب وجعل النار عليه في عمد ممددة . وكذلك في سورة الهمزة وصف الله تعـالي الكـافر أنه يتعـدّي على الآخرين ويهملزهم ويلملزهم ويمنع خليره عنهم واللذي يتعلدي على الآخــرين ينبغي أن يُحبس والحبس يغلق عليه الأبــواب ويكــون في عمد ممددة ولم يُذكر هذا في سورة البلد واكتفى بالوصف (الــذين كفروا بآياتنا) ولم يذكر أنهم آعتـدوا على الآخـرين. والكفر درجـاتُ والعقوبة دركـات بحسب ما يفعله الكـافر فليس كل الكفّـار في عــذاب واحد وفي دركة واحــدة بــدليل قوله تعــالي (في الــدرك الأسفل من النار).

ثم إن المعلقين في سورة الهمازة كفّار وزيادة فهم كافرون، يتعدون على الآخرين، يجمعون الأموال، يحسبون أن مالهم يخلّدهم وهنذا كله لم يُنذكر في سورة البلد ولهنذا ناسب الإستيثاق في الحبس والجعل في عمد ممددة للكفار في سورة الهمزة.

<u>لماذا لم يُذكر جزاء المؤمنين في السـورة كما ذكر جـزاًء</u> الكفار؟

قال تعالى في السورة (لقد خلقنا الإنسان في كبد) والكبد كما قلنا سابقاً هو المشقة والمعاناة ولا يناسب جو السورة ذكر الجزاء وإنما ذكر الإشارة إلى المؤمنين أنهم أصحاب الميمنة. والسورة كلها في المشاق والمتاعب فلم يناسب ذكر الجزاء للمؤمنين مع كل ما في السورة من مشقة وتعب وسلوك النجدين واقتحام العقبة واليوم ذي مسغبة والكبد هذا والله أعلم.

لمسات يبانية في سورة الضحى

والشَّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2)

مًا هي دلالة الَّقبِسُمَ في قولِه تعالى (والضحى)

يذكر أهل التفسير أن الوحي أبطاً على رسول الله الياما فشق ذلك عليه وقيل له: إن ربك قلاك ، فأنزل الله تعالى هذه السورة رداً على المشركين وإكراماً للرسول ان فلماذا حزن الرسول الكريم وجزع لانقطاع الوحي مع ما يلقاه في سبيل الوحي من العنت والجهد؟ في الحقيقة انه اختبار من الله تعالى للرسول الكريم: هل هو حريص على الوحي وما فيه من مشقة أم انه سيرتاح من هذا الوحي الثقيل؟ وهذا فيه توجيه إلى الدعاة أنه عليهم أن يصبروا ويثبتوا في الدعوة مهما لاقوا من مشقة وعنت في سبيل الدعوة إلى الد

الضحى في اللغة : هو وقت ارتفاع الشمس بعد الشروق **سجى** في اللغة : لها ثلاث معـاني ، فهي بمعـنى سـكن، أو اشـتد ظلامه أو غطى مثل تسجية الميت.

أقسم الله تعالى بالضحى والليل إذا سـجى انه ما ودع رسـوله وما قلاه، والضحى هنا يمثل نور الوحي وإشراقه كما قال المفسـرون ، والليل يمثل انقطاع الـوحي وسـكونه والـدنيا من غـير نـور الـوحي ظلام ولذلك قدم سبحانه الضحى هنا لأنه ما سـبق من نـور الـوحي وأخر الليل لما يمثل من انقطاع الوحي. وقال بعض المفسـرين أن القسم يشـير أن الانقطـاع يمثل الاسـتجمام والسـكون كما يرتـاح الشخص المتعب في الليل ومن معـاني سـجى السـكون وهو يمثل

الراحة وهو نعمـة. فالقسم هنا جـاء لما تسـتدعيه الحالة الـتي هو فيها.

ماً اللمسة البيانية في كلمة (سجى) وليست في كلمــتي

غشي او پسر ؟

كما في قوله (والليل إذا يغشى) (والليل إذا يسر) سبق القول أن من معاني سجى: سكن وهذا يمثل سكون الوحي وانقطاعه وهذا هو السكون، والانقطاع ظلمة وهذا المعنى الثاني لسجى فكلمة سجى جمعت المعاني كلها التي تدل على انقطاع الوحي وسكونه. أما كلمة يغشى أو يسر فهما تدلان على الحركة وهذا يناقض المعنى للقسم في هذه السورة. وعليه فان القسم (والضحى والليل إذا سجى) هو انسب قسم للحالة التي هو فيها من نور الوحي وانقطاعه وكل قسم في القرآن له علاقة بالمقسم به.

ماً الْحَكُم البياني في أسـتخداًم كلمة (والضـحي) بـدل

<u>والفجر او النهار؟</u>

الضحى هو وقت إشراق الشمس أما النهار فهو كل الوقت من أول النهار إلى آخره ، والضحى يمثل وقت ابتداء حركة الناس يقابله الليل إذا سجى وهو وقت السكون والراحة. والفجر هو أول دخول وقت الفجر (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأبيض من الخيط الأبيض من الخيط الأبيض من الخيط الأبيض الخيط الأسود من الفجر) ولا يكون هناك ضوء بعد أو نور كوقت الضحى بعد شروق الشمس.

- قوله (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)

<u>أين مفعول الفعل قلى؟</u>

في هــذه الآية الكريمة ذكر مفعــول الفعل ودع وهو (الكــاف في ودعك) وحذف مفعول الفعل قلى (ولم يقل قلاك)

في اللغة عند العرب التوديع عادة يكون بين المتحابين والأصحاب فقط ويكون عند فراق الأشخاص. اختلف النحاة في سبب ذكر مفعول فعل التوديع وحذف مفعول فعل قلى منهم من قال لظهور المراد بمعنى أن الخطاب واضح من الآيات انه لرسول الله □ ومنهم من قال إنها مراعاة لفواصل الآيات في السورة (الضحى، سبجى، قلى، الأولى،...) لكن القران العظيم لا يفعل ذلك لفواصل الآيات وحدها على حساب المعنى أبداً ولا يتعارض المعنى مع الفاصلة والمقام في القرآن كله. فلماذا إذن هذا الحذف والذكر؟

الَّذكر من باب التكريم والحذف من باب التكريم أيضـاً. لم يقل الله تعالى قلا الله تعالى الله تعالى الله تعالى قلا

يقال للذي نحب ونجل ما أهنتك ولا شتمتك إنما من باب أدب المخاطبة يقال ما أهنت وما شتمت فيحذف المفعول به إكراماً للشخص المخاطب وتقديرا لمنزلته وترفع عن ذكر ما يشينه ولوكان بالنفى.

أما التوديع فالذكر فيه تكريم للمخاطب فيحسن ذكر المفعول مع أفعال التكريم وحذفه مع أفعال السوء ولو بالنفي. وهكذا يوجه الله تعالى المسلمين لأدب الكلام ويعلمنا كيف نخاطب الذين نجلهم ونحترمهم. ولقد جمعت هذه الآية التكريم للرسول من ربه مرتين ميرة بخكر المفعول مع فعل التوديع ومرة بحذف المفعول مع الفعل قلى.

فلماذا قال تعالى " ربك " ولم يقل " الله " ؟

هنا تكريم آخر من الله تعالى لرسوله الكريم. فالرب هو المربي والموجه والقيم. وذكر الفاعل وهو السرب إكسرام آخر فلم يقل لم تودع ولم تقلى. والرب هو القيم على الأمر فكيف يودعك وهو ربك لا يمكن أن يودع السيء لا يودعه ولا يتركه وإنما يرعاه ويحسرص عليه. واختيار كلمة الرب بدل كلمة الله لأن لفظ الجلالة الله كلمة عامة للناس جميعا ولكن كلمة السرب لها خصوصية وهذا يحمل التطمين للرسول الكريم من ربه الذي يرعاه ولا يمكن أن يودعه أو يتركه أبداً.

- قُوله (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرُ لَّكَ مِنَ الْأُولَى)

اختلف المفسرون في معنى كلّمة **الآخرة** فمنهم من قال: إنها ما هو غير الدنيا بمعنى الـدار الآخـرةـ وقسم قـال انها كل ما يسـتقبلـ من الحيـاة على العمـوم كما جـاء في قوله تعـالى (فـإذا جـاء وعد الآخرة هنا ليست في القيامة

الآخرة في سورة الضحى جاءت مقابل الأولى ولم تأت مقابل الاخرة في سورة الضحى جاءت مقابل الأولى ولم تأت مقابل الدنيا فلم يقل وللآخرة خير لك من الدنيا. ومعنى الآبة أن ما يأتي خير لك أيها الرسول مما مضى ؛ أي من الآن فصاعداً فيما يستقبل من عميرك هو خيير لك من الأولى وأكد ذلك باللام في كلمة وللآخرة. وقد حصل هذا بالفعل فكل ما استقبل من حياته الخير له مما حصل .

فلماذا لم يقل خير لك من الدنيا؟

لأنه لو قالها لما صحت إلا في الآخرة فكأنما حصر الخير في الآخرة فقط ونفى حصـول الخـير فيما يسـتقبل من حياته [وهـذه الآية توكيد لما سبقها في قوله تعالى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى.

<u>ولماذا قال تعالى (لـك) ولم يقل وللآخرة خـير من</u>

هــذه الســورة وســورة الشــرح هما خاصــتان بالرســول 🛘 وهو المخاطب المِّبَاشرَ بهماً ولو قال تَعالى : "وللآخرة خـيّر منّ الأولَّى لما صح هـذا القـول لأنه سـيكون عامـاً للنـاس جميعـاً وهـذا ما لا يحصل وعندها ستفيد الإطلاق ولا يصح على عمومه لان بعض الناس آخرتهم شر لهم من أولاهم ولا يصح هـذا الكلام على إطلاقه إنما لاً بد من أن يخصص المعـنى وهو للرسـول الكـريم 🛘 بالـذات ولهذا قال تعالى (وللآخرة خبر لك من الأولى) - قوله (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)

<u>ما هي علاقة هذه الآية بما سبقها من الآيات؟</u>

سوف دالة على الاستقبال وقد سبق أن قال تعالى (ولِلآخـرِة خـير لك من الأولى) وهي تدل أيضاً على الاسـتقبال وجـاء َأيضـاً بـاللامَ في (**ولسوف**) وأكده بنفس التوكيد باللام في (**وللآخرة**)

<u>ولماذا لم يحدد العطاء بشيء ما وإنما قال ولسوف</u> يعطيك ربك فترضى؟

لقد أطلق سبحانه العطـاء ولم يحـددم ِإنما شـمل هـذا العطـاء كلِ شيء ولم يخصصه بشيء معين إكراماً للرسول الكريم 🛘 وتوسيعاً للعطاء وكذلك أطلق فعل الرضَى كما أطلق العطاء فَجعلَ العَطاء عاماً وجعل الرضى عاماً وذكر المعطى أيضاً وهو الـرب وعلينا أن نتخيل كيف يكون عطاء الـرب؟ والعطـاء على قـدر المعطي وهـذا كله فيه تكريم للرسول كذلك في إضافة ضمير الخطاب " الكاف " في (ربك) تكريم آخر للرسول 🛮

لماذا اختيار كلمة (فترضي) ؟

اختيار هـذه الكلمة بالـذات في غاية الأهمية ؛ فالرضي هو من أجل النعم على الإنسان وهو أسـاس الاسـتقرار والطمأنينة وراحة البـال ف_إن فقد الرضى حلت الهم_وم والش_قاء ودواعي النكد على الإنسان. وان فقد في جانب من جوانب الحياة فِقد استقراره بقـدر ذلك الجانب ولذا جعل الله تعالى الرضى صفة أهل الجنة (فهو في عيشة راضية) (فارجعي إلى ربك راضية مرضية). وعدم الرضي يؤدي إلى الضغط النفسي والياس وقد يـؤدي إلى الانتحـار. والتعب مع الرضى راحة والراحة من دونه نكد وتعب، والفقر مع الرضى غنى والغنى من دونه فقر، والحرمان معه عطاء والعطـاء من دونه حرمان. لذا فان اختيار الرضى هو اختيار نعمة من اجل النعم ولها دلالتها في الحيــاة عامة وليست خاصة بالرســول الكــريم 🛘 فــإذا

رضي الإنسان ارتاح وهدأ باله وسكن وان لم يـرض حل معه التعب والنكد والهمـــــوم والقلق مع كل ما أوتي من وســــائل الراحة والاستقرار.

لماذا قال يعطيك ولم يقل يؤتيك؟

الإيتاء يكون لأمور مادية وغيرها (الملك، الحكمة، الذكر) أما العطاء فهو خاص بالمادة. والإيتاء أوسع من العطاء واعم والعطاء مخصص للمال. والإيتاء قد يشمله النزع والعطاء لا يشمله النزع. (آتيناه آياتنا فانسلخ منها) (يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء) وقد لا يستوجب الإيتاء لشخص ما أن يتصرف بما أوتي ، أما العطاء فلصاحبه حرية التصرف فيه بالوهب والمنح ولذا قال تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) لأن الكوثر أصبح ملكاً للرسول [وكما قال الله تعالى لسيدنا سليمان [(هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب) أي له الحق بالتصرف فيه كما يشاء.

- قولهُ (أَلُمْ يَجِدْكَ يَتِيماً ۖ فَآوَى (6) ۖ وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَـدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (8))

هذه الآيات مرتبطة بالآيات السابقة (ما ودعك ربك وما قلى) (وللآخرة خير لك من الأولى) ومرتبطة أيضاً بالقسم في أول السورة (والضحى والليل إذا سجى) والآية (ألم يجدك يتيماً فآوى) تؤكد أن ربه لم يودعه ولم يقله وكذلك في (وجدك ضالاً فهدى) وهي كلها تصب في (وللآخرة خير لك من الأولى) فالإيواء خير من اليتم ؛ والهداية خير من الضلالة ؛ والاغناء خير من العيلة فكلها مرتبطة بالآية (ما ودعك ربك وما قلى) وتؤكد معناها.

(وللآخرة خير لك من الأولى) فالله تعالى لم يترك رسوله اليتمه أو لحاجته أو للضلال هذا من ناحية ؛ ومن ناحية أخرى هي مرتبطة بالقسم فقد اقسم الله تعالى بالضحى والليل وما سجى ؛ واليتم ظلمة والإيواء هو النور وكذلك الضلال ظلمة والهدى نور (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور النور النور ولهذي النامات) سورة البقرة، والحاجة والعيلة ظلمة أيضاً والغنى نور وبهجة.

وي هذه الآيات بدأ سبحانه وتعالى بالظلمة ثم النور (اليتم ثم الايواء، الضلال ثم الهدى، العيلة ثم الغنى وهذا ليناسب ويتوافق مع قوله تعالى (وللآخرة خير لك من الأولى) والأولى هي الظلمة أما الآخرة فهي النور وهي خير له من الأولى.

لماذا لم يقسم سبحانه بالليل إذا سجى أولاً ثم الضحى؟ الضحى هو نور الوحي وكان السكون بعد الوحي وكان القسم على اثر انقطاع الوحي فانقطاع الوحي هو الذي تأخر وليس العكس لذا جاء قسم الضحى أولاً ثم الليل.

لماذا تكررت كلمة ربك في هذه السورة؟

الـرب معناه انه هو المعلم والمـربي والمرشد والقيم وكل آيات السورة مرتبطة بكلمة الرب (ألم يجدك يتيماً فآوى....) اليتيم يحتاج لمن يقوم بأمره ويرعاه ويعلمه ويوجهه ويصلح حاله وهذه من مهام الرب واليتيم يحتاج هذه الصفات في الـرب أولاً ثم إن الضال يحتاج لمن يهديه والرب هو الهادي والعائل أيضاً يحتاج لمن يقـوم على أمـره ويصـلجه ويرزقه فكلمة الـرب تناسب كل هـذه الأشياء وترتبط بها ارتباطاً أساسياً ، وكثيراً ما ارتبطت الهداية في القـرآن الكـريم بكلمة الـرب (رينا الـذي أعطى كل شيء خلقه ثم الصراط المستقيم) (الحمد لله رب العـالمين...ـاهـدنا الصراط المستقيم)

<u>لماذاً حذف المفعول للأفعال: فـآوى ، فـأغنى ، فهـدى</u> مثلما حذف فى فعل قلى؟

ذكر المفسرون هنا عـدة آراء منها : أن الحـذف هو لظهـور المـراد لأنه تعالى كان يخاطب الرسول 🏿 والمعنى واضح ، وقسم قال إنها مراعاة لفواصل الآيات حتى لا يقـال آواك وأغنـاك وهـداك فتختلف عن فواصل باقي الآيات ولكن كما سبق أنفاً قلنِا إن القرآن الكريم لا يراعي الفاصلة على حساب المعنى مطلقاً وهي قاعدة عامة في القرآن: المعـنى أولاً ثم الفاصـلة القرآنية ومثـّالٌ ذلك الآية في سـورة طه (**إلهكم واله موسى فنسي**) وكـانت الفاصـلة في باقي السورة مختلفة وعليه فان الحذف هنا جاء للإطلاق والدلالة على سعة الكرم. فـآوي بمعـني فـآواك وآوي لك وآوي بك وأغنـاك وأغنى لك وأغنى بك وهداك وهدى لك وهدى بك ، فلو قال سبحانه وتعالى فوجدك عائلا فأغناك لكان الغنى محصوراً بالرسول 🛮 فقط لكن عنـدما أفـاد الإطلاق دل ذلك على انه سـبحانه أغـنِي رسـوله وأُغْنِي به وبتِعليماته فيما خص الإنفاق وغيره خلقاً كثيراً وأغـني له خلقـاً کثـیراً وکـذلك آوی الرسـول 🏿 وآوی به خلقا کثـیراً بتعالیمه الكثيرين وتعاليمه كانت تحض على رعاية اليتامى وحسن معاملتهم واللطف بهُم وآوى لأجله الكثير من الناس لان من الناس من يؤوى اليتامي حبا برسول الله وطمعا في صحبة الرسول 🛘 في الجنة كما ورد في الحديث: أنا وكافل اليـتيم كهـاتين وأشـار إلى إصـبعيه.

وكذلك بالنسبة للهداية فالله تعالى هدى رسوله الكريم وهدى له خلقاً كثيراً (وانك لتهدي إلى صراط مستقيم) وهدى له ولأجله من أراد سبحانه وتعالى ، إذن خلاصة القول أن الحذف هنا جاء لظهور المراد وفواصل الآيات وسعة الإطلاق كلها مجتمعة لا يتعارض احدها مع الآخر. وكذلك تناسب سعة الإطلاق هنا قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى). فالحذف هنا جاء للعموم والإطلاق في المعنى.

<u>لمـاذًا ٰ تـَـرِتيبُ الآيـاتِ عِلَى هـذا النحـو</u>؟ أَلَمْ يَجِـدْكَ بَتِيمـاً فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (8)

هذا هو الترتيب الطبيعي في الحياة. اليتم يقال لمن فقد والديه أو احدهما وهو دون سن البلوغ فإذا بلغ انتفت عنه صفة اليتم ، وإذا بلغ دخل في سن التكليف الشرعي فهو يحتاج إلى الهداية ليتعلم كيف يسير في الحياة قبل أن يكون فقيراً أو غنياً وكيف يجمع المال الحلال لأن كل مال جمع من غير طريق الهداية هو سحت ثم تأتي العيلة وهي أمر آخر بعد البلوغ ؛ من الناس من يكون فقيراً أو غنياً وعلى الاثنين أن يسيرا وفق التعاليم التي تعلماها بعد البلوغ غنياً وعلى الاثنين أن يسيرا وفق التعاليم التي تعلماها بعد البلوغ الطبيعي في الحياة للدائة فقد بدأ سبحانه بالحالة الأولى (اليتم) ثم النا بلغ تأتي الهداية في المرتبة الثانية ، وثالثاً العائل والغني يجب أن يسيرا على الهداية.

- قوله (فَأَمَّا الْيْتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَـرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)

القهر في اللغة: هو التسلط بما يؤذي ولا تقهره بمعنى لا تظلمه بتضييع حقه ولا تتسلط عليه أو لا تحتقره أو تغلب على ماله ،كل هذه المعانى تدخل تحت كلمة القهر.

السائل اختلف المفسرون فيها فقال بعضهم: هو سائل المال والمعروف والصدقة ومنهم من قال: انه سائل العلم والدين والمعرفة وقسم قال انه مطلق ويشمل المعنيين ، فسواء كان السائل سائل مال وصدقة أو سائل علم ومعرفة يجب أن لا ينهر مهما كان سؤاله. لا يصح أن يزجز أو ينهر سائل المال أو سائل العلم والدين . إذا كان سائل مال أعطيناه أو رددناه بالحسنى وسائل العلم علينا أن نجيبه ونعلمه أمور الدين.

أما **النعمة** فقــال بعض المفســرين إنها النبــوة وتعاليمها وقــال آخرون إنها كل ما أصاب الإنسان من خير سـواء كـان في الـدنيا أو

الآخرة وقال آخرون إنها نعمة الدين (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) (ما أنت ينعمة ربك بمجنون) والواقع أن النعمة هنا أيضاً تشمل كل هذه المعاني فهي نعمة الدين يجب أن يتحدث بها ويبلغ عنها وهي نعمة الدنيا والله سبحانه يحب أن يرى اثر نعمته على عباده وان يتحدث الإنسان بنعم الله عليه وان يظهرها والنعمة عامة في الدنيا والدين وعلى الإنسان أن يحدث بهذه النعمة. (النعمة بفتح النون وردت في القرآن بمعنى العقوبات والسوء كما في قوله (ونعمة كانوا في القرآن بمعنى العقوبات والسوء كما في قوله (ونعمة كانوا في القرآن بمعنى الكافرين أولي النعمة)

لماذا اختيار كلمة (فحدث) ولم يقل (فأخبر)؟

الإخبار لا يقتضي التكرار يكفي أن تقول الخبر مرة واحدة فيكون إخباراً أما التحديث فهو يقتضي التكرار والإشاعة أكثر من مرة، وفي سياق الآية يجب أن يتكرر الحديث عن الدعوة إلى الله مرات عديدة ولا يكفي قوله مرة واحدة. ولهذا سمى الله تعالى القرآن حديثا (فليأتوا بحديث مثله). فمعنى (فحدث) في هذه الآية هو المداومة على التبليغ وتكرارها وليس الإخبار فقط فيمكن أن يتم الإخبار مرة واحدة وينتهي الأمر.

وفي تسلسل الأحاديث في كتب السنة نلاحظ أنهم يقولون: حدثنا فلان عن فلان ويكررون ذلك مرة أو مرات عديدة حتى يصلوا إلى أخبرنا رسول الله [] فالرسول الكريم يخبر بالحديث ثم يتناقله الصحابة فيما بينهم ويستمر تناقل الحديث حتى يعم وينتشر.

لماذا جاء ترتيب الآيات على هذا النحو؟ (فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث).

أثار هذا الترتيب الكثير من الأسئلة عند المفسرين لماذا رتبت الآيات على هذه الصورة لأنه لا يرد بنفس تسلسل الآيات السابقة (الم يجدك يتيما فآوى، ووجدك ضالا فهدى، ووجدك ما الآيات السابقة ماذاً خَلَف ما الله عنه الله المناطقة المناطق

عائلاً فأغنى). انستورة الآرات

لنستعرض الآيات واحدة واحدة : أما اليـتيم فلا تقهر جـاءت بنفس تسلسل الآية (ألم يجدك يتيما فآوى) نفس النسق.

, أما السائل فلا تنهر كان من المفروض أن تاتي مقابلة للآية (ووجدك عائلا فأغنى) لكنها جاءت في مقابل الآية (ووجدك ضالاً فهدى)

(وأما بنعمة ربك فحدث)، كان يجب أن تقدم باعتبار النعمة دين ويجب أن تكون مقابل (ووجدك ضالاً فهدى)

لكن الواقع أن تـرتيب الآيـات كما ورد في السـورة هو الـترتيب الأمثـل، كيـف؟ اليـتيم ذكر أولا مقابل اليـتيم ، ثم ذكر (وأما السائل فلا تنهر) قلنا سـابقا أن السـائل يشـمل سـائل العلم والمال وهنا اخذ بعين الاعتبار السائل عن المال والسائل عن العلم فهي إذن تكون مقابل (ووجدك ضالاً فهدى) وأيضـاً (ووجدك عائلا فأغنى) لان السائل عن المال يجب أن لا ينهر والسائل عن العلم يجب أن لا ينهر أيضـاً وعليه فـان الآية جـاءت في المكـان المناسب لتشمل الحالتين ومرتبطة بالاثنين تماما.

(وأما بنعمة ربك فحدث) ، هي في انسب ترتيب لها فان كان المقصود بالنعمة كل ما أصاب الإنسان من خير في الدنيا فلا يمكن أن نتحــدث عن النعمة إلا بعد وقوعها وليس قبل ذلــك. والآيــات السـابقة تـذكر نعم الله على الرسـول فاقتضى السـياق أن يكـون التحدث بالنعمة آخراً أي بعد حدوث كل النعم على الرسول □.

وإذا كان المقصود بالنعمة الدين، فيجب أن يكون التحديث في المرحلة الأخيرة لأن على الداعية أن يتحلى بالخلق الكريم وفيه إشارة أن الإنسان إذا أتاه سائل عليه أن يتصف بهذه الصفات قبل أن يبلغ الناس عن النعمة (الدين) فعليه أن لا يقهر يتيماً ولا ينهر سائلاً ولا يبرد عائلاً وقد جاءت هذه الآية بعد إسباغ النعم وهو توجيه للدعاة قبل أن يتحدثوا أن يكونوا هينين لينين فقد قال تعالى (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) فعلى الداعية أن يتحلى بالخلق الحسن ولا ينهر سائلاً.

وكذلك جعل التحديث بالنعمة (وأما بنعمة ربك فحدث) جاءت بعد (وأما السائل فلا تنهر) لان كل داعية يتعرض لأسئلة محرجة أحيانا تكون لغاية الفهم وقد تكون لنوايا مختلفة فعليه أن يتسع صدره للسائل مهما كانت نية السائل أو قصده من السؤال وعلى الداعية أن لا يستثار وإلا فشل في دعوته وقد يكون هذا هو قصد السائل أصلاً

من الدروس المستفادة من هذه السورة إضافة إلى ما سبق انه يحسن للإنسان تذكر أيام العسر والضيق لأنه مدعاة للشكر ومدعاة لمعاونة المبتلى أيضاً لذا يجب التذكير بالماضي وما يتقلب فيه المرء من نعم ليشكر الله تعالى عليها مهما كان في ماضيه من أذى أو حرج أو ضيق فلا بأس أن يتذكر أو يذكر به حتى يشكر الله تعالى على نعمه فيكون من الشاكرين لله تعالى.

لمسات بيانية في سورة التين وَالنِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3)

ابتدأت السورة بالقسم بالتين والزيتون. والتين والزيتون قد يكون قصد بهما الشجران المعروفان، وقد ذكر المفسرون لاختيار هذين الشجرين للقسم بهما أسباباً عدة فقد ذكروا أنه أقسم بنوعين من الشجر ، نوع ثمره ليس فيه عجم ونوع فيه عجم، وأنه ورد في الأثر أن التين من شجر الجنة فقد روي أنه أهدي لرسول الله الطبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه: "كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم ". وقد ذكر أن أدم خصف من ورقه ليستر عورته حين انكشفت في الجنة.

وأما الزيتون فإنه شجرة مباركة كما جاء في التنزيل العزيز.

وقد ذكروا أموراً أخرى لا داعي لسردها هاهنا .

ولا ندري هل لبدء السورة بالقسم بالشجر الذي يـذكر أن له أصلاً في الجنة أعني التين له علاقة بعدد آيات هـذه السـورة أو لا؟ فـإن عدد آيات هذه السـورة أو لا؟ فـإن عدد آيات هذه السورة ثمانية وهن بعدد أبوبا الجنة. وقد يكـون هـذا القول خرصاً محضاً وأنا أميل إلى ذلك، ولكنا قد وجـدنا شيئاً من أنواع هذه العلاقات في القرآن. فقد تكرر كما سـبق أن ذكرنا قوله تعـالى (فَبِـاًيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَـذَّبَانِ) الـرحمن)، عند الكلام في وصف الجنة ثماني مرات بعدد أبواب الجنة، وحصل هذا مـرتين في السـورة، وتكـرر في الوعيد سبع مـرات بعـدد أبـواب جهنم (انظر ملاك التأويل) ابتـداء من قوله (سَـنَعْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّقَلانِ (31) الـرحمن). وقـالوا إن سـورة القـدر ثلاثـون كلمة بعـدد أيـام شـهر الـرحمن). وقـالوا إن سـورة القـدر ثلاثـون كلمة بعـدد أيـام شـهر رمضان وإن قوله (هي) في قوله تعالى (سَلَامُ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ أَلْعَجْرِ (5) القدر) هي الكلمة السابعة والعشرون وهي إشـارة إلى أن هذه الليلة هي الليلة إلسابعة والعشرون من رمضان.

وعلى أي حال فإن كثيراً من هذه العلاقات ربماً كانت موافقات

والله أعلم.

وقيــل: إن المقصــود بــالتين والزيتــون جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانة طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون. (التفسير الكبير 32/9، روح المعاني 30/174).

والعلاقة بين التين والزيتون وما بعدهما ليست ظاهرة على هـذا إلا بتكلف. وقيـل: "هـذه محـال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبيـاً مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار فالأول: محله الـتين والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم والثاني: طور سنين وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران []، والثالث: مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كـان آمنـا، وهو الذي أرسل فيه محمِداً [] (تفسير ابن كثير 4/526).

وجاء في (التبيان في أقسام القرآن): " فأقسم سبحانه بهذه الأمكنة الثلاثة العظيمة التي هي مظاهر أنبيائه ورسله، أصحاب الشرائع العظام والأمم الكثيرة. فالتين والزيتون المراد به نفس الشجرتين المعروفتين ومنبتهما وهو أرض بيته المقدس... وهو مظهر عبد الله ورسوله وكلمته وروحه عيسى بن مريم. كما أن طور سنين مظهر عبده ورسوله وكليمه موسى، فإنه الجبل الذي كلمه عليه وناجاه وأرسله إلى فرعون وقومه.

ثم أقسم بالبد الأمين وهو مكة مظهر خاتم أنبيائه ورسله سيد ولد آدم. وترقى في هذا القسم من الفاضل إلى الأفضل، فبدأ بموضع مظهر المسيح، ثم ثنى بموضع مظهر الكليم، ثم ختمه بموضع مظهر عبده ورسوله وأكرم الخلق عليه. ونظير هذا بعينه في التوراة التي أنزلها الله على كليمه موسى: (جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير وواستعلن من فاران).

فمجيئه من طـور سـيناء بعثته لموسى بن عمـران ، وبـدأ به على حكم الترتيب الواقع، ثم ثنّى بنبوة المسيح، ثم ختمه بنبـوة محمد [التبيان 35-55).

وهذا هو الراجح فيما أرى لأن المناسبة بين هـذه المحـالَّ المُقسم بها ظاهرة على هذا.

ثم أقسم بطـور سـنين وهو أفضل مما ذكر قبـل، فإنه الجبل الـذي كلم الرب عليه موسِى وناجاه وأرسله إلى فرعون وقومه.

ثم انظر من ناحية أخرى كيف وضع طـور سـنين بجـوار الزيتـون لا بجوار التين، وقد ورد ذكر الزيتون بجوار الطور في موطن آخر من التنزيل العزيز (في ظلال القرآن 30/190)

قَالَ تَعَالِي (وَشَجَرَةً تَخْرُخُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغِ لِلْآكِلِينَ (20)) وهذه الشجرة هي شجرة الزيتون بإجماع المفسرين. قال الواحدي: "والمفسرون كلهم يقولون إن المراد بهذه الشجرة شجرة الزيتون (فتح القدير 3/463، روح المعاني 23-18/2)"

ثم أقسم بالبلد الأمين وهو مكة المكرمة: مكان مولد رسول الله [ومبعثه ومكان البيت الذي هو هدى للعالمين (روح المعاني 30/173). وهو أفضل البقاع عند الله وأحبها إليه كما جاء في الحديث الشريف، فتدرّج من الفاضل إلى الأفضل ومن الشريف إلى الأشرف.

فأنت ترى أنه تدرج من التين إلى الزيتون إلى طـور سـنين إلى بلد الله الأمين، فختم بموطن الرسالة الخاتمة أشرف الرسالات.

وقد وصف الله هــذا البلد بصـفة (الأمين) وهي صـفة اختـيرت هنا اختياراً مقصوداً لا يسدُّ مسدّها وصف آخر.

ف الأمين وصف يحتمل أن يكون من الأمانة، كما يحتمل أن يكون من الأمن. وكلا المعنيين مُراد.

فمن حيث الأمانة وُصف بــالأمين لأنه مكـان أداء الأمانة وهي الرسالة والأمانة ينبغي أن تـؤدى في مكـان أمين. فالرسالة أمانة نـزل بها الـروح الأمين وهو جبريـل، وأداها إلى الصـادق الأمين وهو محمد، في البلد الأمين وهو مكـة. فـانظر كيف اختـير الوصف ههنا أحسن اختيار وأنسبه.

فالأمانة حملها رسول موصوف بالأمانة فأداها إلى شخص موصوف بالأمانة في بلد موصوف بالأمانة. جاء في (روح المعاني): "وأمانته أن يحفظ من دَخَله كما يحفظ الأمين ما يُؤتمن عليه"

بِهِ عَلَى اللهِ اللهِ الآمن قبل الإسلام وبعده، دعا له سيدنا ابراهيم الأمن فهو البلد الآمن قبل الإسلام وبعده، دعا له سيدنا ابراهيم الأمن قبل أن يكون بلداً وبعد أن صار بلداً فقال أولاً: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كُفَدَر فَالَ وَمَنْ كُفَدَر فَالَاّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كُفَدَر فَالَاّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِر قَالَ وَبِئُسَ كُفَدَر فَالْمَتِّهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَصْلُولُهُ إِلَى عَدَابِ النَّارِ وَبِئُسَ الْمَصِيرُ (126)) وقال فيما بعد: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا

الْبَلَدَ ِ آُمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35)) فهو مدعو له بالأمن من أبي الأنبياء. وقد استجاب الله سبحانه هذه الدَّعوة قَال تعالى ((**فيهِ آيَاتُ بَيِّيَاتُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ** عَلَى ۚ النَّاس حِجُّ الْبَيْتِ مَٰنَ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَـبِيلًا وَمَنْ كَفَـٰـرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَـالَمِينَ (97)) وَقال: (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَّابَـةً لِلنَّاسُ وَأُمْنًا وَاتَّخِـذُوا مِنْ ِمَقَـامِ إِبْـرَاهِيمَ مُصَـلَى وَعَهِدْنَا إِلَى أَبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طُهِّرَاً بَيْتِيَ لِلْطَّائِفِينَ وَالْغَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)).

ف (الأمين) على هـَذا (فعيـل) للمبالغة بمعـني الآمن، ويحتمل أن تكونُ (الْأَمْيِن) فَعَيلًا بمعنى فعول، مثل جريح بمَعنى مَجروح وأسير بمعَــني مأسَــور أي المــأمونَ ، وذلك لأنه مــأمون الغوائل (روح المعاني 3/173ُهُ، الْبحر المحيَّط 8/49ُه، الكشاف 3/348ُ

جاء في روح المعانيّ: "الأمين فعيل بمعنى فاعل أي الآمن من أُمُنِ الرجل بضمِّ الميم أمانة فهو أمين. ـ وأمانته أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه.. وأما بمعنى مفعول أي: المأمون من (أمنــه) أي: لم يَخَفــه، ونســبته إلى البلدِ مجازيــة. والمــأمون حقيقة الناس أي: لا تخـاف غـوائلهم فيـه، أو الكلام على الحـذف والإيصال أي: المَّأْمون فيه من الِغوائل (روح الِّمعاني 30/173)".

وجـُـاء في البحر المُحيــط: "وأمين لِلمبالغة أي: آمن من فيه ومن دَخله وما قيه من طـير وحيـوانَ، أو أمُن الرجل بضـمٌ المّيم أمانَـة، فهو أمين كما يحِفظ الأمين ما يؤتمن عليه. ويجوز أن يكون بمعـني مفعــــول من أمنه لأنه مــــأمون الغوائل (البحر المحيط 8/490، الكشاف 3/348)".

وقد تقـول: ولم اختـار لفظ (الأمين) على (الآمن) الـذِي تـردد ِفي مُواطن أُخْرِي مِن القرآن الكُرِيم؟ قَالِ تَعَالَى (وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعُ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا إِلَّهُ مَكَنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَـدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْتَـرَهُمْ لِّلا يَعْلَمُ ونَ ﴿57) ِالقصص) وَقَـالَ (أُوَلَمْ يَهْرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا خَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطِّفُ إِلنَّاسُ مِنْ حَــوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِــلِ يُؤْمِنُــونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (67) العنكبوت)

واَلَجـواب : أنه باختيـاًره لفظ (الأمين) جمع معنـيي الأمن والأمانـة، وجمع معنى اسم الفاعل واسم المفعول، وجمع الحقيقة والمجاز، فهو أمين وآمن ومأمون، وهذه المعاني كلها مُرادة مطِلوبة.

ثم انظٍر إلى جواب القسم وهو قوله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ **فِي أَحْسَـنِ تَقْـوِيمِ (4) الَـتَين**) كيف تناسب مع المُقِّسم به

تناسباً لطيفاً ولاءمه ملاءمة بديعة. فإنه أقسم بالرسالات على بداية الإنسان ونهايته فقال: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)) وهذه بدايته، ثم قال: (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5)) وهذه نهايته.

"ثم لما كان الناس في إجابة هذه الدعوة فـريقين منهم من أجـاب ومنهم من أجـاب ومنهم من أبى، ذكر حـال الأكــثرين وهو المردودون إلى أسفل سافلين (التبيان في أقسام القـرآن 55-56)

والآخرين وهم المؤمنون الذين لهم أجر غير ممنون.

ولما كانت الرسالات إنما هي منهج للإنسان وشريعة له، كان الجواب يتعلق بالإنسان طبيعة ومنهجاً، فذكر طبيعة الإنسان في قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) التين) وذكر المنهج في قوله: (إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرُ غَيْرُ مَمْنُونِ (6)).

وفي هذه إشارة ً إلى أن المنهج لا بد أن يكون متلائماً مع الطبيعة

البشرية غير متناقض لها وإلا فشل.

فكان الجواب كما ترى أوفَى جواب وأكمله وأنسب شـيء لما قبله

وما بعده.

ثم انظر من ناحية أخرى إلى قوله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) الـتين) فإنه أسـند الخلق إلى نفسه ولم يبنه للمجهـول، وذلك أنه مـوطن بيـان عظيم قدريه وحسن فعله وبديع صنعه فأسند ذلك غلى نفسه، وهـذا في القـرآن خط واضح، فإنه في مثل هـذا المقـام وفي مقـام النعمة والتفضّل يسـند الأمر إلى نفسه قـال تعـالى (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِـهِ إِلَى نفسه قـال الأعرافِ).

ُوتَـالًٰ: (أُوَلَمْ يَــرَوْا ۖ أَنَّا ۚ خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْــدِينَا أَنْعَامًا فَهِهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا

يَأْكُلُونَ (72) يس)

فانظر كيف أسند الخلق في مقام النهمة والتفضّل إلى ذاته في حين قال: (يُرِيدُ اللّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28) النساء) ببناء الفعل للمجهول لما كلن القصد بيان نقص الإنسان وضعفه. وقال (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِ سَأْرِيكُمْ أَرِيكُمْ أَرِيكُمْ أَرِيكُمْ أَرِيكُمْ وَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (37) الأنبياء) وقال (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ الْمَيْرُ جَزُوعًا (20) ـ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُ جَزُوعًا (20) ـ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) المعارج).

فانظر إلى الفرق بين المقامين، وقد مرّ شيء من هذا في مـوطن

سابق.

هـذا من ناحيـة، ومن ناحية أخـري أنه أسـند الخلق إلى نفسه لأن المقام مقام بيان منهج للإنسان، فأراد أن يبين أن واضع المنهج للإنسان هو خالق الإنسان ولا أحد غيره أعلم بما يصلح له وما هو أنسِب له، ولو بني الفعل للمجهول لم يفهم ذلك صراحة.

فـأنت تـري أن إسـناد الخلق إلى ذات الله العلية أنسب شـيء في هـذا المقـام. وقد تقـول: ولم أسـند الـرد إلى أسـفل سـافلين إلى نفسه فقال: (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5)) وهذا ليس مقام

تفضّل ولا بيان نعمة؟

فنقول: أن هذا الإسناد أنسب شيء هاهنا ولا يليق غيره، وذلك أنه أراد أن يـذكر أن بيـدم البداية والنهايـة، وأنه القـادر أولاً وأخـيراً لا معَقّب لحكمه يفعل ما يشاء في البداية والختـام، وهـذا لا يكـون إلا بإسناد الأمر إلى ذاته العليّة.

أِلا تـري أنه لو قـال: (لقد خلقنا الإنسـان في أحسن ِتقـويم ثم رُدّ أسـفل سـافلين) لكـان يُفهم من ذلك أن هنـاك رادّاً غـيره يفسد

خلقته ويهدم ما بناه؟

ومعنى قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) الَّــتين) أنه صــيّره على أحسنَ ما يكــون في الصــورة والَمعَّــني والإدراك وفي كل ما هو أحسن (روح المعـــاني 30/175، البحر المحيط 8/490) من الأمور المادية والمعنوية.

وقال بعدها (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سِافِلِينَ (5)) فجاء بـ (ثم) الــتي تفيد الترتيب والتراخي، لأن كونه أسفل سافلين لا يعـاقب خلقه بل يتراخى عنه في الـزمن، فهي من حيث الـوقت تفيد الـتراخي، كما انها من حيث الرتبة تفيد الـــتراخي، فرتبة كونه في أحسن تقـــويم تتراخي وتبعد عن رتبة كونه في أسفل سافلين، فثمة بون بعيد بين الرتبتين فأفادت (ثم) هاهنا التراخي الزماني والتراخي في الرتبة. واختلف في معنى (أَسْفَلَ سَافِلِينَ) فذهب قسم من المفسرين

إلى أن المقصود به أرذل العمـر، والمُـراد بـذلك: الهـرم وضـعفِ القُـوي الظـاهرة والباطنة وذهـول العقل حـتي يصـير لا يعلم شـيئا (روحَ المعاني 16أ/30، البحر المحيط 8/490)

ومعنى هذا الإستثناء على هذا أن الصالحين من الهـرمي لهم ثـواب دائم غـــــير منقطع (الكشــــاف 3/348) يُكتب لهم في وقت . شـيخوختهم كَما كـانَ يُكتب لهم في وقت ٕ صِـحّتهم وقـوتهم" وفي الحديث "إن المـؤمن إذا رُدّ لأرذل العمر كُتِب له ما كـان يعمل في

قوّتــه" وذلك أجر غــير ممنــون (البحر المحيط 8/490) أي غــير

وذهب آخـرون إلى أن المقصـود به أسـفل الأمـاكن السـافلة وهو جهنم أو الدرك الأسفل من النار.

ومُعنى الإستثناء على هذا ظاهر، فالصالحون مستثنون من الرد

وركز بعضهم على الخصائص الروحية. جاء في ظلال القرآن: "والتركيز في هذا المقام على خصائصه الروحية. فهي التي تنتكس إِلَى أُسَـفُل سَـافلين حين بنحـرف عن الفطـرة ويحيد عن الإيمـان المسـتقيم معهـا. فهو مهيّأ لأن يبلغ من الرِّفِعة مـدى بفـوق مقـام الملائكة المقربين.. بينما هـذا الإنسـان مهيأ حين ينتكس لأن يهــوي إلى الـدرك الـذي لا يبلغ إليه مخلـوق ِقـط: ٟ(ثُ**مُّ رَدَدْنَـآهُ أَسْـَفَلَ**ُ سَافِلِينَ (5)) حيث تُصبح البهائم أرفع وأقوم لاستقامتها على فطِرتها...

(إِلَّا الَّذِينَ أَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُـونِ (6)) فهــؤلاء هم الــذين يبقــون على ســواء الفطــرة ويكملونهًا بالإيمان والعمل الصالح. ويرتقون بها إلى الكمال المقدّر لها (في

طلال القِرآن 30/194)".

وظاهر أن معنى الآية يتسع لكل ما ذكروه، وهي تفيد أيضاً أن حياة غِيرِ المؤمن نكد وغمّ، وعيشة ذنك وشقاء قال تعالى: (وَمَنْ أَيْرَضَ عَنْ ذِكْـرِي فَـإِنَّ لَـهُ مَعِيشَـةً ضَـنْكًا وَنَحْشُـرُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (َ 124) طه) وقال : (حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْـركِينَ بِـمِ وَمَنْ يُشْـرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خِـرَّ مِنَ السَّـمَاءِ فَتَخْطُّفُـهُ **اَلطَّيْرُ أَوْ تَهْويَ بِهِ َالرِّيحُ فِي مَكَانِ سَحِيقِ** (31) الحج).

فحياة هؤلاء هاَبطة سافلة بل _سهم_سفي اَسِفل ساَفلينٍ. ثم لننظر إلى الإِستثناءِ وهو قوله تعالى : (**إلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** فَلُهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونِ (6) التين) فَإنه استثنى من الـرد أسـفل سافلين من آمن وعمل صالحاً ولم يزد على ذلك فلم يقل مثل ما قـال في سـورة إلعصر (إلَّا الَّذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ وَتَوَاصَـوْا بِـالْحَقِّ وَتَوَاصَـوْا بِالصَّـبْرِ (3)) وذلك لاختلاف الموطـنين، فـَـإن سـورة العصر في بيـان الخسَـران الـذي يصـيب الإنسَّانَ، وسَوْرَةِ البَّيِّنِ فيما يُنَجِيَّ مَن دُركاتِ الَّنِارِ، قَالَ تَعَالَىٰ (وَالْعَصْرِ (1) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا (وَالْعَصْرِ (1) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِخِاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) الَّعصر) فبيِّن لنا أن الإيمان والعملَ الصالح يمنعه من الـرد أسَـفل

سافلين. ولكن لا يمنعه من الخسـران الـذي يفوته فيما لو تواصى بـالحق وبالصـبر فـإن كـل من تـرك شـيئاً من ذلك خسر شـيئاً من الأجر الذي كان يربحه فيما لو فعلـه، فـانظر الفـرق بين الموطـنين

وبين الإستثنائين ـ

جَاءَ في (التبيان): "وتأمل حكمة القرآن لما قال: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)) فإنه ضيّق الإستثناء وخصصه فقال (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالْصَّبْرِ (قَالُ اللَّذِينَ الْمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرُ وَعممه فقال (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرُ عَمْنُونٍ (6)) ولم يقل (وتواصوا) فإن التواصي هو أمر الغير بالإيمان والعمل الصالح، وهو قدر زائد على مجرد فعله. فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح فصار في خُسر، ولا يلزم أن يكون في أسفل سافلين.

فــان الإنســان قد يقــوم بما يجب عليه ولا يــامر غــيره، فــان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبة زائــدة. وقد تكــون فرضـاً على الأعيان، وقد تكون فرضاً على الكفاية وقد تكون مستحبّة.

والتواصي بالحق يدخل فيه الحق الذي يجب، والحق الذي يُستحب، والصبر يدخل فيه الصبر الذي يجب والصبر الذي يُستحب. فهولاء إذا تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر حصل لهم من البربح ما خسره أولئك الذين قاموا بما يجب عليهم في أنفسهم ولم يأمروا غيرهم به. وإن كان أولئك لم يكونوا من النين خسروا أنفسهم وأهليهم. فمطلق الخسار شِيء والخسار المطلق شيء (التبيان 91)".

ثم قال: (فَلَهُمُ أَجْرُ غَيْرُ مَمْنُونٍ) قيل: ومعنى غير ممنون غير منون غير منون غير منقطع، وقيل معناه غير مكدر بالمن عليهم (البحر المحيط 8/490، روح المعاني 30/176). والحق أن كل ذلك مراد وهو من صفات الثواب، لأنه يجب أن يكون غير منقطع ولا منغصا بالمنة (التفسير الكبير 32/11).

فقال: (غير ممنّون) ليَجمع هذه المعاني كلها، ولم يقل غير مقطوع ولا نحو ذلك فيفيد معنى دون آخر.

ثم انظر كيف زاد الفاء في قوله (فَلَهُمْ أَجْرُ غَيْرُ مَمْنُونٍ) ولم يفعل مثل ذلك في آية شبيهة بها وهي قوله (إلّا الّذِينَ أَمَنُوا وَعَمِلُوا الشّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرُ غَيْرُ مَمْنُونٍ (25) الإنشقاق) بدون فاء. وذلك لأن السياقين مختلفان، فسياق سورة الإنشقاق أكثره في ذكر الكيافرين، وقد أطال في ذرهم ووصف عنابهم فقال: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِي كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ

يَدْعُو ثُبُورًا (11) وَيَصْلَى سَعِيرًا (12) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (13) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (14) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (15) الإنشقاق) ثم قال مقرّعاً للكافرين مؤتباً لهم : (فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20) وَإِذَا قُـرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُـرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ {س} (21) بَـلِ الَّذِينَ كَفَـرُوا يُكَـذَّبُونَ (22) يَسْجُدُونَ {س} أَكْمَذَابٍ أَلِيمٍ (24) وَإِلَا النَّهُ أَعْلَمُ بِعَدَابٍ أَلِيمٍ (24) إِلَّا الَّذِينَ لَهُمْ أَجْرُ غَيْـرُ مَمْنُـونٍ (25) إِلَا النَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرُ غَيْـرُ مَمْنُـونٍ (25)

في حين لم يـزد في الكلام على المؤمـنين عن قوله (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِـيرًا (8) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9) الإنشقاق).

فَانظر كيفُ أطال في وصف الكافرين وأعمالهم وعقابهم، وأوجز في الكلام على المؤمنين، ولذا حذف الفاء من جزاء المؤمنين في سورة الإنشقاق مناسبة للإيجاز. في حين لم يـذكر الكافرين في سورة التين ولم يزد على أن قال ((ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) الـتين) يعني الإنسان، وهو غير صريح في أن المقصود به الكافرون أو غيرهم كما أسلفنا.

ثم انظر إلى كل من السورتين كيف تناولت الكلام على الإنسان. فقد بدأت سورة الإنشقاق بذكر كدح الإنسان ومشقته ونصبه (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (6) الْإِنشِقاق) وتوعّده ربه بركوب الأهوال والشدائد المتتابعة التي يفوق بعضها بعضاً في الشدة فقال (فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (18) لَتَرْكَبُنَّ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (18) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقِ (18) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقِ (18) اللَّيْلِ وَمَا مَنْ طَبَقِ (19)).

في حين بدأ في سورة التين بتكريم الإنسان فقال (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فَقَالَ (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فَقَالَ (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَـنِ تَقْـوِيمِ (4) الـتين) فناسب ذلك تأكيد استمرار أجره وعدم تنغيصه، وذلك بزيادة الفاء في التين دون الإنشقاق.

ثم قال بعدها (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (7) التين) والمعنى: أي شيء يجعلك أيها الإنسان مكذّبلً بالجزاء بعد هذا الدليل الواضح؟ والمعنى: إن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشراً سوياً وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي مع تحويله من حال إلى حال، أوضح دليل على قدرة الخالق على الحشر والنشر (الكشاف حال، أوضح دليل على قدرة الخالق على الدي خلقك أقدر على أن

يعيدك بعد موتك ويُنشئك خلقاً جديداً، وأن ذلك لو أعجـزه لأعجـزه خلقك الأول (التبيان 61).

فانظر جلاًلة ارتباط هذا الكلام بما قبله.

ثم انظر كيف استدل على الجزاء بالأدلة النقلية والعقلية. فالـدليل النقلي هو ما أخـبرت به الرسـالات السـماوية، وقد ذكر من هـذه الرســالات كبراها وهي رســالات موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

والـدليلُ العقلي هو الإسـتدلال بخلق الإنسـان في أحسن تقـويم

وتدريجه في مراتب الزيادة والنقص.

ثم انظر كيف اختار كلمة (الدين) ولم يختر كلمة الجزاء أو الحساب أو النشور ونحوها، وذلك لما تقدم ذكر مواطن الرسالات ناسب ذلك ذكر الدين، لأن هذه أديان، ولأنه قد يُراد بذلك معنى (الدين) علاوة على معنى الجزاء. والمعنى أي شيء يجعلك مكذّباً بصحة الدين بعد هذه الأدلة المتقدمة؟ فالذي خلقك في أحسن تقويم يرسم لك أحسن منهج تسعد به في الدنيا وفي الآخرة. فجمعت كلمة (الدين) معنى الدين ومعنى الجزاء في أن واحد، ولو قال فما الذي يكذبك بالجزاء لم يجمع هذين المعنيين.

فأنت ترى أنه اختار كلمة (الدين) لتقع في موقعها المناسب لها تماماً. ثم قال بعدها: (أَلَيْسَ اللّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (8)) وأحكم الحاكمين يحتمل أن يكون معناه: أعظم ذوي الحكمة وأحسنهم تدبيراً ويحتمل أن يكون معناه أقضى القاضين، لأن (حكم) يحتمل أن يكون من الحكمة، ويحتمل أن يكون من القضاء

وهو الفصل في المحاكم.

وعلى الوجه الأول يكون المعنى: أليس الذي فعل ذلك بأحكم الحاكمين صنيعاً وتدبيراً وأن حكمته بالغة لا حدود لها. وإذا تبين أن الله سبحانه أحكم الحاكمين -وهو بين- تعينت الإعادة والجزاء لأن حكمته تأبى أن يترك الإنسان سدى ولا يحاسب على أعماله، فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن لا يُجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته؟ وهل ذلك إلا قدح في حكمه وحكمته (التبيان 33 وما بعدها، التفسير الكبير 32/12).

وعلى الوجه الثاني يكون المعنى: أليس الله بأقضى القاضين (روح المعاني 30/177، مجمع البيان 10/512) فيحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، كما قال تعالى (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (46) الزمر)

فانظر قوة ارتباط هذه الآية بما قبلها على كلا الوجهين، فإن حكمته تقتضي الإعادة والجازاء. والجازاء والفصل بين الخلائق يقتضي وجود أقضى القاضين.

فجمع بهذه العبارة معنيين: القصاء والحكمة بل لقد جمع معاني عدة بهذا التعبير، إذ كل لفظ من (أحكم الحاكمين) يحتمل أن يكون بمعنى القضاء والحكمة فيكون قد جمع أربعة معان كلها مرادة وهي (أحكم الحاكمين) بمعنى أكثرهم حكمة و(أقضى الحكماء) و(أقضى القضاة) و(أقضى القضاة).

فَانظر كَيف جمع أرَبعة معان تؤدي بأربع عبارات في عبارة واحدة موجزة ولو قال (أقضى الِقاضين) لدلت على معنى واحد.

ثم انظر كيف جعل ذلك بأسلوب الإستفهام التقريري ولم يجعله بالأسلوب الخبري ولم يجعله بالأسلوب الخبري فهو لم يقل (إن الله أحكم الحاكمين) ولا نحو ذلك، وإنما قبرر المخاطب ليقوله بنفسه وليشترك في إصدار الحكم فيقول: بلى (وأنا على ذلكم من الشاهدين)

ثم انظر إلى ارتباط خاتمة السورة بفاتحتها، فإن فاتحة السورة في ذكر مواطن الرسالات العظمى وارتباطها بخاتمتها واضح بيّنف فإن الذي أنزل هذه الشرائع العظيمة وما تضمنته من أحكام سامية هو أحكم الحاكمين.

ثم انظر إلى التنسيق الجميل في إختيار خواتم الآي، فإن خاتمة كل آية اختيرت لتجمع عدة معان في آن واحد. فاختيرت (الأمين) لتجمع معني الأمن والأمانة، و(أسفل سافلين) لتجمع معنى غير منقطع ولا منعض بالمِنّة عليهم، وكلمة (الـــدين) لتجمع الجــزاء والدين، و(أحكم الحاكمين) لنجمع الحكمة والقضاء.

لمسات بيانية في سورة الكوثر لماذا قال الله تعالى أعطيناك ولم يقل آتيناك؟

سورة الكوثر تأتي بعد سورة الماعون (أرأيت الذي يكذب بالدين..) وهي تقابل هذه السورة من نواحي عديدة:

سورة الكوثر	سورة الماعون
إنا أعطيناك الكوثر	أرأيت الذي يكذ <i>ب</i> بالدين
فصل لربك وانحر	فذلك الذي يدع اليتيم
(المقصود بالنحر التصدق)	ولا يحض على طعـــــام
	المسكين
	فويل للمصلين الذين هم عن
	صلاتهم ساهون
فصل لربك وانحر (أمر بالصلاة	
ودوام عليها)	صلاتهم ساهون (سلهو عن
	الصلاة)
فصل لربك وانحر (إخلاص	
	في الصلاة)
إنا أعطيناك الكوثر (الكوثر نهر	
في الجنة وهــذا تصــديق بيــوم	
الدين والجزاء)	
إن شانئك هو الأبتر (والأبتر هو	
من انقطع عمله من كل خير	تــدل على الأبــتر لأنه انقطع
	الخـير عنه فهو الأبـتر حقيقة
	(یکـذب بیـوم الـدین, لا یـدع
	اليــتيم، لا يحض على طعــام
. 1 11 111	المسكين،)

وسـورة الكـوثر هي انجـاز لما وعد الله تعـالى رسـوله في سـورة الضحى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) في سورة الضحى وعد من الله بالإعطاء وفي سورة الكوثر عطاء وتحقق العطاء. وفي سـورة الكوثر قـال تعـالى (إنا أعطيناك الكـوثر) وإنا تفيد التوكيد وفي سـورة الضـحى (ولسـوف يعطيك ربك فترضـى) ولسـوف تفيد التوكيد أيضـاً. وفي سـورة الكـوثر (فصل لربك وانحـر) وفي

الضحى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) اي فصل لربك الـذي

وعدكِ بان يعطيك وأنجز الوعد.

إنا أعطيناك: في بناء الآية لغوياً يوجد تقديم الضمير إنا علي الفعل أعطيناك: في بناء الآية لغوياً يوجد تقديم الضمير أيضاً. الفعل أعطيناك وهو تقديم مؤكد تأكيد بــ (إن) وتقديم أيضاً. فلمناذا قندم الضنمير إنا؟ أهم أغنراض التقنديم هو الاهتمنام والاختصاص.

فعندما نقول أنا فعلت بمعنى فعلته أنا لا غيري (اختصاص)

وأنه خلق الزوجين ...ونوحاً هدينا من قبل.. (تفيد الاهتمام) ربنا إننا سـمعنا مناديا ينـادي للإيمـان...(تفيد الاهتمـام) لم يقصر التعليم على المناديا المناديا المناطقة المناطقة المناطقة المناطقة المناطقة المناطقة المناطقة المناطقة المناطقة

السماع عليهم وحدهم إنما سمع غيرهم أيضا.

في الآية **إنا أعطيناك الكوثر** يوجد الأمران: الاختصاص والاهتمام ؛ فالله تعالى أعطى نبيه الكوثر اختصاصاً له وليس لأحد سواه وللإهتمام أيضاً وإذا كان ربه هو الذي أعطاه حصرا فلا يمكن لأي أحد أن ينزع ما أعطاه الله من حيث التأكيد في تركيب الجملة.

إنا: ضمير التعظيم ومؤكد

أعطيناك: لماذا لم يقل آتيناك؟

هناك تقارب صوتي بين آتى وأعطى وتقارب من حيث المعنى أيضاً لكن آتى تستعمل لما هو أوسع من أعطى في اللغة فقد يتقاربان. آتى تستعمل لأعطى وما لا يصح لأعطى (يـؤتي الحكمة من بشاء) (ولقد آتينا موسى تسع آيـات) (وآتيناهم ملكـاً عظيمـاً). آتى تسـتعمل للرحمـة، للحكمـة، للأمـوال (وآتى المـال على حبـه) وتستعمل للرشد (وآتينا إبراهيم رشده). آتى تستعمل عادة للأمـور المعنوية (لقد آتيناك من لـدنا ذكـرا) وقد تسـتعمل للأمـور المادية أ.مناً

أما **أعطم** فهي تسـتعمل في الأمــور المادية فقط (وأعطى قليلاً وأكدى) (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسِنى)

إِذَن آتَى تستعملُ للأموالُ وغير الأموالُ وأكثر استعمالها للأمور الواسعة والعظيمة كالملك والرشد والجكمة.

وأُعطى للتخصيص على الأغلَّبُ وهناكَ أمـور لا يصح فيها اسـتعمال أعطى أصلا كالحكمة والرشد.

<u>وما دامت كلمة آتي أُوسع اســـتع</u>مال<u>ا فلمـــ</u>ـاذا <u>إذن لم_</u> يستعمل آتي بدل أعطي؟

الإيتاء يشمله النزع بمعنى انه ليس تمليكا إنما العطاء تمليك. والإيتاء ليس بالضرورة تمليكا (تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) (وآتينام من الكنوز....ثم خسفنا به وبداره الأرض) إذن

الإيتاء يشمله النزع أما العطاء فهو تمليك. في الملك يستعمل الإيتاء لأنه قد ينزعه سبحانه أما العطاء فهو للتمليك وبما انه تمليك للشخص فله حق التصرف فيه وليس له ذلك في الإيتاء. (رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي... هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) أي بما انه عطاء من الله تعالى لسيدنا سليمان فله حق التصرف في عطاء الله له.

وقد يكون الإيتاء آية فليس للنبي حق التصرف بها بل عليه تبليغها ورب العالمين ملك رسوله الكوثر وأعطاه إياه تمليكاً له أن يتصرف فيه كيفما شاء.

<u>لماذا قال تعالى</u> الكوثر <u>ولم يقل الكثير؟</u>

الكوثر من صفات المبالغة تفيد (فوعل وفيعل) تـدل على المبالغة المفرطة في الخـــير. وقيل عن الكـــوثر انه نهر في الجنة وقيل الحوض وقيل رفعة الـذكر وغـيره وكل ما قيل يشـمل الخـير الـذي أعطاه الله تعالى لرسوله [] فهو كوثر ومن الكوثر أي الخـير الـذي انعم الله تعالى على رسوله به.

والكوثر يدل على الكثرة المفرطة في الشيء والفرق بين الكوثر والكثير أن الكوثر قد تكون صفة وقد تكون ذاتاً أما الكثير فهي صفة فقط. وكون الكوثر صفة يدل على الخير الكثير وليس على الكثرة (الكثير هو الكثرة) ولكن الكوثر تدل على الخير الكثير والكثرة قد تكون في الخير وغيره. فالكوثر هو بالإضافة إلى الكثرة المفرطة فهو في الخير خصوصاً. وقد تكون الكوثر الـذات الموصوفة بالخير (يقال أقبل السيد الكوثر أي السيد الكثير الخير و العطاء) ولا يقال اقبل الكثير النهر عادة هو ذات ولكنه ذات موصوف بكثرة الخير. فالكوثر أولى من الكثير لما فيه من الكثرة المفرطة مع الخير وهناك قراءة للآية (الكيثر) وهي صفة مشابهة مثل الفيصل.

والـواو أقـوى من اليـاء فـأعطى الله تعـالى الوصف الأقـوى وهو الكـوثر وليس الكثـير. وفي هـذه الآية حـذف للموصـوف فلم يقل تعالى ماءً كوثراً ولا مالاً كوثراً وإنما قال الكوثر فقط لإطلاق الخير كله.

وعندما عـرف الكـوثر بـأل التعريف دخل في معناها النهر ولو قـال كوثر لما دخل النهر فيه لكن حـذف الموصـوف أفـاد الإطلاق وجمع كل الخير.

وعندما أعطى الله تعالى رسوله □ الخـير المطلق والكثـير فهو في حاجة للتوكيد والتعظيم ولـــذلك قـــال إنا مع ضـــمير التعظيم لأنه يتناسب مع الخير الكثير والمطلق وناسبه التوكيد أيضاً في إنا.

- قوله (**فصل لربك وانحر**)

لماذًا لم يقلُ سُبِحانَهُ وتعالى فصل لنا أو صل لله ولماذا قالِ انحر ولم يقل ضحي أو اذبح.

بعد أن بشر الله تعالى رسوله] بإعطائه الكوثر جاء السبب بالفاء أي أراد منه أن يشكر النعمة الـتي أعطاه إياها ، ينبغي تلقي النعم بالشكر ولم يقل له فاشكر لان الشكر قد يكون قليلاً أو كثيراً فلو قال الحمد لله فقط لكان شاكراً لكن هذا الأمر الكبير والعطاء الكبير يستوجب الحمد الكثير ولـذا طلب الله تعالى من رسـوله] شيئين الأول يتعلق بالله تعالى وهو الصلاة والثاني يتعلق بالعباد وهو النحـر. والصـلاة أعظم ركن من أركان الإسـلام وهو أعلى درجات الشـكر لله والنحر وفيه إعطاء خلق الله والشـفقة بخلق الله. فشكر النعم يكون بأمرين شكر الله والإحسـان إلى خلقه من الشكر أيضاً وعندما نحسن إلى خلق الله يكون هـذا من شـكر نعم الله.

وقدم الله تعالى الصلاة على النحر لأن الصلاة أهم من النحر وهي ركن من أركان الإسلام وأول ما يسأل العبد عنه يـوم الحساب والمفروض أن تكون خمس مرات في اليوم والليلة ولهذا فهي أعم من النحر لأن النحر يكـون مع التمكن المـادي فقط في حين أن الصلاة لا تسقط عن العباد في أي حال من الأحوال من مرض أو فقر أو غيره وقد وردت الصلاة في القرآن على عدة صور فهي إن كانت من الله تعالى فهي رحمة ، ومن الرسول [دعاء ، ومن العباد عبادة وقول وفعل وحركة الصلاة. وكلما ورد ذكر الصلاة والزكاة في القرآن تتقدم الصلاة على الزكاة لأنها أعم وأهم.

فصل لربك: <u>لماذا لم يقل فصل لله أو فصل لنا؟</u>

اللام في (لربك) تفيد الاختصاص والقصد أن الصلاة لا تكون إلا لله وحده وهي مقابلة لما ورد في ذكر المرائين في الصلاة في سورة الماعون (الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يرآؤون ويمنعون الماعون) أما في سورة الكوثر فجاءت فصل لربك أي داوم على الصلاة لربك وليس كالمرائين.

لماذا لم يقل فصل لنا؟ في اللغة تسمى التفات من الغيبة إلى الحضور أو العكسـ الصلاة تكـون للـرب وليس للمعطي فـإذا قـال فصل لنا لأفاد أن الصلاة تكون للمعطي ولكن الصـحيح أن المعطي

له الشكر فقط وليس الصلاة حـتى لا يتـوهم أن الصـلاة تكـون لأي معطي والصلاة حق لله وحده إنما المعطي له الشكر فقط. وكذلك قال تعالى إنا أعطيناك باستخدام ضمير التعظيم فلو قـال فصل لنا لأوهم انه فيه شرك (انه تعالى له شريك والعياذ بالله) أو انه يمكن استخدام ضمير التعظيم للجمع

ملاحظة: في القرآن كله لا يوجد موضع ذكر فيه ضمير التعظيم إلا سبقه أو تبعه إفراد بما يفيد وحدانية الله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ...إنا لله وإنا إليه راجعون) (كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله) (ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك....وإلى ربك فارغب) ولم يقل والينا فارغب. وهكذا يتبين انه لم يذكر ضمير التعظيم في القرآن كله إلا سبقه أو تبعه ما يدل على الإفراد تجنباً للشرك.

واختيار كلمة أليرب بدل كلمة الله (فصل لربك ولم يقل فصل لله) هذه الآية انجاز لما وعد الله تعالى رسوله ولي سورة الضحى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ومعناها صل لربك الذي أنجز الوعد الذي وعدك إياه. والعطاء من الرعاية ولم يرد في القرآن كله لفظ العطاء إلا مع لفظ الرب (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (ولسوف يعطيك ربك فترضى) (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محذورا) (جزاء من ربك عطاء حسابا) لم تقترن كلمة العطاء في القرآن كله بغير لفظ الرب، والرب هو المربى والمعطى والقيم.

لماذا قال : (وانحر) ولم يقل واذبح؟

النحر في اللغة : يتعلق بنحر الإبل فقط ولا تستعمل مع غير الإبل. يقال ذبح الشاة وقد يستعمل الذبح للجميع وللبقر والطيور والشاة والإبل لكن النحر خاص بالإبل لأنها تنحر من نحرها فأراد الله تعالى أن يتصدق بأعز الأشياء عند العرب فلو قال اذبح لكان جائزاً أن يذبح طيراً أو غير ذلك ومعروف أن الإبل من خيار أموال العرب. وبما أن الله تعالى أعطى رسوله الخير الكثير والكوثر فلا يناسب هذا العطاء الكبير أن يكون الشكر عليه قليلاً لذا اختار الصلاة والنحر وهما أعظم أنواع الشكر.

لماذا لم يقل وتصدق؟

الصدقة تشمل القليل والكثير فلو تصدق احدهم بدرهم أو بطير لكفى المعنى ولكن الله تعالى أراد التصدق بخير الأموال ليتناسب مع العطاء الكثير.

لماذا لم يقل وركي؟

الرسول 🛮 لم يكن يملك النصاب للزكاة أصلاً فهي غـير واردة على الإطلاق ثم إن الزكاة تجب مرة واحـدة في العـام وبنسـبة 2ِ.5 % فقط ولما اِختلف ِعما فرضه الله تعالى علَى المسلَّمين جميعاً ولن تكون شكراً خاصاً لله تعالى على عطائه الكثير ألا وهو الكوثر.

لماذا لم يقل وضحى؟

الأضحية هي كل ما تصح به الأضحية الشـرعية فلو ضـحي بشـاة لكفت ، والأضــحية لها وقتها وهو أربعة أيــام يــوم النحر و أيــام التشريق فقط والله تعالى لم يرد أن يحصر الشكر له على عطائه

الكثير بايام محددةـ

إختلف المفسرون بالصلاة والنحر أهي صلاة العيد أو عامة الصلاة أو خاصة والمعـني في الآية (فصل لربك وانحـر) تشـمل كل هـذه الحــالات ففي العيد يكــون النحر بعد الصــلاة ولكن الكثــير من المفسرين قالوا إنها عامة ويدخل فيها صلاة العيد والأضحية.

لماذا لم يقل فصل لربك وانحر لربك؟ أو انحر له؟

 إن المتعلق الأول لربك كأنما يغنى عن المتعلق الثاني وهو ما يســمي بظهــور المــراد أي يفهم من الآية فصل لربك وانحر

الصلاة أهم من النحر لأنها لا تسـقط بـأي حـال من الأحـوال فجعل المتعلق بما هو أهم والنحر لا يكون إلا مع الاستطاعة .

الصلاة لا تكـون إلا عبـادة ولا تكـون غـير ذلك أما النحر فقد يكون إما للعبادة وقد يكون للأكل فقط وليست بهدف العبادة لذا النحر يختلف عن الصلاة. وإذا كـان النحر عبـادة فلا يكـون إلا لله تعالى وملعون من ذبح لغير الله فلو قال وانحر لربك لألزم أن يكون النحر فقط عبادة ولما جاز لغير العبادة أبداً .

لماذا لم يقل وتقرب؟ القربان من التقرب ولقد ورد القربان مرة واحدة في القرآن الكريم في حادثة ابني آدم عليه السلام.

- قوله (**إن شانئك هو الأبتر**)

نزلت هذه الآية لما مات ابني الرسول 🏻 فقالت قـريش بـتر محمد وإذا مات أبناء الشخص المذكور يقال له أبتر.

ما هو تعريف كلمة الأبتر وما معناها؟ **الأبتر** في اللغة لها عدة معاني:

كل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتر

إذا مات أولاد الشخص الـذكور أو ليس له أولاد ذكـور

الخاسر يسمى أبتر .3

لمسات بيانية في نصوص من التنزيل من أشهر ما ذكر في أسباب النزول حادثة وفاة ابني الرسول □ **هو الأبتر**" يقال <u>هو الغـني</u> لتفيد التخصـيص. <u>هو غـني</u> : أي هو من حملة الأغنياء. أراد الله تعالى أن يخصص الشانئ بالأبتر ولم يقِل إن شانئك هو أبتر. هو في الآية ضـمِير منفصل وتعريف الأبـتر بـأل التعريف حصر البتر بالشانئ تخصيصاً. **شنئان**: بغض. جعل الله تعالى مجرد بغض الرسول 🛘 هو خسارة وهذه خاصة لرسول الله 🏿. لم يقل عـدوك هو الأبـتر لأن مجـِرد الشـنئان للرسـول 🛘 هو بغض وخسارة ولو َلم يعلن عداوته علناً (فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن) لمَاذاً قال الأبتر ولم يقل المبتور؟ **الأبِــتر** صبِـفة مشـِبهة على وزن أفعل تفيد الثبــوت مثل الأحمر والأعرج والأسمر والأصلع. المبتور صيغة فعول تدل على الحدوث فترة مثل مهموم ومحزون ومسرور ولا تدل على الثبوت بل تتحول. فاستخدام الأبتر وجب بكل معاني ِالبتر مع استمرارية هـذه الصـفة مع انقطاع ذريتِه حقيقة أو حكماً ويقال إن شانيء الرسول □ انقطع نسله بتاتاً إما بانقطاع الذرية أصلاً أو بإسلام ذريته من بعده فلا يدعون لأبيهم الكافر أبداً فينقطع أيضاً ذريته وذكـره بعد موتـه، فقد بتر من الذرية وبتر من الخير أيضاً (وورد أن شـانيء الرسـول □ هو أبو جهل الذي اسلم أبناؤه كلهم وامنوا بالله وبرسوله □). <u>لماذا لم يقل وجعلنا شانئك هو الأبتر او سنجعل شــانئك</u> هو الأبتر؟ الخير الكثير هو الذي يعطيه الله تعالى والعطاء يقاس بقدر العطاء وقيمته وبقدر المعطي فاذا كان المعطى عظيما كان العطاء عظيمـــاً. من ناحية المعطي ليس هنـــاك أعظِم من الله تعـــالي والكوثر هو الخير الكثير اما الأبتر فهو ليس جعلاً إنما صفته الأصلية فهناك فـرق بين جعل الإنسـان بصـفة معينة او انه كـذلك بصـفته الأصلية.

شانئك : من حيث البيان هي أقوى الألفاظ وفي قراءة (شنئك)

تفيد أن الأبتر هو الـذي بِـالغ في الشـنئ. ارتبط آخر السـورة بأولها

فالله تعالى أعطى في أولها الكثير من الخير وفي المقابل جاءت

كلمة الأبـتر وهو الـذي خسر كل شـيء والـذي انقطع أثـره من كل خير مقابل الخير الكثير الذي أعطاه الله تعالى للرسول □.

الرسـول □ لم يخسر لا في الـدنيا ولا في الآخـرة وهو ليس بـالأبتر فالرسول □ يذكر اسـمه في كل ثانية وهـذا خـاص بسـيدنا محمد □ إنما الشـانيء فهو الأبــتر في الــدنيا والآخــرة وهو الخاسر ماديــاً ومعنوباً.

لما أمر الله تعالى رسوله [بالنحر (فصل لربك وانحر) مكنه من مئة من الإبل نحرها بعد نزول الآية شكراً لله تعالى على نعمه الكثيرةـ

لمسات بيانية في سورة الناس

المعوذتان هما سورتان في القرآن الكريم جمعتا الإستعاذة من الشرور كلها الظاهرة والخفيّة والواقعة على الإنسان من الخارج والتي تصدر منه من الداخل. فسورة الفلق تضمنت الإستعاذة من الشرور الظاهرة والخفية الواقعة على الإنسان من الخارج ولا يمكن للإنسان دفعها ولا سبيل لذلك إلا بالصبر لأن الإنسان الصابر إذا صبر على هذه الشرور ينال الأجر من الله تعالى على صبره ويزيد في ميزان حسناته لأن الله تعالى يجزي الصابرين.والشر في سورة الفلق مما لا يدخل تحت التكليف ولا يطلب منه الكف عنه لأنه ليس من كسبه فهو غير محاسب عليه

أما سورة الناس التي بين أيدينا فهي سورة الإستعاذة ؛ من سور الإنسان الداخلية (النابعة من نفسه) وهي التي تقع على الإنسان نفسه أو على غيره وهي التي يستطيع الإنسان أن يدفعها ويتجنب ظلم النفس والآخرين وهذه الشرور إذا وقع فيها الإنسان يكون في صحيفة سيئاته.والشر المقصود في هذه السورة هو مما يدخل تحت التكليف ويحاسب عليه المرء لأنه يدخل ضمن ما نُهي عنه .

السورتان جمعتا الاستعاذة من الشرور كلها الظاهرة والخفية.. ما يدخل تحت التكليف (ما جاء في الناس)، وما لا يدخل في التكليف (ما جاء في الناس)، وما لا يدخل في التكليف (ما جاء في الفلـق) وما يستطيع دفعه (الفلـق) وما يدخل سجل دفعه (الناس (ما يدخل سجل الحسنات (الفلـق) وما يدخل سجل السيئات (الناس.(وكما قال عدد من المفسـرين والمحققين: سورة الفلق استعاذة بالله من شرور المصائب وسـورة الناس استعاذة بالله من شرور المعايب.

- قوله **(قل أعوذ برب الِناس** `)

<u>أُعوذً بِالله</u>: لَغة هي بمعنى ألتجئ وأعتصم بالله.

قل: أمر الله تعالى للرسول البأن يقول (قل) والأمر بالقول له أهمية كبيرة هنا ولو حذف الفعل لاختل المعنى المقصود. (قل) للإفصاح عن ضعفه والتجائه إلى ربه، فكلمة (قل) هي من باب الإفصاح والإعلان عن حاجة الإنسان إلى ربه جل وعلا، وهو يفصح عن حاجته هذه بنفسه وينطقها بلسانه. وفيها قتل للغرور لأن الكِبر والغيرور يمنعان الميرء أحيانا من طلب الإعانة وهو في حاجة شديدة إليها، ولأن الذي يطلب المعونة من غيره يمتنع عن الغرور، ولا يكتفي الإنسان بالشعور بالحاجة إلى ربه لكن ينبغي أن يُعلن حاجته لربه سواء أكان الرسول القي غيره من الناس.

قالُوا أُتشكو إليه ما ليس يخفَى عليه ﴿ فقلت ربي

يرضى ذل العزيز لديه

قل: في هذا الإعلان قتل بل علاج للكبر والغرور الذي في نفس الإنسان والذي قد يودي به إلى الطغيان. (إن الإنسان ليطغى. أن رأه استغنى) لنذلك لابد من قولها باللسان ولا يجروز النطق بالاستعادة دون الأمر (قل وهذا القول من أسباب الطاعة فإذا استعنا بالله ليعصمنا من الشرور فإنها من أسباب الطاعة له سبحانه. وإذا صاحب الإستعادة شعور بالنفس بالحاجة إلى غياث المستغيثين ليأوي إلى ركن شديد فهذا الشعور بالحاجة إلى مولاه فهذا الشعور بالحاجة إلى مولاه فهذا الشعور بالحاجة إلى مولاه

- قوله (قل أعوذ برب الناس ` ملك الناس ` إله الناس ` الإستعاذة في السورة هي بـ: رب الناس، بملك الناس، وبإله الناس من شر الوسواس الخيّاس. فالمستعاذ منه شـرّ واحد والإستعاذة منه جـاءت بـالربّ والملك والإله من وسوسة الشـيطان المُهلكـة. وهذا بخلاف ما جاء في سورة الفلق حيث كـانت الإستعاذة بشـيء واحد من شـرور متعـددة. وفي هـذا إشـارة عظيمة إلى خطـورة الوسوسة على الإنسـان وعلى غـيره لأنه إن اسـتجاب لهـذه

الوساوس فقد يردي نفسه في الدنيا والآخرة، أما الأمر الـذي ليس من كسبه (ما جـاء في سـورة الفلـق) فقد اسـتعاذ منه بـأمر واحد وهــذه لفتة بيانية عظيمة من هــاتين الســورتين الكريمــتين إلى خطورة البشر وخطورة الوسوسة .

وجاء الترتيب في سورة الناس على الشكل التالي: رب، ملك، إله. فالإنسان إذا وقع في حاجة يستعين أولاً بخبرته وعلمه أو بمن له خبرة وتجربة ليرشده وليشير عليه بما يفعل وهذا هو شأن البربّ أي المربي فهو المرشد والمعلم والموجه ولذا بدأت الآيات به (رب الناس). فإذا لم ينجح فيما يريد لجأ إلى السلطة وصاحبها أي الملك (ملك الناس) فإن لم تُجدي السلطة نفعاً التجأ إلى الله تعالى (إله الناس) والترتيب في الآيات في السورة هو على سياق مراحل حياة الإنسان ومعاشهم، فالأجنة هي البداية ثم يخرج الناس مراحل حياة الإنسان ومعاشهم، فالأجنة هي البداية ثم يخرج الناس ورعاية، فإذا كبروا احتاجوا إلى المجتمع وما ينظم علاقتهم به، ثم ياتي سن التكليف حيث يحاسبه الإله. والمجتمعات عموما بين الربوبية والملك، فكل مجتمع يحتاج صغاره إلى المحربي ثم إلى السلطة، أما الألوهية فتتأخر وقد تخفى على بعض الناس وتحيطها الشكوك والأوهام .. والإلحاد .. وتحتاج إلى تذكير.

وقد تــدرّجت الآيـات من الكــثرة إلى القلّة فـالربّ هو المرشد الموجّه وقد يكــون هنـاك العديد من المرشــدين والمــربّين في المجتمع لكن لكل دولة ملك واحد والدنيا فيها ملوك كثر ولكن الإله واحد للكل فانتقل في الســياق من الكــثرة للقلة من حيث دلالة الكلمة بالعدد (الرب كثير، الملك أقلّ وأما الإله فهو واحد).

وردت كلمة الناس 3 مـرات في السـورة وكل منها تعـني مجموعة من الناس مختلفة عن غيرها نوضحها فيما يلي:

كلُّمة " النَّاس " تُطلقُ علَّى مجمُّوعةٌ قلَّيلة منَّ النَّاس أو واحد من الناس. أو واحد من الناس. أو كل الناس.

والرب هو مُرشد مجموعة من الناس قد تكون قليلة أو كثيرة، أما الملك فناسه أكبر من ناس المربي وأما الإله فهو إله كل الناس وناسه الأكثر حتماً. فلو جاءت الآيات برب الناس وملكهم وإلههم لعاد المعنى كله إلى المجموعة الأولى من الناس (ناس الرب) دون أن يشمل غيرهم ولما تحدد أي مجموعة من الناس. لذلك لا يغني الضمير هنا، بل لا بد من تكرار المضاف إليه مذكورا صريحا، لأن لكل معنى مختلف.

. وكلمة النـاس من حيث دلالتها العديــدة في الســورة تنتقل على عكس كلمة الرب والملك والإله من القلّة إلى الكثرة فالتـدرج في الصفات بدأ من الكـثرة إلى القلـة، أما في المضـاف إليه (النـاس) فبالعكس من القلة إلى الكثرة فناس المـربي أقـل، ونـاس الملك أكثر، وناس الإله هم الأكثر.

ولم تأتي الآيات في السورة بواو العطف فيما بينها ولا يجوز أصلاً أن يقول (برب الناس وملك الناس وإله الناس) وإنما جاءت (قل أعوذ برب الناس* ملك الناس* إله الناس) وهذا حتى لا يُظنّ أنهم ذوات مختلفة لأنها هي ذات واحدة فهو سبحانه المربي وهو الملك وهو الإله الواحد.وحتى لا يُظن أن المقصود أكثر من واحد، بل هو واحد سبحانه، فمن أراد الرب يقصد رب الناس ومن أراد الملِك يقصد ملك الناس ومن أراد الإله يقصد إله الناس فلا إله إلا الله

- قوله (من شر الوسواس الخنّاس ` الـذي يوسوس في صدور الناس ` من الجنّة والناس `)

من شر الوسواس الخيّاس؛ جاءت الآية باستخدام (من شر الوسواس) وليس (من الوسواس) كما في الاستعادة من الشيطان: "فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم"، لأنه هنا لم يحدد الشيطان، بل قال: من الجِنّة والناس، فجعل الوسواس قسمين: من الجِنّة أو من الناس فالجِنّة فيهم صالحون وفيهم قاسطون " وأنا منا المسلمون الناس فالجِنّة فيهم صالحون وفيهم قاسطون " وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون" كما قال تعالى على لسان الجن في سورة الجن، لذا لا يصح الإستعادة من الجِنّة عموماً وكذلك الناس نحن نستعيذ من الظالمين والأشرار من الناس وليس من الناس كلهم الوسواس الخيّاس) وأما الشيطان فشرّ كله لذلك جاءت الآية بتحديد الاستعادة منها، أما البشر فلا، ورد في الأثر: (الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير ممن لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم)

الوسواس؛ كلمة وسواس على صيغة فعلال وهي صيغة تفيد التكرار لأنه لا ينفك عن الوسوسة ويسمى في اللغة (تكرار المقطع لتكرار الحَدَث) وفيها تكرار المقطع (وس) كما في كلمة كبكب (تكرار كب) وحصحص (تكرار حص) للدلالة على تكرار الحدث. وصيغة فعلال تفيد المبالغة أيضاً إذن كلمة وسواس تفيد المبالغة والتكرار. وقد جاء التعبير في الآية بكلمة الوسواس وليس الموسوس لأن الموسوس لا تفيد المبالغة، ولأنها تقال للشخص الدي تعتريه الوسوسة دون أن تفيد المبالغة، وجاءت الإستعاذة

بـــ(شر الوســواس) وليس شر الوسوسة فقــط للدلالة على أن الإستعاذة إنما تكون من كل شرور الوسواس سواء كـانت وسوسة أو لم تكن.

الخيّاس! صفة من (الخنوس) وهو الاختفاء، وهي أيضا صيغة مبالغة، وتدل على أن الخنوس صار نوعا من حرفة يداوم عليها. عندما يكون للمرء عدو فإنه يحرص على أن يعرف مقدار عدائه ومدى قوته والأساليب التي تمكنه من التغلب عليه أو النجاة منه، وقد أخبرنا الله تعالى عن عدونا أن قصارى ما يستطيع الإنسان فعله هو أن نخنس وسوسته لأن الشيطان باق إلى يوم الدين ولا يمكننا قتله أو فعل أي شيء آخر به وإنما نستعيذ بالله فيخنس الشيطان أو أن نغفل وننسى فنقع في الوسوسة كما جاء في الحديث: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم إن ذكر الله خنس، وإن نسى وسوس)

الدي يوسوس في صدور الناس أذكر في الآية مكان الوسوسة وهو الصدور ولم ترد القلوب لأن الصدور أوسع ، وهي كالمداخل للقلب، فمنها تدخل الواردات إلى القلب، والشيطان يملأ الصدر بالوسوسة ومنه تدخل إلى القلب دون أن تترك خلفها ممرا نظيفا يمكن أن تدخله نفحات الإيمان، بل يملأ الساحة بالوساوس قدر استطاعته مغلقا الطريق إلى القلب.

من الجِنّة والناس: الوسواس قسمان فقد يكون من الجِنّة وقد يكون من الناس والناس والناس هم المعتدى عليهم ولذا جاء الآية رب الناس ولم يقل رب الجِنّة والناس لأن الناس لما وقع عليهم الأذى استعاذوا أو أمروا أن يستعيذوا بربهم ليخلّصهم من شر الوسواس والجِنّة هم الأصل في الوسوسة.وقدم الجنة على الناس لأنهم هم الأصل في الوسوسة، والناس تَبَع، وهم المعتدون على الناس، ووسوسة الإنسي قد تكون من وسوسة الجني. والجِنّة هم الأصل في الوسوسة، ولا تقع الوسوسة في صدورهم بل في صدور في الإنس. وفي آية أخرى في القرآن الكريم وردت الآية بتقديم الناس على الجنّ وذلك لأن السياق كان على كفرة الإنس الذين يشاركون الجن الوسوسة فلذا تقدّم ذكرهم على الجنّ الوسوسة ولذا تقدّم ذكرهم على الجنّ الوسوسة فلذا تقدّم ذكرهم على الجنّ الوسوسة فلذا تقدّم ذكرهم على الجنّ وركَدَن الميال وَالْجِنّ الْقَوْلُ غُرُورًا وَلُوْ شَاء وَكَنْ عَلَى الْجَنْ الْقَوْلُ غُرُورًا وَلُوْ شَاء وَلَا الله عَمْ الْمَوْلُ عُرُورًا وَلُوْ شَاء وَلَا الله عَمْ الْمَوْلُ عُرُورًا وَلُوْ شَاء وَلَا الله عَمْ الْمَاهِ وَلَا وَلَا الله عَمْ الْمَامُ الْمَامُ الْمَامُ الْمَامُ الْمَاء وَلَا وَلَا عَلَى المَامِنُ الْمَامُ الْمُومُ الْمُعْمُ الْمَامُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعْ

الفهرس	
مقدمة 1	
ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	
لمسات بيانية في آية الكرسي 	
لمسات بيانية في الإسراء والمعراج	
لمسات بيانية في سورتي النمل والقصص 15	
لمسات بيانية في وصايا لقمان لابنه 1ء	
ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	
لمسات بيانية من سورة المنافقون 	
لمسات بيانية في سورة الإنسان	
له في سورة الليل لمسات بيانية في سورة الليل	
156	
لمسات بيانية في سورة التين 	

	لمسات بيانية في نصوص من التنزيل
	لمسات بيانية في سورة الكوثر
174	
	لمسات بيانية في سورة الناس
184	